

التحفة
الجليلة

في معرفة
الرجال المشاهير

تأليف
الشيخ
العلامة
الشيخ
العلامة
الشيخ
العلامة





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

التَّجْدِيدُ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

کتابخانه
مرکز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی
شماره ثبت: ۲۸۵۴۹
تاریخ ثبت:



۳۱

التَّجَهُّدُ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ



مرکز تحقیقات کلامی و فقهی اسلامی
الجزء الرابع

تأليف

السَّيِّحُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ مُحَمَّدٍ مَرْزُوقٍ

المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات

سرشناسه	: مرزه، علي
عنوان و پديدآور	: التجديد في تفسير القرآن المجيد / تأليف علي عبدالرزاق مجيد مرزه
مشخصات نشر	: قم؛ رادنگار، ۱۳۸۵.
مشخصات ظاهري	: ۶ ج.
فروست	: المؤسسة الاسلامية للبحوث والمعلومات؛ ۲۸
شابک	: 978 - 964 - 2818 - 12 - 9
شابک دوره	: 978 - 964 - 2818 - 15 - 0
وضعيت فهرست‌نویسی:	فيبا.
موضوع	: تفاسير شيعة - قرن ۱۴.
رده بندي كلكره	: ۳ ت ۹۸/م ۹۸ BP
رده بندي ديويي	: ۲۹۷/۱۷۹
شماره كتابخانه ملي	: ۴۹۱۱۶ - ۸۵



هوية الكتاب

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

اسم الكتاب التجدید في تفسير القرآن المجید / ج ۴

المؤلف الشیخ علي عبدالرزاق مجید مرزه

التمقیق والإفراج الفنی المؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات

الناشر: (رادنگار)

الطبعة الأولى / ۱۴۲۸ هـ ق - ۱۳۸۶ هـ ش

المطبعة عمران

الكمية ۱۰۰۰ دورة

شابک: ۹۷۸ - ۹۶۴ - ۲۸۱۸ - ۱۲ - ۹ شابک الدورة: ۰ - ۱۵ - ۲۸۱۸ - ۹۶۴ - ۹۷۸

جميع الحقوق محفوظة للمؤسسة الإسلامية للبحوث والمعلومات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ
وَيُدْخِلُهُمْ فِي الْأَرْوَاحِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَالَّذِي يُضَوِّبُ الْمَوْتَى
إِنَّ رَبَّهُ لَسَدِيدٌ
إِلَىٰ عَرْشِهِ الرَّحِيمُ
الَّذِي يُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ
وَيُدْخِلُهُمْ فِي الْأَرْوَاحِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا
تُحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى
مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ
إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ
وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ • الْحَجُّ أَشْهُرٌ
مَغْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ
وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَغْلُمَنَّهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا
أُولِي الْأَلْبَابِ • لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ
مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ
كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ • ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ
وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ • فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ
كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا
لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ • وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ • أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ
سَرِيعُ الْحِسَابِ • وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا

إِثْمٌ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿البقرة: ١٩٦-٢٠٣﴾

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:

- ١- الإحصار: المنع والحبس.
- ٢- الهدى: ١- الهدية. ٢- الهدى والدلالة.
- ٣- الحلق: ١- الاستمرار. ٢- استئصال الشعر.
- ٤- النسك: العبادة، ويراد منه هنا الدم، وهو الذبيحة.
- ٥- الإفاضة: الامتلاء لكثرة.
- ٦- عرفات: من التعرف والمعرفة.
- ٧- خلاق: النصيب والتقدير. *التحقيق كالمبيوتر علوم إرسدي*
- ٨- نصيب: الحظ المنسوب.

● الحج وحدة العباد والعبادة

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾؟

ج:

أولاً: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾

١- الحج والعمرة واجبان لكل من قصد البيت للحج للأمر بهما، ورد عن الإمام

الصادق عليه السلام أنه قال: «العمرة واجبة على الخلق بمنزلة الحج على من استطاع؛ لأن الله يقول: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾»^(١).

٢- أن الوجوب مستمر حتى إتمام جميع أعمال ومناسك الحج والعمرة، ورد عن الإمام السجاد عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أنه قال: «يعني أقيموها إلى آخر ما فيها»^(٢).

٣- أن مناسك الحج ومناسك العمرة يقعان جميعاً تحت عنوان الحج العام المقصود بهذه الآية ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فالحج مركب من قسمين مناسك حج ومناسك عمرة.

٤- أن إتمام المناسك واجب لكل من دخل في العمرة أو الحج وإن كانتا مستحبين في أصل الدخول لهما.

٥- أن الحج عمل عبادي ومن أركان الإسلام مشروط به النية الخالصة لله، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الحج حجتان: حج لله وحج للناس، فمن حج لله كان ثوابه على الله الجنة، ومن حج للناس كان ثوابه على الناس يوم القيامة»^(٣).

٦- أن الإتمام كما له معنى ظاهري في الوجوب والاستمرار والإكمال للمناسك كذلك له معنى معنوي وهو وجوب الإتمام بأخلاقية المناسك، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أنه قال: «لا يرفث، ولا

(١) الكافي ٤: ٢٦٥/٤

(٢) فقه القرآن ١: ٢٦٤.

(٣) وسائل الشيعة ١١: ١٠٩/١٤٣٧٦.

يفسق، ولا يجادل»^(١).

٧- أن إتمام الحج يتحقق بزيارة قبر النبي وقبور أئمة البقيع عليهم السلام أجمعين، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أتموا برسول الله صلى الله عليه وآله حجكم إذا خرجتم إلى بيت الله، فإن تركه جفاء وبذلك أمرتم، وأتموا بالقبور التي ألزمكم الله عز وجل زيارتها وحقها واطلبوا الرزق عندها»^(٢)، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا حج أحدكم فليختم حجته بزيارتنا؛ لأن ذلك من تمام الحج»^(٣).

ثانياً: ﴿فَإِنْ أَخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾

إذا عقد الرجل الإحرام بالتمتع بالعمرة إلى الحج وأحرم ثم أصابه عائق في طريقه قبل أن يبلغ مكة ولا يستطيع أن يمضي كما إذا أحصر لمرض أو صده عدو، فإنه يقيم في مكانه الذي حوصر فيه ويبعث من عنده هدياً إلى منى، فإن كان غنياً فالهدي (بدنة) وإن كان بين ذلك (فبقرة) وإن كان فقيراً (فشاة) لا بد منها، وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾، ولا يزال مقيماً على إحرامه حتى يتيقن من النحر والذبح.

١- ان كان المعتمر بالعمرة المفردة في رأسه وجع أو قروح أو هوام فهنا يرسل

(١) تفسير العياشي ١: ٨٨/٢٢٥.

(٢) الخصال ٢: ٦١٦.

(٣) وسائل الشيعة ١٤: ٣٢٤/١٩٣١٦.

الهدى إلى مكة حتى يتيقن من نحرها وبعد ذلك حلق رأسه وأحلّ ولبس ثيابه ويفدي، والفدية هي إمّا أن يصوم ستة أيّام، أو يتصدّق على عشرة مساكين، أو نسك وهو الدم يعني يذبح شاة.

٢- إن كان سبب حصار المعتمر بالعمرة المفردة من عدوّ وهو معنى المصدود فينحر في المكان الذي أحصر فيه كما فعل رسول الله ﷺ في الحديبية، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام في رجل أحصر في الحج أنه قال: «فليبعث بهديه إذا كان مع أصحابه ومحله أن يبلغ الهدى محله ومحله منى يوم النحر إذا كان في الحج، وإذا كان في عمرة نحر بمكة، وإنما عليه أن يعدهم لذلك يوماً، فإذا كان اليوم فقد وفى، وإن اختلفوا في المعاد لم يضره إن شاء الله»^(١).

اللَّهُ: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

فإذا كانت الظروف طبيعية من الأمن من مرض أو عدوّ فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فعليه الإحرام من أماكن معينة عيّنها الرسول ﷺ تسمى المواقيت والتي فيها يحرم الرجل بقطعتين من القماش غير المخيط تسمى ثوبي الإحرام يرتدي أحدهما ويتأزر بالأخرى، وسمى بالإحرام لكون الحاج يتعاهد فيها أن يترك بعض الأعمال التي تحرم عليه مادام محرماً، وتجب فيه النية وله أن يشترط عند الإحرام فيقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُرِيدُ التَّمَتُّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ عَلَى كِتَابِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ، فَإِنْ عَاقَبَنِي عَاقِقٌ أَوْ

(١) التهذيب ٥: ٤٢٣/١٤٧٠.

حبسني حابس فحلني حيث حبستني بقدرتك التي قدرت عليّ»^(١) ثم يلبي من الميقات الذي وقته رسول الله ﷺ فيلبي ويقول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك حجة بعمره تمامها وبلاغها عليك»^(٢).

فإذا دخل مكة ونظر إلى آيات مكة قطع التلبية وطاف بالبيت سبعة أشواط وصلى عند مقام إبراهيم ﷺ ركعتين وسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط، ثم يقصر من أظافره أو بشيء من شعره، وبعدها يحل من إحرامه، فله حق التمتع بالثياب والطيب ويقيم على الحج إلى يوم التروية وهو اليوم الثامن، فإذا كان يوم التروية أحرم عند زوال الشمس من عند المقام بالحج، ثم خرج ملتبياً إلى منى، فلا يزال ملتبياً إلى يوم عرفة وهو اليوم التاسع عند زوال الشمس، فإذا زالت الشمس يوم عرفة قطع التلبية، ويقف بعرفات في الدعاء والتكبير والتهليل والتحميد، فإذا غابت الشمس رجع إلى مزدلفة فبات بها، فإذا أصبح يوم العاشر وهو يوم عيد الأضحى قام بالمشعر الحرام ودعا وهلل الله وسبّحه وكبّره، ثم ازدلف منها إلى منى ورمى جمرة العقبة بسبع حصيات وذبح وحلق رأسه كلياً للخروج من الإحرام.

فإن كان غنياً فعليه بدنة وإن كان بين ذلك فعليه بقرة وإن كان فقيراً فعليه شاة، فمن لم يجد ذلك فعليه أن يصوم ثلاثة أيام بمكة، فإذا رجع إلى منزله صام سبعة أيام فتقوم هذه الأيام العشرة مقام الهدى الذي كان عليه منسكاً وثواباً، وفي نفس يوم العاشر أو بعده يعود إلى مكة للطواف وصلاة الطواف والسعي بين الصفا والمروة

(١) تفسير القمي ٦٨:١.

(٢) تفسير القمي ٦٩:١.

وطواف النساء وصلاته، وفي ليلتي الحادي عشر والثاني عشر يذهب الحاج إلى منى ليبيت فيها لرمي الجمرات الثلاث في يومها بصورة متوالية كل جمرة بسبعة حصيات، وبذلك تتم مناسك الحج.

وهذه الصورة الإجمالية من الأحكام تجري لمن ليس مقيماً بمكة ولا من أهل مكة، أمّا أهل مكة ومن كان حولها بأقل من ستة عشر فرسخاً فليس لهم حج التمتع وإنما عليهم حج الأفراد أو القران.

س: ما هي الجوانب التي سلط القرآن الضوء عليها في مسألة الحج؟

ج:

١- الإعلام عن الحج وأنه من زمن إبراهيم عليه السلام، ﴿رَجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج: ٢٧)، ورد عن أحدهما عليهما السلام أنه قال: «إن إبراهيم أذن في الناس بالحج، فقال: أيها الناس، إني إبراهيم خليل الله، إن الله أمركم أن تحجّوا هذا البيت فحجّوه، فأجابه من يحجّ إلى يوم القيامة، وكان أول من أجاهه من أهل اليمن»^(١).

٢- تشريع الحج في الإسلام وإقرار على ما شرّعه إبراهيم عليه السلام، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

٣- تعيين زمن الحج ووقته الذي خصّصه الإسلام، ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ (البقرة: ١٩٧)، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٨٩).

٤- توضيح مناسك الحج التفصيلية في الإسلام، ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ

أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا...» (البقرة: ١٩٦-٢٠٣).

٥- تسليط الضوء على بعض فوائد الحج وفلسفته، ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا
اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا
الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (الحج: ٢٨).

س: ما هو التعريف الاصطلاحي للحج والعمرة؟

ج:

١- الحج: هو القصد إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك مخصوصة في أوقات
مخصوصة.

٢- العمرة: زيارة البيت لأداء مناسك مخصوصة في أي وقت كان من أيام السنة.



س: ماذا تعني حجة الإسلام؟

ج:

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

وهي الحجّة التي تجب على المكلف المستطيع بالوجوب العيني مرّة واحدة
بالعمر، والتارك لها في عام الاستطاعة من دون عذر يعدّ عاصياً عاصياً كبيراً، وقد
أطلق على ذلك اسم (حجة الإسلام)، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «يا علي كفر بالله
العظيم من هذه الأمة عشرة... ومَنْ وجد سعة فمات ولم يحجَّ»^(١)، وعن الإمام
الرضا ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ
سَبِيلًا﴾ أنه قال: «ذاك الذي سوف الحجّ يعني حجة الإسلام يقول: العام أحج، العام
أحج حتى يبيته الموت»^(٢).

(١) الفقيه ٤: ٣٥٦/٥٧٦٢.

(٢) تفسير العياشي ٢: ٣٠٥/١٢٧.

س: عدد الأحكام الشرعية المتعلقة بمناسك العمرة والحج؟

ج:

أولاً: مناسك عمرة التمتع، وهي على قسمين:

أ- مناسك العمرة الواجبة، وهي:

١- الإحرام من أحد المواقيت التي حددها الرسول ﷺ للبلدان.

٢- الطواف.

٣- صلاة ركعتي الطواف خلف المقام.

٤- السعي بين جبلي الصفا والمروة.

٥- التقصير، وهو قصّ بعض الشعر.

ب- مناسك العمرة المستحبّة، ١- طواف النساء. ٢- ركعتي الطواف.

ثانياً: مناسك حج التمتع الواجبة:

١- الإحرام من مكّة. 

٢- الوقوف بعرفات بعد زوال اليوم التاسع إلى الغروب.

٣- الوقوف بالمزدلفة من فجر عيد الأضحى إلى طلوع الشمس.

٤- رمي جمرة العقبة يوم العيد.

٥- النحر.

٦- الحلق.

٧- طواف الزيارة بعد الرجوع إلى مكّة.

٨- صلاة طواف الزيارة خلف المقام.

٩- السعي بين الصفا والمروة.

١٠- طواف النساء.

١١- صلاة طواف النساء.

١٢- المبيت في منى ليلة الحادي والثاني عشر.

١٣- رمي الجمرات الثلاث.

سؤال: مناسك الحج المستحبة لعموم الحج، هي:

١- طواف الوداع.

٢- استلام الأركان وخصوصاً الحجر الأسود.

٣- زيارة المدينة المنورة.

س: ما هي شرائط صحة حج وعمرة التمتع؟

ج:

١- النية، بقسميها: العامة وهي نية القرية لعموم الحج، والخاصة المختصة لكل منسك من مناسكهما.

٢- وقوع حج التمتع وعمرته في أشهر الحج وعامهما.

٣- إنشاء إحرام العمرة من الميقات التي رسمها رسول الله ﷺ للبلدان مع الاختيار، وإنشاء إحرام الحج من مكة.

٤- أن تكون العمرة والحج لشخص واحد فقط.

س: اذكر المواقيت التي حددها الرسول ﷺ للبلاد والتي يكون إنشاء الإحرام فيها.

ج:

١- مسجد الشجرة، ويسمى ذو الحليفة أو آبار علي، وهو ميقات أهل المدينة ومن

كان طريقه عليها.

- ٢- وادي عقيق، وهو ميقات أهل العراق ونجد وكلّ من يعبر مكّة عن طريقه، وهو متكوّن من ثلاث مناطق أوّله المسلخ وأوسطه الغمرة وآخره ذات العرق.
- ٣- الجحفة، وهو ميقات أهل الشام ومصر وكلّ من كان طريقه عليها.
- ٤- قرن المنازل، وهو ميقات أهل الطائف وكلّ من كان طريقه عليها.
- ٥- يلملم، وهو جبل من جبال تهامة، وهو ميقات لأهل اليمن ومن كان طريقه عليها.

- ٦- المنزل أو من الحديدية أو الجعرانة أو التنعيم، وهو ميقات لكلّ من كان منزله أقرب إلى مكّة من الميقات، ومختص بالعمرة المفردة.

س: ما هي شرائط وجوب الحج المتعلقة بالمكّلف؟

ج:

- ١- البلوغ، فلا تجب على غير البالغ.
- ٢- العقل، فلا تجب على المجنون.
- ٣- الحرية، فلا تجب على العبد المملوك.
- ٤- الاستطاعة المالية والبدنية، فلا تجب على غير المستطيع والمريض.

س: ما هي أقسام الحج بالنسبة إلى مكان إقامة المكّلف بالحج؟

ج:

- ١- حج التمتع، وهو الفرض الذي يكون على المكّلف لمن كان مكان سكنه يبعد عن مكّة بأكثر من ستة عشر فرسخاً، أي ما يقارب ثمانية وثمانون كيلو متراً.

- ٢- حج القران، وهو الفرض على مَنْ يكون سكنه أقل من ستة عشر فرسخاً.
 ٣- حج الأفراد، وهو الفرض على مَنْ يكون سكنه أقل من ستة عشر فرسخاً
 كذلك.

س: ما هي المحتملات التي ترد في أن أنهي الله الآية بشديد العقاب بقوله:
 ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ مع أن الحج يعكس صورة الرحمة
 والأمن والغفران أكثر من شدة العقاب؟

ج:

- ١- حتى يبعد الحاج عن اقرار المعصية أو التفكير بها في الحج الذي يعد انتهاكاً
 عظيماً وهو في حالة حج وأداء منسك عظيم في رحاب بيته.
 ٢- حتى يثبت مناسكه من دون تغيير من نقصان أو زيادة في التطبيق والتسليم،
 ووجوب الالتزام بها حسب حالاتها المختلفة على ما هي عليها.
 ٣- أن الحج شرعت مناسكه منذ عهد إبراهيم عليه السلام وسارت عليه العرب ودخل شيء
 من التغيير على بعض المناسك في الفترة الزمنية ما بين إبراهيم ومبعث
 الرسول ﷺ مما استأنس العرب على مناسكه تقديساً واحتراماً حتى صار من
 الصعب إجراء أي تغيير فيها، ولما جاء الإسلام وأمضى الحج وقرره وقرّر
 جميع مناسكه إلا بعضاً منها أراد تغييرها من زيادة أو نقصان أو ترتيب خاص
 به لها، وكان من الصعب على العرب أن يقبلوا هذا النوع من التغيير، فختم الله
 الآية بالتهديد ليخضع الجميع إلى المناسك الجديدة التي طرحها الإسلام.
 ٤- يريد الله من الحاج أن يكون على علم بأنه شديد العقاب حاضراً في ذهنه حتى
 يعمل بالمناسك وأمام عينيه، أن الله شديد العقاب ليثير الله عند الحاج العامل

الروحي المنسجم مع مواقف المناسك التي كل واحد منها يذكر يوم القيامة، حيث الناس مجموعين مكاناً ومتفردين روحاً، فتجد كل إنسان يريد أن يخلص نفسه ويريد أن يكون الله راضياً عنه مخلصاً له من نار جهنم، ولهذا على الرغم من أن مناسك الحج كلها باب أمن وأمان وأنها صورة من صور الرحمة إلا أن الحجاج جميعاً في حالة خشوع وخضوع وتذلل وبكاء يتقربون إلى الله متوسلين إليه أن ينقذهم من ذلك اليوم، فشديد العقاب هو العامل الذي يوجب روح التوسل والتقرب والتذلل والخضوع ويوصله إلى ذروته، ولغة الدعاء في جميع مناسك الحج هي الأخرى تنسجم مع هذا المعنى من الحضور القلبي والروحي في أن الله شديد العقاب ليعمق الذنب ويستخلص التوبة النصوحة من عمق قلب الحاج وإرادته، وعند ذلك تأتي الرحمة والغفران كنتيجة لهذا النوع من الإخلاص الذي لا بد أن يقدمه الحاج ليحصل على الرحمة والغفران.

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾؟

ج:

- ١- كانت أشهر الحج معلومات ومعينات عند العرب الأوائل وجاء الإسلام وأمضى هذه الأشهر وأقر بها، فلا يجوز لأي أحد الزيادة فيها أو النقصان أو التبديل.
- ٢- أشهر الحج هي ثلاثة: أ- شوال. ب- ذو القعدة. ج- ذو الحجة.
- ٣- من فوائد تعيين أشهر الحج وما يترتب عليها من أحكام شرعية منها: **أولاً: أن المسلم يقدر نفسه من المستطيعين في هذه الأشهر، أي إذا دخل في**

هذه الأشهر وهو مستطيع فيجب عليه الحج، فلا عبرة بما قبلها أو بعدها.

ثانياً: لا يصح الإحرام للحج إلا بها، ولا يصح الإحرام لعمرة التمتع إلا بها.

ثالثاً: أن هذه المدة كافية لأن يعمل من خلالها الحاج في تهيئة الزاد والراحلة

وكل مقدماته التي يتوقف عليها سفره إلى بيت الله الحرام.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ

وَلَا فَسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (البقرة: ١٩٧)؟

ج:

١- إذا فرض الإنسان على نفسه الحج وعقد إحرامه بالتلبية أو التقليد أو الإشعار،

فيجب عليه أن يلتزم بمحرمات الإحرام التي على رأسها هذه الثلاث: الرفث

والفسوق والجدال، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «إِنَّمَا يُؤْمَرُونَ بِالْإِحْرَامِ

لِيُخْشِعُوا قَبْلَ دُخُولِهِمْ حَرَمَ اللَّهِ وَأَمْنَهُ، وَلِئَلَّا يَلْهَوْا وَيَشْتَغَلُوا بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ

الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَلذَاتِهَا، وَيَكُونُوا حَادِّينَ فِيمَا هُمْ فِيهِ قَاصِدِينَ نَحْوَهُ، مُقْبِلِينَ عَلَيْهِ

بِكَلِيَّتِهِمْ...»^(١).

٢- أن الرفث هو كل ما يكتفى له لفحشه، ولكن السنة الشريفة فسرتة بالجماع،

كما أن الفسوق هو كل فعل يخرج عن طاعة الله ولكن الشريعة فسرتة

بالكذب، وكما أن الجدال هو كل كلام يراد منه المراء وكل كلام يقطع أواصر

الأخوة والمحبة والترابط الاجتماعي، ولكن السنة الشريفة فسرتة بقول: لا

والله وبلى والله.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا أحرمت فعليك بتقوى الله وذكر الله كثيراً، وقلة الكلام إلا بخير، فإن من تمام الحج والعمرة أن يحفظ المرء لسانه إلا من خير كما قال الله تعالى، فإن الله عز وجل يقول: ﴿لَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ...﴾ الآية (١).

٣- السنة الشريفة أضافت إلى هذه الثلاث من محرّمات الإحرام اثنين وعشرين محرّماً فيكون مجموع المحرّمات خمسة وعشرين محرّماً من محرّمات الإحرام، وهي:

١- صيد الحيوان البري.

٢- النساء مطلقاً.

٣- عقد النكاح.

٤- الشهادة على عقد النكاح.

٥- الاستمنا.

٦- الطيب.

٧- لبس المخيط للرجال.

٨- لبس الخفين والجوراب.

٩- الاكتهال.

١٠- النظر في المرأة.

١١- الفسوق.

١٢- الجدال.



١٣- قتل هوام الجسد.

١٤- لبس الخاتم للزينة.

١٥- لبس الحللي للمرأة.

١٦- التدهين.

١٧- إزالة الشعر.

١٨- تغطية الرأس للرجل.

١٩- تغطية الوجه للمرأة.

٢٠- التظليل للرجل.

٢١- إخراج الدم من البدن.

٢٢- قلع الضرس.

٢٣- تقليم الظفر.

٢٤- لبس السلاح.

٢٥- قلع ما ينبت في الحرم.



مركز تحقيقات كلية أصول العلوم الإسلامية

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ
وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾؟

ج:

١- ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾

إنها الحقيقة بأن الله يعلم كل شيء باطنه وظاهره، وإنها الحقيقة التي يذكر الله بها العاملين دائماً والحجاج بصورة خاصة وهم يؤدون مناسكهم ليزيد في إخلاصهم ودقة في أداء أعمالهم ومناسكهم وبذل جهد مضاعف؛ لأنها فرصة

للتزود من الخير والحصول على أكثر كمية منه.

٢- ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾

بعض الناس قديماً يأتون إلى بيت الله ولم يجلبوا معهم من الأكل وعذرهم في ذلك هو أنهم يقولون: نحن نأتي إلى ضيافة الله وطعامنا عليه، والله يردهم بأنكم لا بد من أن تتزودوا من الأكل؛ لأن كل شيء في الحياة يسري ضمن الطريق الطبيعي ولا ضرورة للأمر الإعجازي، وأنكم جئتم إلى بيت الله لتزودوا بالتقوى التي هي خير زاد لكم من الأكل الذي تنتظرونه من الله وأنها خير ذخيرة لكم عنده، كما أن أصل طلبكم ينم عن جهل ولم يكن من نتاج حركة عقلية كاملة، وحصول التقوى عن طريق الجهل لم يكن مطلباً إلهياً في جميع عبادته، بل المطلوب هو وعي العباداة ومعرفتها التي عندها يترفع الإنسان عن كل طلب داني لا قيمة له أمام تقوى الله والفوز برضاه وطاعته والفوز بجنته، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «تعلّموا الفرائض وعلموها الناس فإنها نصف العلم وهو ينسى، وهو أول شيء ينتزع من أمتي»^(١).

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾؟

ج:

أولاً: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾

١- أن الحجاج كانوا يتحرجون ويتأثمون من التجارة في مكة، ففي هذه الآية رفع

عنهم الحرج والإثم فبعد الإحلال من الإحرام فإن البيع والشراء مباح لهم شرعاً، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا﴾ أنه قال: «إذا حلَّ الرجل من إحرامه وقضى نسكه فليشترِ وليبيع في الموسم»^(١).

٢- ليس عليكم جناح أن تطلبوا مطلق الفضل من ربكم وفي مقدمتها الفضل المعنوي، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿... أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أنه قال: «معناه أن تطلبوا المغفرة»^(٢).

ثانياً: ﴿فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾

١- سميت عرفات وذلك للأسباب المحتملة التالية:

أولاً: إما لكون إبراهيم عليه السلام قد عرفها عندما قدم له وصفها ونعتها.

ثانياً: إما لكون آدم وحواء قد التقيا بها وتعارفا بعد أن افترقا عند هبوطهما.

ثالثاً: إما لكونها معروفة بعلوها وارتفاعها.

رابعاً: إما أن جبرائيل كان يُري إبراهيم عليه السلام المناسك فيها وإبراهيم عليه السلام بعد كل تعريف يقول: عرفت عرفت.

خامساً: إما أن جبرائيل قال فيها لآدم أو لإبراهيم: هنا اعترف بذنبك واعرف مناسكك. وكلها قد وردت فيها روايات.

٢- بعد أن دفعتم بعد الاجتماع من عرفة وذهبتم إلى المشعر، أي إلى مزدلفة، فيجب فيها ذكر الله، وبهذا الوجوب يشعر بوجوب الكون فيها بعد الإفاضة من عرفة؛

(١) تفسير العياشي ١: ٢٦٢/٩٦.

(٢) فقه القرآن ١: ٢٨٤.

ولهذا قال العلماء بوجوب الوقوف فيه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس،
وسمي بالمشعر الحرام؛ لأنه معلم من معالم العبادة ولحرمة عند الله.

﴿وَأَذْكُرُوا كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾

١- واشكروا الله على ما هداكم لهذا المنسك وهو المشعر الحرام لما فيه الخير الكثير
وقد كنتم من الجاهلين به قبل هداية الله إليه وجعله منسكاً لكم.

٢- واشكروا الله واذكروه ذكراً عظيماً كما هداكم لدينه العظيم الذي لولا هدايته لكم
لكنتم من الضالين عن دينه وعن الإيمان وعن العبادة.

٣- واذكروه كما هداكم لذكره المخصوص في عرفات والمشعر الحرام على ما هو
المأثور في الذكر وإن كنتم قبل هذه الهداية لذكره الخاص من الجاهلين به.

٤- واذكروه كما هداكم لمناسكه في تعيينها، فكما أن لكل منسك مكاناً خاصاً فله
ذكر وعمل خاص، وكما لا يجوز لكم التبديل في المناسك لجهلكم بها لا
يجوز لكم التبديل في الذكر والعمل به لجهلكم به، وكما أنه ليس من
اختصاصكم تعيين المنسك فليس من اختصاصكم بكيفية العمل والذكر فيه.

س: ما هي الاحتمالات في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ
النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؟

ج:

١- أخرجوا من عرفات بنفس الطريق، وبمنسك الطريقة التي يخرج منها الناس من
دون تفرق واختلاف.

٢- لا فرق بين أحد من الناس في الإفاضة فالكل مأمورون بها وهم يسرون على
نهج ونسق واحد لا تمييز بينهم من حيث الإفاضة، وما يتحمّله الحاج من بذل

الجهد في الإفاضة ومن التذلل والخشوع فلا عالٍ ولا داني بين الناس عند الحج
فليس للعناوين محلّ عند أداء مناسك الحج.

٣- أن يكون من باب إطلاق العام وإرادة الخاص، بمعنى لا تغيروا طريقة الإفاضة،
بل سيروا عليها كما سار عليها الأنبياء الذي حجّوا البيت وأفاضوا من عرفات
إلى المشعر الحرام.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ
مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ
رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾؟

ج:

١- ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إنهم كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك
ويعدون مفاخر آبائهم ومآثرهم ويذكرون أيامهم القديمة وأيديهم الجسيمة،
فأمرهم الله أن يذكروه مكان ذكر آبائهم، وإن كانت لهم عليهم أياد ونعم، فنعم
الله عليهم أعظم بأن يذكروا نعم الله ويعدوا آلاءه ويشكروا نعماءه»^(١).

٢- أن يذكروا الله وأن يفزعوا إليه كما يفزع الصبي لأبيه ويتوسّل به ويلجأ إليه
ويلهج بذكره.

٣- أن هذا الخطاب يريد من الإنسان أن ينصهر في ذكر ربّه ولا ينساه، حيث
اجتمعت مبالغتان في إرادة الذكر وهي:

الأولى: التمثيل بذكر الصبي لأبيه وهو منتهى حالة الذكر والتفاعل والصدق
والتوسّل.

الثانية: هي الأشد من هذه الحالة وهي حالة ذكر الصبي لأبيه، ويمكن تصوّر الأشد هنا عندما يكون الإنسان فيها غير ملتفت إلى غير الله لا ذهنياً ولا قلباً، بل ذاتياً بالله لا يرى سواه ملجأً.

٤- أن يريد الله ذكره بصورة دائمة كما يذكر الإنسان أباه في مواطن الذكر والدعاء له، بل وأشدّ ذكراً كما هي حالة الصبي في ذكر أبيه والفرع إليه.

٥- أن يراد من هذا التمثيل حصول شدة الحرص على الذكر وراقبه مراقبة دقيقة لا يفلت منه كالصبي في مثل هذه المواقع المزدهمة التي يكون فيها أشدّ حرصاً في مراقبة أبيه من الانفلات منه والشعور بالضياع والتهيه، ولهذا تجد الصبي متمسكاً بأبيه أشد التمسك قلباً ويداً بجوارحه وجوانحه.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ • أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ؟

ج:

أولاً: أن هذا الخطاب يقسم الاتجاهات المختلفة للناس من حيث الطلب من الله الكاشف عن المستوى الإيماني والوعي الفكري الذي يمتلكه الناس، وهم على ثلاث أقسام:

١- منهم من يطلب من الله أن يقضي له حوائجه وأن يعينه في أمور دنياه وليس له شغل في الآخرة لا عملاً لها وسعياً لأجلها، ولا محلاً ونصيياً لها في إنشاء دعائه وطلبه، ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي

الآخِرَةَ مِنْ خَلْقِي ﴿١﴾.

٢- منهم مَنْ يطلب الدنيا لأجل الآخرة وطريقاً للوصول إليها، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾، فالحسنة ما كانت طريقاً لمرضاة الله وما يسجلها الله حسنة عنده بعدما عرفوا أن في الدنيا هناك حسنات وسيئات، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أنه قال: «رضوان الله، والجنة في الآخرة، والمعاش، وحسن الخلق في الدنيا»^(١).

٣- منهم مَنْ يطلب الآخرة ولا يرى غير الآخرة طلباً، فكلّ مطلوب في دنياه يراه منصهراً بطلب الآخرة وذائباً فيها، فهو ليس طلباً تجارياً مع الله كما هو الاحتمال الثاني - وإن كان من حيث مرجع الكلّ أنه كسب - بل حالة عرفانية أقوى بحيث يتعامل مع كلّ حسنة هي بنفسها حسنة الآخرة لا غير، فهو يقول بلسان الحال: الذي يعيش مع الآخرة في كلّ مفردة حسنة في الدنيا، كقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل أنه قال: «قوّ على خدمتك جوارحي».

ومن ملازمات هذا الاحتمال أن تكون نوعية الحسنة المطلوبة عندهم تختلف عن نوعية الحسنة المطلوبة عند أصحاب الاحتمال الثاني، لأنهم يعرفون أنواع الحسنات ودرجاتها، ويعرفون الأهم والمهم منها عند الله، ويعرفون عمق الحسنات وتأثيرها على النفس والمجتمع، ويعرفون ما يجب أن يتحمّلونه من أجل الالتزام بها، فهناك فرق واضح في طلب الحسنات بين طلب (وارزقني حج بيتك الحرام والرزق الحلال) مثلاً، وبين طلب (وارزقني حج بيتك الحرام وقتلاً في سبيلك)، فإنّ وعي الطلب للحسنات ونوعها

(١) الكافي ٥: ٢/٧١.

ودرجتها واضحة الفرق بين الطلب الأول والثاني الذي يعكس درجة الهم والهدف التي تحمله الشخصية.

ورد عن الرسول ﷺ عندما سئل عن الحسنه في الدنيا والآخرة، أنه قال: «مَنْ أُوتِيَ قَلْبًا شَاكِرًا وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تَعِينُهُ عَلَى أَمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ فَقَدْ أُوتِيَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَوَقِيَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ»^(١).

تلياً: أنه من اليقين والمقدر عند الله أن تكون الخسارة لأولئك الذين طلبوا الدنيا دون الآخرة، وأن يكون الربح في الآخرة لأولئك الذين هم أصحاب الاحتمال الثاني والثالث الذين يؤمنون بالآخرة ولم ينسوا ذكرها، ولكن لكل واحد نصيب يختلف عن نصيب الآخر لاختلاف درجة الإيمان والهموم بين الصنفين، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ • وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا • كَلَّا نُبَدِّلُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿(الإسراء: ١٨-٢٠).

تلياً: أن هذا الخطاب يكشف عن أن الحج على الرغم من أنه وحدة عبادية روحية يجسد عالم الآخرة في كل معانيه ومناسكه إلا أن الناس هم الناس فبعضهم يأتون لطلب الدنيا منه ولا يريدون غيرها، وهذا يكشف أن جو الناس في الحج فيه الفث وفيه السمين.

رابعاً: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾

١- أنها صفة من صفات الله، فإن سرعة الله لا تلحقها سرعة لو أراد الله السرعة في

إيجاد أي شيء، والحساب فعل من الأفعال التي أراد به السرعة.
 ٢- أنه يدون من خلال ملائكته كل شيء وهو يصدر من لحظاته الأولى وبدأيته من إرادة الإنسان مع دوافعه، تلك الإرادة وذلك الدافع التي هي من مقدمات الفعل يمر على الإنسان بصورة سريعة بحيث لا يشعر بها، ولكنها تدون لسرعة حساب الله.

٣- أن يكون هذا التعبير كناية عن سرعة الاستجابة من قبل الله للطلب، حيث كلما كان الحساب سريعاً كلما كان ترتب النتائج عليه سريعة.

٤- أن يكون هذا التعبير كناية عن قدرة الله على محاسبة الجميع في يوم واحد وهو يوم القيامة، حيث لا يشغله شأن عن شأن، ولا محاسبة أحد عن محاسبة الآخر، فإذا حاسب واحداً فهو في تلك الحال يحاسب الكل، وأنه سبحانه يتم حساب الكل بتمام حساب الواحد، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أنه قال: «إنه يحاسب الخلق دفعة كما يرزقهم دفعة»^(١).

٥- في نفس الوقت التي تسجل الملائكة عمل الإنسان في جميع لحظاته فإن الله يرتب عليه الجزاء والحساب من دون فاصلة بين الكتابة والجزاء.

ظاهراً؛ أن هذا التقسيم من الداعين لله والطالبين منه هو تقسيم واقعي عام للناس في كل الأحوال وأنهم لا يخرجون عن هذه الحالات، وطرحه الله هنا بين يدي الحجاج ليذكّرهم بهذا التقسيم حتى يختاروا الفرد الأفضل منه والمنسجم مع الحج وعظمة هذا المنسك وعظمة التواجد فيه، وليزدادوا إحساساً بالآخرة؛ لأن

الحج صورة من صور الحشر والوقوف للحساب لينظر الإنسان ماذا يطلب وما هي نوعية طلبه الذي يتمناه في ذلك اليوم.

ملاحظة: أن هذا التقسيم يكشف عن نوع تفاعل العابد مع عبادة الله وكيفية تعامله مع عبادة الله، فمثلاً نحن نعرف أن أغلب العبادات في الإسلام وفي جانب من جوانبها هي باب من أبواب الرزق أو لطلب العافية أو لدفع مكاره الدنيا وغير ذلك مما تجده في القرآن والسنة كالحج فإن فيه منافع، فبعض الناس ينهض لصلاة الفجر لكون وقت أدائها هو في وقت يوزع الله فيه الأرزاق، ويقرأ القرآن لكونه شفاء، ويدفع الخمس والزكاة لكونهما تزيدان وتتميان المال، ويذهب للحج سنوياً لكونه باباً من أبواب الرزق ويدفع الفقر، ويقدم الصدقة لكونها تدفع البلاء، ويسبر بالديه لكونه يطيل العمر، ويسبح الله بنوع من التسبيح لكونه يرزق الوليد وغيرها كثيرة.

وتجد هذا النوع من فهم العبادة مؤثراً حتى في طلبه ودعائه وهو في أداء العبادة حيث لا تجد فيه إلا (ربّي ارزقني وارزق عيالي وأطل في عمري وأعطني الصّحة والعافية).. وهكذا، بحيث لا تجد في طلبه من خلال عبادته إلا أن يقدم قائمة إلى الله ممّا يحتاجه من العيش اليومي فكأنه يعبد الله على حرفٍ من أجل أن يعيش، ولا يفهم من العبادة إلا أن يضمن من خلالها رغد العيش الدنيوي، ولا تجد في دعائه نصيباً من الآخرة.

وهناك من يفهم العبادة بدرجة أرقى وهو أن يتفاعل مع العبادة على أنّها ذات معطيات أبعد كما هو الاحتمال الثاني الذي طرح في النقطة الثانية وكما هو الأرقى من الكل كما هو الاحتمال الثالث الذي طرح في النقطة الثالثة، وبالتالي أن أولئك -

أي أصحاب هذه التقسيمات الثلاث - يؤدّون العبادة وبالتالي لهم نصيب خير في الآخرة، ولكن كما هو ظاهر فإن لكل نصيب يختلف عن الآخر من حيث كمية العطاء ونوع الثواب ودرجات الفوز بالجنة.

س: على الاحتمال الأخير الذي ذكرته في النقطة السابعة قد جعلت أصحاب القول الأول هم من المرضيين عند الله لكونهم يؤدّون العبادة إلى الله ولكن تفاعلهم العرضي الدائم معها هو الاتجاه الواحد وبالجانب الواحد وهو أنها باب من أبواب العطاء المادي في الدنيا، أقول: إذا كان هذا النوع من الطلب مسموحاً به شرعاً وفيه روايات تؤكد وجود هذا النوع من العطاء في العبادة، فلماذا تشم رائحة التوبيخ وعدم القبول الإلهي لهذا النموذج من الطلب والتفاعل مع العبادة مادامت النتيجة أنهم يعدّون من الملتزمين بالعبادة ويدخلون الجنة؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

أولاً: أن عملية التوبيخ لهذا النوع من التفاعل مع العبادة يوجّهه كل صاحب ذوق وعقل وفهم للعبادة لأصحاب هذا النموذج، فهو مخالف لذوق عقلائي وشرعي.

ثانياً: أن هذا النوع من التفاعل يحجّر العقل ويجعله لا يفكر إلا في جانب واحد مع أن العبادة لها معطياتها الروحية والفكرية التي تجعل العابد يفكر بالمشاكل النوعية التي يمرّ بها الإسلام والمسلمين في العالم فيؤثر في طلبه الله في أثناء عبادته، فتراه يطلب نصرة الإسلام والمسلمين وأن يرفع الحق ويهق الباطل وأن

ينصر جيوش المسلمين وأن يسند العلماء العاملين وغيره من الطلب الواعي الذي يستثمره العابد في عبادته.

ثالثاً: أن هذا النوع من التفاعل يحصر تفاعل العابد مع نوع خاص من العبادة وهو رخاء العبادة، فلا تجده يتفاعل مع الجهاد في سبيل الله؛ لأن فيه قتلاً ويتخلف عن كل وحدة عبادية فيها بذل الجهد وتحمل المعاناة من دون ربح ملموس وإن كانت هي الأهم في نظر الشرع.

رابعاً: أن هذا النوع من التفاعل يولد الأنانية والحرص على الحياة وعدم الايثار وعدم الاهتمام بالجمع وغيرها من الأمور التي تعاكس الهدف التربوي المراد من العبادة.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾؟

ج:

١- واذكروا الله تعالى بالذكر الخاص وفي الأيام الخاصة وهي أيام التشريق، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن ﴿أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ أنه قال: «أيام التشريق»^(١)، وأيام التشريق هي ثلاثة أيام بعد النحر وهي يوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة.

٢- والدليل على أن هذه الأيام هي من ذي الحجة هو أن هذا الخطاب جاء من بعد نهاية الحاج من مناسكه، والدليل على أنها ثلاثة هو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ

في يَوْمَيْنِ ﴿ فيوم ينفر فيه ويومان يتعجل فيهما فيكون المجموع ثلاثة. ٣- أن الحاج الذي اتقى المحرمات وأتى المناسك بصورتها الصحيحة فهو مغفور الذنوب سواء تعجل باليومين أم لم يتعجل وبقي في منى، وأما من لم يتق تروكات الإحرام فعليه البقاء في منى أيام التشريق ليذكر الله ويطلب منه الغفران والتوبة. ورد عن الإمام الباقر عليه السلام عندما سئل عن قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ﴾ الآية أنه قال: «لَمَنْ اتَّقَى الرَّفَثَ وَالْفِسْقَ وَالْجِدَالَ وَمَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي إِحْرَامِهِ»^(١)، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الآية أنه قال: «ليس هو على أن ذلك واسع إن شاء صنع ذا، لكنه يرجع مغفوراً له لا ذنب له»^(٢).

٤- أن هذا الذكر في أيام التشريق هو من المستحبات، وأن الذكر بالتهليل والتكبير يبدأ من بعد ظهر يوم النحر إلى فجر اليوم الثالث، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ أنه قال: «التكبير في أيام التشريق من صلاة الظهر من يوم النحر إلى صلاة الفجر من اليوم الثالث»^(٣). ٥- ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أنها وصية الله وأمره بتقواه العامة في جميع حياة الفرد، وأن تبقى روحية الحج وأخلاقية الحج وما ذكرته بيوم الحشر من خلال حشر الناس في الحج، يجب أن تبقى مع الإنسان محافظاً عليها في جميع أيامه ولم تكن مختصرة على أيام الحج، وكل ذلك من أجل أن

(١) الفقيه ٢: ٤٨٠/٣٠١٧.

(٢) الفقيه ٢: ٤٨٢/٣٠٢٦.

(٣) الكافي ٤: ١/٥١٦.

يعتق الله أواصر الترابط مع عباده ليكون الله تحت ألسنتهم وفي أعماق قلوبهم
وأمام كل فعل من أفعالهم التي يقدمون عليها.

س: تحدّث ما تعرفه عن عطاء الحج.

ج:

أولاً: الحج صورة من أوضاع الصور التي تتجسّد فيه الوحدة الإلهية.

ثانياً: الحج صورة من أوضاع صور وحدة الأمة الإسلامية.

ثالثاً: الحج صورة من أوضاع صور تجسيد العبودية لله من قبل الجمع الغفير،

ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «... وفرض عليكم حجّ بيته الحرام الذي

جعله قبلةً للأنام، يردونه ورود الأتعام، ويأهون إليه ولوه الحمام، وجعله سبحانه

علامة لتواضعهم لعظمته وإذعانهم لعزّته»^(١).

رابعاً: الحج صورة من أوضاع الصور التي تذكّر الإنسان بالحرش في يوم القيامة.

خامساً: الحج صورة من أوضاع الصور التي تعكس الهيبة العظمى للإسلام

والمسلمين، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته عند وفاته أنه قال: «الله الله

في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم، فإنّه إن ترك لم تُناظروا»^(٢).

سادساً: الحج صورة من أوضاع الصور التي تدعو إلى ضرورة لجوء الإنسانية

جميعاً إلى الربّ الواحد والعقيدة الواحدة والدين الواحد والعمل العبادي الواحد

والتجمّع الواحد حول المحور الواحد، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ

مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦)، ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ

(١) نهج البلاغة ١: ١/٢٧.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٤٧/٧٧.

الأكبر أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ» (التوبة: ٣).

سابعاً: الحج أفضل مكان للتعارف بين المسلمين والتعرّف على المشاكل المختلفة التي يعيشها المسلمون في العالم، ورد عن هشام بن الحكم أنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له: ما العلة التي من أجلها كلف الله العباد الحج والطواف بالبيت؟ فقال: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ ... وَأَمْرَهُمْ بِمَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِ الطَّاعَةِ فِي الدِّينِ، وَمَصْلِحَتِهِمْ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُمْ، فَجَعَلَ فِيهِ الْاجْتِمَاعَ مِنَ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ لِيَتَعَارَفُوا، وَلِيَنْزِعَ كُلُّ قَوْمٍ مِنَ التَّجَارَاتِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ، وَلِيَنْتَفِعَ بِذَلِكَ الْمَكَارِي وَالْجَمَالَ، وَلِتَعْرِفَ آثَارَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَتَعْرِفَ أَخْبَارَهُ وَيَذَكَرَ وَلَا يَنْسَى، وَلَوْ كَانَ كُلُّ قَوْمٍ إِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ عَلَى بِلَادِهِمْ وَمَا فِيهَا هَلَكُوا وَخَرِبَتِ الْبِلَادُ، وَسَقَطَتِ الْجَلْبُ وَالْأَرْبَاحُ، وَعَمِيَتِ الْأَخْبَارُ، وَلَمْ تَتَّقُوا عَلَى ذَلِكَ، فَذَلِكَ عِلَّةُ الْحَجِّ»^(١).

ثامناً: الحج أفضل فرصة لتبليغ المسلمين لما يُراد منهم أن يفهموه سواء المتعلّق بهم أو ما يتعلّق بأعيانهم أو ما يتعلّق بالشرعية، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ أُمِرَ بِالْحَجِّ؟ قِيلَ: لِعِلَّةِ الْوَفَادَةِ وَطَلْبِ الزِّيَارَةِ ... مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّنْفِيقِ وَنَقْلِ أَخْبَارِ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِلَى كُلِّ صَقْعٍ وَنَاحِيَةٍ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ...﴾ و ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ هُمْ﴾»^(٢).

تاسعاً: الحج باب من أبواب الصحة البدنية لما فيه من الحركة البدنية ولما في هوائه وتراجه ومائه من العناصر الخاصة التي قد تدخل في الصحة البدنية، ورد عن

(١) علل الشرائع ٢: ٤٠٥/٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٢٦.

الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «حجّوا واعتَمروا، تصحّ أجسامكم، وتتّسع أرزاقكم، ويصلح إيمانكم، وتكفوا مؤنة الناس ومؤنة عيالاتكم»^(١)، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ماء زمزم شفاء لما شرب له»^(٢).

عاشراً: الحج باب من أكثر الأبواب ضماناً لقبول التوبة وغفران الذنوب، ﴿تَعَجَّلْ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ (البقرة: ٢٠٣)، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنّ الحاج إذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئاً ولم يضعه إلا كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، فإذا ركب بعيره لم يرفع خفّاً ولم يضعه إلا كتب الله له مثل ذلك، وإذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه، وإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه، وإذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه» وإذا وقف بالمشعر خرج من ذنوبه، وإذا رمى الجمرات خرج من ذنوبه، فعذ رسول الله صلى الله عليه وآله كذا وكذا موطناً كلّها تخرجه من ذنوبه ثمّ قال: «فأنت لك تبلغ ما بلغ الحاج»^(٣)، وورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «حقّ الحجّ أن تعلم أنّه وفادة إلى ربّك، وفرار إليه من ذنوبك، وبه قبول توبتك، قضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك»^(٤).

الحادي عشر: الحجّ متكوّن من مناسك، فلو وقفت على كلّ منسك لأخذت من كلّ منسك دروساً وعبراً تحتاج إلى كتب مستقلة بها، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه

(١) الكافي ٤: ٢٥٢/١.

(٢) الفقيه ٢: ٢٠٨/٢١٦٤.

(٣) التهذيب ٥: ١٩/٥٦.

(٤) وسائل الشيعة ١٥: ١٧٢/٢٠٢٢٦.

قال: «ما من بقعة أحب إلى الله تعالى من المسعى لأنه يذل فيه كل جبار»^(١).

الثاني عشر: الحج لأهميته العظيمة في الإسلام واهتمامه العظيم به أن منحه الدولة الإسلامية حق إخراج المسلمين إلى الحج لو أنهم تركوا الحج جميعاً، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لو أن الناس تركوا الحج لكان على الوالي أن يجبرهم على ذلك، وعلى المقام عنده، ولو تركوا زيارة النبي صلى الله عليه وآله لكان على الوالي أن يجبرهم على ذلك، وعلى المقام عنده، فإن لم تكن لهم أموال أنفق عليهم من بيت مال المسلمين»^(٢).

الثالث عشر: الحج يلقي حججه على الذين لا يتمسكون بالإسلام لما فيه من الآيات الباهرات، ويشير أمامهم مئات الأسئلة والأجوبة بحيث لا تدعه يمر على هذا المنسك مروراً عابراً، فهو أكبر المعابد في العالم وأكثرها حشراً من العابدين وأوضحها تجسيداً لوحداية الله ووحدة اللجوء المجرّد إليه سبحانه.

س: لماذا جعل الله بيته في تلك الصحراء ومثكوناً من تلك الأحجار البسيطة العادية الخالية من أي قيمة مادية بذاتها؟

ج:

يجيب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على هذا السؤال في خطبته التي سميت بالخطبة الصاعقة أنه قال: «ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم صلوات الله عليه إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله الله للناس قياماً! ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض

(١) الكافي ٤: ٤٣٤/٣.

(٢) الكافي ٤: ٢٧٢/١.

حجرأ، وأقلّ نتائق الدنيا مدارأ، وأضيق بطون الأودية قطراً، بين جبال خشنة ورمال دمثة، وعيون وشلة، وقرى منقطعة، لا يزكو بها خفّ ولا حافر ولا ظلف، ثمّ أمر سبحانه آدم وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه، فصار مثابة لمنتجع أسفارهم، وغاية لملق رحالمهم، تهوي إليه ثمار الأفئدة من مفاوز قفار سحيقة، ومهاوي فجاج عميقة، وجزائر بحار منقطعة، حتّى يهزّ مناكبهم ذللاً، يهلّون لله حوله، ويرملون على أقدامهم، شعثاً غبراً له، قد نبذوا السراويل وراء ظهورهم، وشوهوا باعفاء الشعور محاسن خلقهم، ابتلاءً عظيماً، وامتحاناً شديداً، واختباراً مبيناً، وتمحيصاً بليغاً، جعله الله تعالى سبباً لرحمته، ووصلة إلى جنّته.

ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام. بين جنّات وأنهار، وسهل وقرار، جمّ الأشجار، داني الثمار ملتفّ البنى، متّصل القرى، بين برّة سمراء وروضة خضراء، وأرياف محدقة، وعراض مغدقة، وزروع ناظرة، وطرق عامرة، لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء. ولو كان الأساس المحمول عليها، والأحجار المرفوع بها، بين زمرد خضراء، وياقوتة حمراء، ونور وضياء، لخفّف ذلك مصارعة الشكّ في الصدور، ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب، ولتنقّ معتلج الرّيب من الناس، ولكنّ الله يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويستعبّدهم بأنواع المجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره، إخراجاً للتكبر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فتحة إلى فضله، وأسباباً ذللاً لعفوه»^(١).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ • وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ • وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ • وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ • فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ •﴾ (البقرة: ٢٠٤-٢٠٩)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات هذه الآيات؟

ج:

- ١- ألد الخصام: شدة الخصومة والعداوة.
- ٢- العزة: أ- القوة الغلبة. ب- التفرد.
- ٣- حسبه: الكفاية من الجزاء.
- ٤- المهاد: المأوى من كل شيء.
- ٥- الابتغاء: الطلب.
- ٦- السلم: التسليم.
- ٧- كافة: جميعاً.
- ٨- الزلّة: العثرة.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾؟

ج:

أولاً: تقسيم جديد لنموذج من الناس إما أن يكونوا من المؤمنين الواقعيين في مرض الرياء والنفاق العملي من حيث يشعرون أو لا يشعرون، أو هم من المنافقين عقائدياً، يعرض الله لنا جانباً من جوانب سلوكهم في الحياة من جهة ومع المؤمنين من جهة أخرى.

ثانياً: أن هذا العرض لهذا النموذج ينفع المؤمنين في شيئين، هما:

١- حتى لا يقع المؤمنون بالنفاق العملي من خلال ممارستهم لهذا النوع من العمل والسلوك.

٢- حتى لا يندعوا بالشخصية مهما أظهرت إخلاصها ومهما قدمت الأيمان المغلظة على ذلك ومهما امتلكت من مقومات الخطاب الإسلامي الجذاب ومهما كانت تمتلك من حسن المنظر وسيماء المؤمنين، فإن الحق لا يقاس بالرجال.

ثالثاً: أن هذا النموذج من الناس عندما يتحدث يعجب السامع من حديثه لما فيه من كلمات الإيمان ولما فيه من حسن أداء الفكرة الإسلامية وبيانها، لكن هذا النوع من التعجب ينطلي على الجاهلين بالشخصية أو الجاهلين بالفكر الذي يطرحه هذا النموذج من الناس؛ لأن استعمال كلمة (يعجبك) هي حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء، فلو كان المؤمن مطلعاً على واقع الشخصية ممّا تحمله من الرياء وحب الظهور، أو كان مطلعاً على المغالطات الفكرية في طرحه أو

على عدم الانسجام بين واقع الشخصية المنحرف وما يطرحه من الفكر لما تعجب المؤمن المستمع، بل لكان من الممتعضين أو الراضين للاستماع له أو لاتخاذ أي موقف آخر غير التعجب به أو بما قاله.

وابعداً: أن هذا النموذج يحلف ويجعل الله كشاهد على ما في قلبه بأنه مخلص لله وللناس في شخصيته ونهجه الفكري، ولكن هل المسألة تقف عند ما يدعيه وما يؤكد عليه من خلال حلفه على ما يدعي؟! ومن من الظالمين لا يدعي الإخلاص ظاهراً؟! وهل رأيت أحداً من الظالمين والمنحرفين يقول: أنا أريد الانحراف والجريمة؟! وهل تجد أحداً من الظالمين والمنحرفين إلا ويمتلك أنواع المبررات لظلمه وانحرافه؟!

خامساً: ﴿أَلِدُ الخِصَامِ﴾ هذا هو أحد المقاييس الصحيحة التي يضعها الله أمام المؤمنين للتعرف على الشخصية ومنهجها الفكري في عملية التأثير والتأثر والاتباع حتى لو كان من عوام الناس، وهو السلوك العملي الذي تسير عليه الشخصية وما تدعو إليه، فإذا كان حرباً على المؤمنين ودعوة تدعو إلى تفريق الصف المؤمن وتحاول زرع العداوة والبغضاء بينهم لأي مبرر كان فهي شخصية ودعوة كاذبة لا تمت إلى الله بصلة؛ لأن الخط العام لله وللقرآن وللأنبياء وللمؤمنين وكل ما يتصل بالسماء هو سائر في دعم المؤمنين وتقويتهم والانفتاح عليهم والأخوة والمحبة بينهم والتنازل والذلة لهم والإيثار فيما بينهم واستعمال أحسن الكلمات معهم وانسراح الصدر لهم وغيرها من الأمور المعروفة والواضحة التي أوصى بها الله ورسوله وأهل بيته للمؤمنين، فلا تقول لي: إنه عالم، ولا تقول لي: إنه صاحب حركة أو مؤسسة إسلامية، ولا تقول لي: إنه أكبر من ذلك وأكثر، فإنه كاذب هو وما يدعيه

مادام يخاصم المؤمنين وينصب لهم العداة بوجه من الوجوه.

سادساً: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ﴾ ... مقياس عملي آخر يضعه الله أمام

المؤمنين ليتعرفوا على شخصية المدعي ومنهجية دعواه، ذلك عندما:

١- تراقب عمله وهو يتولى ويعرض عن المؤمنين وينفرد بجماعته ومؤيديه كيف

ينم بين المؤمنين؟! وكيف يحرض بعض المؤمنين على بعض؟! وكيف يحذر

البعض على عدم الحضور في مجالس المؤمنين والاطلاع على همومهم

الرسالية وتقييمهم الواقعي للشخصية والأحداث التي تُبتلى بها الساحة

الإسلامية؟! وكيف يخطط لصد حركة المؤمنين ونشاطاتهم؟! وكيف ينشر

الإشاعات والأكاذيب على المؤمنين ليشغل الساحة الإسلامية بما يجلب لهم

التخلف وهم يعتقدون أنهم سائرون في الحركة الحماسية للإسلام!.

٢- تراقب عمله عندما تسمح له الفرصة في أن يتولى شريحة اجتماعية أو مسؤولية

مؤسسة من المؤسسات أو سلطة من السلطات التي يتمناها وبذل الجهد الكبير

في إظهار إخلاصه من أجل الوصول إليها، هنا وعند بلوغ مناه في هذه الدوائر

العملية تظهر النوايا والخفايا، فستجده كتلة من نار الحقد واللؤم والحسد على

المؤمنين لا يهته شيئاً إلا إعلان الحرب والدمار عليهم أين ما وجدوا، ويهلك

كل ما يتعلق بحياتهم، وأن هذه الحالة تصدر حتى من المؤمنين الذين وقعوا

في حب الدنيا وحب السلطة وحب الظهور والحفاظ على مصالحهم باسم

المصلحة الإسلامية وتركوا لأنفسهم حبلها في التعدي واستدرجوا شيئاً فشيئاً

إلى ما فيه الابتعاد عن الرسالة وما تدعو إليه وهم يعلمون بأنهم يحاربون

أفضل شرائح الناس وهي شريحة المؤمنين العاملين الرساليين.

٣- أن ترك هذا النموذج من الناس أو التأثر به من قِبَل البعض من دون تدبّر وروية يعني تضعيفاً للمؤمنين وتمزيقاً للصف الإيماني، بمعنى آخر: أن تركهم يعملون بحرّيتهم هو نشر للفساد والمعاصي في البلاد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ أي أنه متروك للمؤمنين أن يسعوا في تدمير كل ما لا يحبه الله ورفض كل شخصية تحارب المؤمنين وتحاول أن تمنع كلمتهم، فإذا لم يعملوا بما أمرهم الله من قطع يد الفساد وتحجيم نشاط مثل هذه الشخصيات فإن أثر العمل السيئ سوف تكون نتائجه سيئة، وسيئته ستشمل الكل من التخلف والذلة والتفرقة والضعف في جميع الأصعدة، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦).

سابعاً: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ...﴾

وهذا مقياس عملي آخر يقدمه الله للمؤمنين من خلال هذه التوصية الدارجة بين المؤمنين، وهذه هي أفضل النصيحة التي يفرح لها المؤمنون، وهذا هو القول الذي لا يقدمه المؤمن إلا إلى المؤمنين الذين يقيمون تقوى الله، وهذه هي باب تذكرة المؤمن عندما يراه أخوه المؤمن في أنه يخطأ أو يعصي، وهي أن يتقي الله، فإذا سمع الإنسان المؤمن هذه الكلمة وكان مؤمناً حقاً تكون له رادعاً ويشكر صاحب هذه الكلمة التي صدرت منه لأنه أمره بتقوى الله وترك معاصيه، وهي عمود رحي الإنسان المؤمن في الحياة في أن يدور حول هذه الكلمة لا غير، إلا هؤلاء النماذج من الناس فإنهم يمتعضون من هذه الكلمة ومن أي نصيحة تقدم لهم في هذا المجرى من قبل المؤمنين، وتأخذهم العزة بالإثم فلا يتراجعون، وبالتالي

يكون مصيرهم النار التي مهّدوا إليها أنفسهم وجعلوها مهّداً لهم بما كسبت أيديهم
ولبئس المهّاد.

س: ما هي الاحتمالات في تفسير قوله تعالى: ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾؟

ج:

١- لا يتجاوب مع النصيحة؛ لأنه امتلك عزّة ووجوداً متميّزاً حصل عليه عن هذا
الطريق وهو طريق المعصية والإثم.

٢- أن هذه العزّة التي حصل عليها من القوّة والجماعة والوجاهة والأمر والنهي
وتسليط أضواء الإعلام عليه وغيرها من أمور العزّة الدنيوية قد نمت عنده
وأخذت مأخذها في نفسه، بحيث أصبحت من القوّة أن تأخذه وتسيطر عليه
وتجعله يقلب كلّ الموازين، وإنّ أيّ نصيحة تقدّم إليه من قبل المؤمنين يحسبها
منافسة على عزّه فيظلّ محافظاً عليه أكثر ومحارباً للمؤمنين أكثر ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِذَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ
بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة: ٣٨).

٣- أخذته العزّة بالإثم لأنه لا يريد أن يعطي لنفسه في أن يفكر بعمله الذي قطع فيه
أشواطاً كبيرة من الجهد والعمر ليكتشف خطأ كلّ عمله، فلا يستجيب للنصيحة
التي تذكره بتقوى الله وتكشف انحراف عمله وبالتالي تسلب كلّ العزّة التي
صار وجوده فيها، فيبقى محافظاً ومدافعاً عن كلّ متبنياته وسير عمله المنحرف
وترفده هذه العزّة بالإثم بعد الإثم وبمبّررات تلو مبّررات وحرب بعد حرب
ضدّ المؤمنين ولم يمنعه من ذلك إلا نار جهنّم ولبئس المهّاد.

٤- أخذته العزّة بالاستكبار الذي وقع فيه بحيث يرى نفسه أكبر من أن يُقدّم له أحد

نصيحة، أو أنه أكبر من أن يستجيب لنصيحة أحد، بل هو بيده النظارة والقيومة على الآخرين من خلال ما حصل عليه من عز الدنيا، فالحق والصحيح ما يراه هو لا ما يراه المؤمنون، وإن برنامج العمل هو الذي يحدده للمؤمنين لا أن يحدده غيره له، وهذا النموذج لم يكن غريباً على الأمة الإسلامية فهي مبتلية به على طول الخط.

٥- أن الظاهر من الآية ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾، ﴿فَحَسْبُ جَهَنَّمَ﴾، أنه من الصعب إذا وقع الإنسان في هذا المسلك أن يتراجع عنه فلا يكون له قرار إلا النار، وعليه أن يكون المؤمن حذراً جداً في أن يقع في هذا المسلك الشيطاني، وألا يسمح لنفسه أن يسير على هذا المنحى أو يتأثر به، لأنه سيكون مقدّمة للوقوع فيه فيكون مثل ذلك النموذج أو أكثر منه.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾؟

ج:

١- أنه نموذج من المؤمنين لا يبحث عن عز الدنيا ولا يريد أن يعيش على الدين ولا يريد أن يستغل عنوان الدين للوصول إلى ما يرموا إليه من مراكز الدنيا، بل على العكس من ذلك حيث قدّم نفسه ووجوده ثمناً مقابل طلب مرضاة الله، فهان عليه كل زهرج الحياة، فهو بذلك يسلك كل طريق فيه مرضاة الله، ويتقبل كل نصيحة مادامت فيها مرضاة الله، ويصحح كل خطأ يقع فيه مادام فيه مرضات لله، ويسعى ألا يخدش كرامة مؤمن مادام فيه مرضاة الله... وهكذا لا تجد من هذا النموذج فعلاً يصدر منه إلا فيه خير الدنيا والآخرة.

٢- وبما أن الله رؤوف بالعباد فهو يريد هذا النوع من النموذج الإنساني الإيماني؛ لأن في هذا النموذج الخير والمحبة والاحترام والخوف من الله ومراقبته فيما يرضاه وفيه تنمو الكفاءات الإيمانية وتبرز مواهبها وفيه عزة المؤمنين ورض صفوفهم وفيه الاطمئنان الروحي والنفسي وفيه ما يزرع الثقة والإبداع وفيه يتوجه المؤمنون لحل قضاياهم المصيرية ويكون شغلهم الشاغل بما هو الأهم من أمورهم.

٣- أن هذا النموذج لا يتبع إلا العلم واليقين على كل ما يقدم عليه ويتأثر به ولا ينخدع بالأباطيل التي تطرح من هنا وهناك مادام يمتلك الفهم الإسلامي الرصين ولا يتبع الشخصيات المهزوزة الضعيفة في علمها وفهمها مهما علت بنظر الجاهلين، فإن هذه الآية نزلت في حق أمير المؤمنين عليه السلام حينما اتبع الرسول صلى الله عليه وآله ووصل به الأمر أن ينذر نفسه للموت قتلاً بدلاً عن الرسول صلى الله عليه وآله وفداء له حينما قرّر الرسول صلى الله عليه وآله الهجرة إلى المدينة لأنه على يقين أنه على مرضاة الله، بات أمير المؤمنين عليه السلام على فراش التحدي للقتل وهو في أتم الراحة والاطمئنان، وهذا هو الذي يريده الله لأنه رؤوف بالعباد حينما جعل على الأرض مثل هذا النموذج يعيش على الأرض، وسينصرهم في الدنيا والآخرة لأنه رؤوف بالعباد، وسيجعل خطهم ومنهجهم هو الخالد، وأن يجعل شخصياتهم هي المثل الأعلى والخالدة على طول الدهر لأنه رؤوف بالعباد، لأن الرؤوف يقدم أكثر مما قدم إليه، فماذا تنتظر ما يقدمه الرؤوف لمن قدم إليه نفسه ووجوده ابتغاء لمرضاته لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره؟! ورد عن علي بن الحسين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ الآية أنه

قال: «نزلت في علي عليه السلام حين بات في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(١)، وسميت تلك الليلة التي بات فيها علي عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ليلة المبيت).

٤- أن هذه الآية تعرض أعلى نموذج البيع والشراء مع الله والتي يكون فيها المشتري هو الله والبائع هو الإنسان المؤمن، الثمن هو مرضاة الله والمثمن النفس، وهناك معاملة أخرى يكون فيه الثمن الذي يدفعه الله هو الفوز بالجنة ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١).

وبهذا نعرف أن كل مؤمن سار في طريق الجهاد الإسلامي وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر لا طمع له إلا مرضاة الله ولا مصلحة له إلا المصلحة الإسلامية متحملاً الأذى في سبيل الله لا تأخذه في الله لومة لائم، فهو من قد باع نفسه لله وكان الله المشتري لنفسه وسوف يفوز بما أعده الله له من الدرجات الرفيعة والمنزلة العظيمة في الآخرة.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ ... فَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؟

ج:

١- دعوة إلى الاستسلام لله من خلال تطبيق أوامره ونواهيه ومن خلال تطبيق مشروعه الإسلامي الشامل لجميع مرافق الحياة، ودعوة لما فيه الأخذ بقوة

(١) الأمالى للطوسي: ٩٩٦/٤٤٦.

لكل ما يمثل السماء، فإن في الأخذ ما أنزله الله بقوة هو من لوازم الاستسلام لله.

٢- الإسلام دين السلام لا دين الإرهاب كما يتهمونه بذلك، فهو يدعو إلى أي مشروع سلمي بين المؤمنين أنفسهم وبينهم وبين غيرهم بشرط ألا يُخدش أي مبدأ من مبادئه ولا يغيّر أي ثابت من ثوابته، فالإسلام له القابلية أن يتعايش مع كل أفراد البشر على اختلاف نحلهم لما يمتلك من قوة الحجة والتغيير والتأثير.

٣- في كل دائرة يمكن فيها زرع السلام مع أي طرف كان وقد تخطى وتعدى ذلك بتعطيله أو عرقلته فهو خطوة من خطوات الشيطان لما في تعطيل عملية السلام من مخالفة لمنهجية الله ومشروعه السلمي.

٤- يجب على المؤمنين أن يراعوا مسألة السلم وقوانين السلم في الإسلام؛ لأن السلم مع الناس هو نموذج من الاستسلام لله ولدينه، فمن قوانين السلم أن الإسلام يعلو ولا يُعلى عليه، وأنه لا تغيير في ثوابته، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين... إلى غير ذلك من الأمور الثابتة، وأن أي زلة وتعدّي على هذه القوانين الإسلامية والآيات البيّنات يعدّ اتباعاً لخطوات الشيطان، ﴿فَإِنْ زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾، وإذا كانت كذلك فإن الله لم يكن محتاجاً إلى مثل هذه المشاريع السلمية التي يضيع فيها الحق وتختلف فيه موازينه، فإن الله أراد من مشروع السلام كطريق لانتشار الحق وعلو أصحابه لا لتضييعه وذلة أصحابه، وإلا إذا اقتضى الأمر أن يتدخل الله فإنه عزيز لا يقهر وهو المتفرد بملكه وهو الحكيم الذي يعلم كيف يضع الشيء في موضعه وكيف يضع الحل

المناسب لكل مشكلة تأتي على دينه والمتدينين به، فإن شاء أبدا المؤمنين
بقوم آخرين، وإن شاء أهلك عدوهم، ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامي

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ • سَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ • زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿ (البقرة: ٢١٠-٢١٢).

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:

١- ظلل: الظل من الشمس.

٢- قضي: أ- الإتمام. ب- مضي.

٣- الأمر: الحدث والموقف والفعل.

٤- يسخرون: يستهزئون.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾؟

ج:

١- أنه نوع من التوبيخ إلى المؤمنين الذين يتوانون عن واجبهم الشرعي تاركين الأمور كلياً على الله وتدخله المباشر في إصلاح الأمور العامة والخاصة، فيقول الله لهم: وكأنكم تنتظرون المعجزة بأن يأتي الله بأمره مع الغمام ذي ظلل ومع الملائكة ليصلحوا لكم الأمر وأنتم في راحة تستظلون تحت ظلل

الغمائم وفي راحة من أي تكليف وبذل جهد، وهذا مستحيل تحقيقه في الدنيا التي بنيت على الابتلاء والتكليف ونهوض المؤمنين بالأمر وسيرها ضمن أسبابها الطبيعية وأما إذا اعتمدتم على المعجز في كل ابتلاء فقد انتهى أمر الحياة وهدفها القائم على الابتلاء حيث كل شيء يرجع إلى الله، وإذا رجع الشيء إلى الله وتدخل فيه بالمباشرة فلا وجود بعد للحالة المخالفة، بل الكل سيكون في إيمان وأمان ولا حاجة لرسول ولا كتب، وهذا وإن كان ممكناً في نفسه إلا أنه مستحيل تحقيقه؛ لأنه يفقد الحياة هدفها وقيمتها ويفقد الإنسان خلافته على الأرض وقابلياته في الإبداع وهو يعيش التسابق والتنافس وحالة الصراع على الأرض.

٢- أنها بشارة للمؤمنين، عندما يتحرك المؤمنون لمواجهة الانحراف في قتال أو سلم فإنهم في جميع الأحوال تحت رقابة الله وسمعه وبصره، وعند وصولهم إلى حالة الذروة من الحاجة والتدخل المباشر من الله بنصرهم فسيجدون الله يأتيهم بالنصر بأمره ويرسل عليهم من وسائل النصر المعدة لهم من ظلل الغمام والملائكة، ويقضي الأمر، وتحديد ضرورة الأمر وتقديره بيده؛ لأن كل شيء يرجع إليه سبحانه بصورة عامة، وظلل الغمام والملائكة بصورة خاصة يرجع أمرها إلى الله من دون اختيار منها.

٣- أنه يتحدث عن أمر الساعة ويوم القيامة، وأنها كيف تأتي بغتة للناس؟ ذلك عندما تنتهي الحياة ويرجع الأمر كله لله، فهي على غرار قوله تعالى: ﴿قَهْلُ يُنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ (محمد: ١٨).

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمُ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾؟

ج:

أن إرسال الملائكة وظلل الغمام وكل أمر معجز لم يكن أمراً صعباً على الله، بل قد وقع الشيء الكثير منه، وإذا تريد أن تعرف وقوع ذلك فيكفي أن تسأل بني إسرائيل ليجيبك القرآن عن ذلك ويخبرك بعدد الآيات والمعاجز التي نزلت عليهم والتي شاهدوها بأعينهم ومارسوا ثمارها بأيديهم، فقد أرسلت إليهم ظلل الغمام ليستظلوا بها من حرّ الشمس وأنزلت عليهم المنّ والسلوى وأنزلت عليهم من المعاجز ما لم تنزل على أمة من قبلهم ولا من بعدهم، إلا أنه لم يعالج كل الانحراف الذي وقع به بنو إسرائيل. فالذين يحسبون للمعجزة ويتصورون أنها تنهي كل شيء فإنهم مخطئون.

مركز تحقيقات كاميون علوم إسلامي

هذا بالإضافة إلى أن طلب المعجز ليس بالأمر الهين عليكم؛ لأن من شروط طلب المعجز هو عدم تبدل الموضوع الذي لأجله استجاب الله له في صنع المعجز، وإذا حصل أي تبدل فسوف تنزل البلوى والعقاب في الدنيا ويكون مصير الجميع النار في الآخرة، وهذه الحقيقة تجدونها واضحة مع أي قوم طلبوا المعجز وبدلوا نعمتها وخالفوا شروط نزولها، ومن منكم يضمن بالتزام الجميع بشروط المعجز حتى تستسلموا وانتظار نزولها من قبل الله؟! فعلى هذا أيها المؤمنون يجب أن تتحركوا وأنتم تريدون تغيير الحياة نحو الأفضل وعلى ما يريد الله منكم وليؤدي كل إنسان دوره في الحياة وعلى الله فليتوكّل المتوكّلون، هذا هو الخط العام في

الحياة وعلى هذا يسير جميع المؤمنين في حركتهم وعملهم في الحياة.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿زَيْنَ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ
يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؟

ج:

بعدما سلط الله الضوء على طرف المؤمنين الذين يمثلون جانب الخير في حالة الصراع الدائم وركّز على بعض الجوانب التربوية التي تنفعهم في توجهاتهم وحركتهم وفي تعميق إيمانهم، هنا وفي هذه الآية التفت الله إلى الجانب الآخر الذي يمثل جانب الشر في حالة الصراع الدائم في الحياة وهم الكفار الذين جذبتهم زينة الحياة الدنيا فاغترّوا بفرورها وأصبح كل شيء بالنسبة لهم هي الدنيا وما فيها فهي مبدؤهم ومنتهاهم فتسلطوا على مادة الحياة التي ما هي إلا مطلية بطلاء الزينة، وأما حقيقتها فهي تراب لا غير، فَاتَكْرُوا اللَّهَ والمعاد من أجلها وأخذوا يسخرون ويستهزئون من المؤمنين والمتقين ويستذلّونهم في كل مكان بعدم الاهتمام بوجودهم أو بملاحقتهم، وسيأتي يوم القيامة ليروا بأعينهم أن الذين كانوا يسخرون منهم هم اليوم فوقهم من كل جهة من جهات العزة والنعيم والقرب والرعاية والرزق في الجنان الذي يعطيه الله لهم من دون حساب، فيا أيها المؤمنون لا تستحقروا أنفسكم عندما يسخر منكم الكافرون لأنكم أنتم الأعلون عند الله، ولأن الله قد ذخر لكم الرفعة عليهم يوم القيامة تلك الرفعة الحقيقية التي لا تقاس مع رفعة الدنيا فاصبروا واثبتوا وأصروا على ما أنتم عليه من تعميق الإيمان بأنفسكم وبدعوتكم للغير إلى الإيمان بالله وباليوم الآخر.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة: ٢١٣).

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات هذه الآية؟

ج:

بإذنه: الإرادة والمشئته.

س: اذكر المحتملات في تفسير مقاطع هذه الآية المذكورة أعلاه؟

ج:

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

أولاً: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

١- لم يكن الناس أمة واحدة من حيث الطبيعة التكوينية، فهم على ألوان وأشكال مختلفة يعيشون في بيئات مختلفة وتحت جو طبيعي مختلف، فمن الطبيعي أن هذا النوع من الاختلاف سينتج اختلافاً في الأمزجة والطباع والأفكار، ولكن لما كانت بداية الإنسان تتسم ببساطة الحياة وآلياتها وقلّة أفرادها تشاهد الناس جميعاً أمة واحدة من حيث الفكر والسلوك والهموم، فكلّ الناس ليس لهم همّ إلا الصراع مع الطبيعة ليكسبوا العيش وليس لهم اهتمام إلا الاهتمام بالوجود والصراع مع الطبيعة من أجل البقاء، ليس لهم علاقات اجتماعية إلا بقدر الجماعة التي ينتمون إليها، وليس لهم مشاكل نوعيّة تؤثر

على المجتمعات.

ولمَّا كثر الأفراد وتكوَّنت المجتمعات الإنسانية وكثر الأخذ والعطاء ونشأ الربح والخسارة ووُجد القويّ والضعيف وإنَّ الإنسان مقهور على المجتمع فهو اجتماعي الطبع، وأنَّ طبيعة الإنسان ظلوم جهول إن رأى الخير استغنى عن كلِّ رادع وناصح وأنَّه إلى الكفر أميل، هنا ظهر الظالم والمظلوم بدائرة أوسع، وبهذه الخصال الطبيعية التي يحملها تكوين الإنسان حصل الاختلاف الاجتماعي وأصبح خطراً يهدِّد مجتمعات وأممًا بعدما كان منحصرًا بدائرتة الضيقة.

وكان الناس أُمَّة واحدة بالجهل في حلِّ مشاكلها الاجتماعية، وأنَّ الناس أُمَّة واحدة في توجَّهاتها العقائدية يقود البعض منهم الإيمان الفطري والعبودية على ما يهديهم العقل لذلك.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أنه قال: «كانوا على فطرة الله لا مهتدين ولا ضلَّالاً فبعث الله النبيين»^(١).

إنَّ هذا النوع من الفهم والسلوك للحياة يكون الصراع. والاختلاف، وهو الحالة الطبيعية التي تعيشها أسر وأفراد وقبائل تلك الأُمَّة وذلك المجتمع، تستفزهم أبسط المشاكل في الحياة وتزهق من أجلها النفوس والأرواح، وأنَّ القوي فيها يأكل الضعيف والظالم يستضعف المظلوم.

٢- أنَّ حالة الناس هذه قد تكون فرضية الوجود، أي لو تُرك الناس من دون بعث الرسل والكتب لكانوا أُمَّة واحدة من حيث السذاجة الفكرية والهمجية في

(١) البحار ١١: ١/١٠،

السلوك، فكان الآيه تجيب عن سؤال مفترض. وقد تكون حالة الناس هذه حالة واقعيّة قد تحصل قبل بعثة كلّ نبي كما في الروايات التي تقول: إنّها حالة قبل نوح وإبراهيم وموسى وقبل عيسى وقبل الرسول، أو هي حالة واقعيّة واحدة على فترة من الزمن المعين وهي بداية الإنسان قبل أحد الأنبياء بالخصوص، والروايات مختلفة في ذلك.

ثانياً: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾

ومن أجل حلّ هذه الاختلافات الاجتماعية الطبيعية أنزل الله نظام الحياة المدوّن في الكتب السماوية عن طريق بعث الأنبياء والرسل، وكان عالم التكليف هو المسؤول عن رفع الاختلاف وتوحيد المجتمعات ويقرب البعيد ويعرف الغريب ويزرع الحب ويحلّ المشاكل من خلال تدوين الأحكام ورفع الإنسان من المستوى الحيواني إلى مستوى السماء والتفكير بها فيها ويهدب القوي ويحجّم دور الظالم وينهض بالمظلوم.

ثالثاً: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾
 إنّ إنزال الدين وبعث الأنبياء قد طوّر الإنسان، ورفع من جهات عديدة، وحلّ له الكثير من مشاكل الحياة، وجعله يشعر بوجوده العظيم على الأرض، إلّا أنّه أوقع المجتمع الإنساني في خلافاً غير تلك الاختلافات الطبيعية التي كانت تحصل بينهم حيث أوقعهم في الاختلاف في الدين، وأنّ سبب هذا النوع من الاختلاف لم يكن سببه الدين ولا الكتب السماوية ولا الأنبياء والرسل، فإنّ الكلّ كامل ومعصوم عن الزلل والخطأ، والكلّ يحمل القيم الإنسانية العالية، فالاختلاف كان نتيجة أيدي

العلماء الذين حملوا الكتب بعد الرسل، وتعصباتهم الجاهلية، ومصالحهم المختلفة، وأهوائهم الدنيوية، وآتباع البغي والحسد، وغيرها من الأسباب المرضية التي أدت إلى صنع هذا النوع من الاختلاف بين الناس، وفرقتهم وجعلتهم شيعاً على أساس الولاء الديني، فصارت اليهود والنصارى والمجوس والصابئة والمسلمون، وأصحاب الدين الواحد هم كذلك أصبحوا بسبب هذا الاختلاف مذاهب وفرقاً متعدّدة مختلفة ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ فهو لم يكن اختلافاً طبيعياً كالأول.

رابعاً: ﴿فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

إن من اللطف والرحمة الإلهية أن جعل كتبه بين متناول أيدي الناس ولم يجعل منهجه الذي وضعه للحياة سرّاً يتناولُه أشخاص معيّنون، هذا بالإضافة إلى أنه سبحانه وتعالى جعل خطاب منهجه بآيات بيّنات واضحات بصورة عامّة، وأنّ السنّة قد وضحت الشيء الكثير ممّا فيه الغموض والإبهام، وعلى هذا فإن اقتناص الحقّ والحقيقة من قبل أيّ إنسان له الطريق المفتوح والسهل، وقد سار بعض الناس بهذا الاتجاه وأرادوا الحقّ وطلبوا الوصول إليه بعيدين كلّ البعد عن كلّ عامل يمنع الوصول إليه من التقليد الأعمى والعصبية والانغلاق على النفس وعدم الاطلاع على الفكر الآخر من خلال الحوارات أو الكتب أو اللقاء مع الشخصيات من أصحاب الاختصاص، فوصلوا إليه ببذل جهد قليل لوضوح آيات الله المنسجمة مع أقلّ التفاتة عقلية مجردة، أو ببذل جهد كثير في بعض المسائل التي تحتاجه طبيعة تلك المسألة، وعندما رأى الله إخلاص هذا النموذج في طلب الحقّ سدّدهم وأوصلهم إلى ما يرمون إليه وزرع الإيمان في قلوبهم لإرادتهم واختيارهم له، فخلّصهم الله من

بين هذا الخضم من الاختلافات الدينية أو المذهبية وجعلهم يسرون على الصراط المستقيم الخالي من أي غلو أو نقصان الذي هداهم إليه بالهداية التشريعية الخاصة المباشرة، وقد وضّحنا هذا النوع من الهداية في بداية سورة البقرة.

س: ماذا تعطي الآية المذكورة بشكل عام وإجمالي؟

ج:

١- أن الإنسان لو ترك لم يهتد بالمعنى الكامل للهداية العقائدية، بل هي هداية مشوشة ناقصة معرضة للاضمحلال، ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْتَدِ رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ (الأنعام: ٧٧).

٢- أن الإنسان لو ترك من دون كتاب لا يهتدي إلى حل مشاكله وقطعها من الأصل، فرجوع الإنسان إلى الكتاب في حل مشاكله هو الضمان الوحيد والأفضل لذلك.

٣- ليس من حق الأمة أن تترك علماءها في أن يفتوا كيفما يشاؤون وأن يفسروا الكتاب كيف يشاؤون وأن يطرحوا آراءهم باسم الدين كيف يشاؤون؛ لأن ذلك هو الذي جعل الأمة الواحدة بعد نزول الآيات عليها أن تختلف وتتمحور حول الخطأ وتتعصب له الناس، فالتقليد الأعمى هو الذي أعطى الحرية لبعض العلماء في أن يفسدوا الأمة الواحدة ويجعلوها على شكل أمم، وكذلك على العلماء أن يشعروا بخطورة موقعهم وأن يتحسسوا بمسؤولياتهم وأن يعوا عمق تأثير الكلمة التي تصدر منهم، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعَوْا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: ٤٦).

٤- أن الاختلاف الحاصل من الإنسان قبل بعث الرسل ونزول الكتاب اختلاف كبير وخطير ومستحکم لا يمكن حله إلا عن طريق تدخل السماء، ونزول الكتاب

لجهل الإنسان وحاجته الطبيعية إلى المرشد، بينما الاختلاف الثاني ممكن للإنسان أن يتدخل في حله عندما يتجرد عن كل شيء إلا في اتباع الحق والتي عندها يكونون أمة واحدة لوجود الكتاب الذي فيه تبيان كل شيء، فإن عملية الاختلاف بعد نزول الكتاب لم تكن ناتجة من شبهة في الحق، وإنما هي اللجاجة والحسد واتباع الهوى والمصالح الشخصية ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران: ١٠٥).

٥- أن من أهم أهداف نزول الكتاب هو أن يحكم بين الناس، فهو نظام كامل للحياة فلا خصوصية له للرسم العبادي فقط، فإن ساحة الدين هي جميع شؤون الحياة.

٦- أن البحث عن الحق والهداية إليه والوصول إلى السير اليقيني عليه لم يكن متروكاً لمشتبهات الإنسان ورغباته، بل هو مسؤولية شرعية تقع على عاتق كل إنسان، وسيُسأل عنه يوم القيامة، وإن عدم المبالاة من قبل الناس ببذل الجهد في هذا الاتجاه ويقوا متكئين ليس لهم شأن إلا التلقف هو الذي أبقى الاختلاف على حاله ووسع دائرته، ورد: أن المكلف يقال له: لماذا لم تعمل؟ فإذا قال: لم أعلم، فيقال له: لماذا لم تتعلم؟^(١).

٧- ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ هذا يعني أن الاختلاف لازال موجوداً وأنه باق، وعلى الإنسان أن يتحرى الحق ويستخلصه من بين الاختلاف، ويسلك طريق الهداية التي أَرادها الله من الإنسان أن يصل إليها، وأن يتمسك

(١) دروس في علم الأصول ١: ٣٥٦.

بها ويدعو إليها، وبهذا يُتمن جهد الإنسان عند الله، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود: ١١٨-١١٩).

٨- أن هذه الآية تقسم المجتمع الديني إلى ثلاثة أقسام من جهة علاقتهم بالاختلاف، فمنهم من يسعى إليه بغياً، ومنهم من يسعى إلى اتخاذ الحق وسبيل الهداية ولا تأخذه لومة لائم من الوصول إليه والتمسك به من دون النظر إلى الاختلاف، بل ويحاول تحجيم الاختلاف من خلال التزامه بمبدأ الحق والهداية، ومنهم إمعة لا شأن لهم إلا أن يملي عليهم الآخرون فلا جهد عقلي ولا تفكير من أجل اقتناص الحقيقة ولا تحليل فيما قيل أو يقال وليس لهم شأن في كل ذلك، وهؤلاء هم يمثلون أكثر الناس.

٩- أن وجود الاختلاف ولأجل حله يحتاج إلى عاملين مهمين هو القانون العادل مع الحاكم العادل، وإن فقدان أحدهما لا يحل المشكلة ويبقى الاختلاف على ما هو عليه ولا يمكن أن يتحوّل الناس إلى أمة واحدة، ولهذا أرسل الله من أجل الحكم بين الناس لقلع جذور الاختلاف هذين العاملين الرئيسيين ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ ومن هنا يمكن أن نقول بأن الفحوى تدلّ على ضرورة الالتزام والإيمان بالإمامة والإمام المهدي المنتظر عليه السلام، تأمل تجد.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (البقرة: ٢١٤).

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- أم: منقطعة، وهمزتها للإتكار، لا تكون إلا متصلة بكلام، وتأتي بمعنى (بل).

٢- حسبتم: خلتهم وظننتهم.

٣- لمّا: أداة تأتي لتأكيد النفي مع توقع الحصول.

٤- مثل: الشبه.

٥- خلوا: مضوا.

٦- زلزلوا: أ- شدة الحركة والمزعجة. ب- العثرة بعد العثرة.

س: اذكر المحتملات في تفسير هذه الآية المذكورة أعلاه.

ج:

أولاً: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾

١- لا تظنوا أيها المؤمنون أن تدخلوا الجنة عن طريق الدعة والراحة، ورد عن

الرسول ﷺ أنه قال: «حفت الجنة بالمكاره، والنار بالشهوات»^(١).

٢- أيها المؤمنون هل أديتم ما عليكم من التكليف من الحج والقتال وابتغاء مرضاة

(١) روضة الراحطين: ٤٢١.

الله وسالتم من سالمكم والتزتم بما أمرتكم وانزجرتن عما نهيتكم عنه أم لا؟ بل تظنون أن تدخلوا الجنة من دون فعل وترك ونظام!؟

٣- أيها المؤمنون أنكم تعيشون مرحلة اختلاف الأديان والمذاهب فعليكم الثبات على الحق والصبر عليه، وأنه الابتلاء بعينه فهل حسبتم أن تدخلوا الجنة من دون ابتلاء!؟

٤- إذا كانت دعوة الناس بعضهم البعض إلى مؤسساتهم وأنظمتهم وأديانهم التي يدينون بها عن طريق الإغراء بالمال والوعد بترف الحياة وتوزيع المناصب، فإن دعوة الله إلى دينه والإيمان به تختلف اختلافاً كلياً، فإن الذي يؤمن بالله حق إيمانه فليستعد للبلاء والقحط وتقص من الثمرات والأنفس وتحمل الأذى والمرور بالمعاناة من السجون والتعذيب والإعدام والملاحقة والتهجير، فهذا هو طريق المؤمنين على طول الخط، وهذا هو الطريق الذي ينتهي بسالكه إلى الجنة.

مركز تحقيقات كاميون علوم إسلامي

قَالِيَا: ﴿وَمَا يَأْتِكُمْ مَقَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبِئْسَاءِ وَالضُّرَاءِ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾

من سنة الحياة هناك متغيرات وثوابت، ومن ثوابت السنن التي تخص الآية هو الابتلاء، والمتغير هو مفردة الابتلاء التي تتغير حسب تغير الموضوع، فقد يطول ويقصر وقد يكون قليلاً أو كثيراً وقد يكون ضعيفاً أو شديداً وقد يكون في دائرة ضيقة أو أشمل فيكون أوسع، وقد يمس الحالة الاقتصادية ويمس الحالة الاجتماعية... وهناك ابتلاء عام شامل لكل الناس، وهناك ابتلاء يخص المؤمنين. وقد يكون الابتلاء المباشر من الله كما هي السيول والبراكين والقحط والظوفان

والأمراض النوعية، وقد يكون من الإنسان كالحروب والفساد والاختلاف والظلم ... وهكذا ففي جميع الأحوال هناك ابتلاء ومكاره في البأساء والضراء، بل حتى في حالة الرخاء هناك ابتلاء في تطبيق العدل والحكمة في التصرف وعدم الظلم، ولكن استعماله في البأساء والضراء أوسع وهو الأهم في التربية التي تستوجب الصبر والثبات وعدم التزلزل، وبه يبين جوهر الشخصية وعمق إيمانها بالله.

ورد عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «وإذا محصوا بالبلاء قلّ الديّانون»^(١).

ومن أجل أن يزيد الله المؤمنين به ثباتاً وإصراراً على موقفهم، فهو سبحانه وتعالى يذكرهم بأعلى حالات الابتلاء التي مرّ بها العاملون الرساليون المجاهدون الذين يحملون همّ الدين وهداية الأمة في فترة من الزمن وفي موقف من المواقف بحيث كان لصعوبته أو لطول فترته أو للمعاناة التي عانوها أن زلزل القلوب والأفكار في تعطيل النصر على الرغم من وجودهم بين يدي الرسول، وإنّ وجودهم بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله معناه أن عملهم يجري ضمن الموازين الإلهية، وأنهم يعيشون حالة الاطمئنان الروحي، وأنهم متيقنون بشرعية عملهم، وأنهم يعملون بالواقع الذي يريده الله، وأنهم يعيشون إحدى الحُسنيين؛ إمّا الشهادة وإمّا النصر بكلّ اطمئنان، بل يعيشون الغلبة والنصر بكلّ يقين حتى لو كان عن طريق دمائهم، لوعد الله أن ينصر رسله وأنهم هم الغالبون دائماً.

على الرغم من ذلك كلّ كان الابتلاء قد زلزل أفكارهم وخلجات قلوبهم، بل الأكثر من هذا تجدهم عندما يأتون إلى الرسول يرونه يدعو ليستعجل النصر وموعده، أو أنه قد استبطأه لضخامة المعاناة التي ألّمت بالرسول، فهو يشاركهم

الحالة أو القول في انتظار نصر الله ﴿ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ ﴾، وهذه الحالة الأشد عندما يرون فيها قائدهم وأقرب الخلق إلى الله يشاركونهم في انتظار الفرج وطلب النصر من دون ميزة من هذه الجهة التي منها نعرف مقدار الزلزلة التي هزّت الأصحاب، فهم قد وصلوا إلى ذروة الشدة والابتلاء والتحمل والثبات، بل وهناك أكثر شدة من الابتلاء ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (يوسف: ١١٠).

وليس من الضروري أن يأتي النصر حتى في هذه الحالات الشديدة، فقد يكون النصر على المستوى القريب الذي يعلمه الله لا النصر الحتمي الآتي لهم؛ لأن الله أجاب ﴿ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾، والقريب لا يعنى الوقوع الحتمي الفوري لهم.

فيا أيها المؤمنون، هذه هي الحالة التي مرّت على الذين خلوا من قبلكم، ويا أيها المؤمنون، هذا هو جواب الله إليكم، ويا أيها المؤمنون، هذا هو طريق الجنة، ويا أيها المؤمنون، وطنوا أنفسكم لمثل هذه المواقف حتى تستسهلوا الصعاب، ويا أيها المؤمنون، استعدّوا لمثل هذه المواقف حتى لا يزلزلكم الأسهل منها، ويا أيها المؤمنون، فكروا دائماً بهذه المواقف حتى تعيشوا الهم الأكبر والأوسع في تطلعاتكم وأهدافكم، عيشوا المحنة والبلاء الذي يحيط بالإسلام والمسلمين حتى لا تختلفوا بالأمور الجزئية وتشغلكم التفاهات من الأمور.

ورد عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «مَنْ كَانَ بَادِلًا فِينَا مَهْجَتَهُ مَوْطِنًا عَلَى لِقَاءِ اللَّهِ نَفْسَهُ... فليرحل معنا»^(١)، وورد عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «فَا تَمْدُونَ

أعينكم، أستم أمين؟ لقد كان من قبلكم ممن هو على ما أنتم عليه، يؤخذ فتقطع يده ورجله ويصلب». ثم تلا قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا...﴾ الآية^(١)، ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال: ٧).



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامي

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ
عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢١٥)

س: ما هي المحتملات التي ترد في هذه الآية المذكورة أعلاه؟

ج:

أولاً: أن السائل ذو مال وجاء إلى الرسول ﷺ فسأله عن الإنفاق، وهذا يعني

الأمور التالية:

١- أن صاحب المال هو الذي جاء للرسول ﷺ وليس مثل زماننا هذا فإن العاملين

هم الذين يأتون إلى صاحب المال ويعرضون الحاجة بكل تواضع أو تذلل
أمامه، فإما أن يقدم شيئاً أو لا.

٢- أن صاحب المال قد جاء للرسول ﷺ لعلمه بأن الإنفاق له طريقه الشرعي فلا
يكون تحت المشتبهات والأذواق والحب والبغض.

٣- أن صاحب المال قد جاء للرسول ﷺ لعلمه باليد العادلة وصاحب التوزيع
العادل والمرشد العادل إلى تطبيق وحدة الإنفاق على مفرداتها الشرعية وليس
له غرض أناني وشخصي.

٤- أن صاحب المال قد جاء للرسول ﷺ لعلمه بأن الرسول ﷺ هو القائد
والمتصدّي للإسلام وهو المعلم أكثر من غيره ممّا يحتاجه الإسلام، وأن غيره لا
علم له إلا بما يحيط به من الأمور الصغيرة، فيجب على أصحاب الأموال الذين
يريدون أن ينفقوا ألا يعتمدوا على رأيهم في الإنفاق، فكما هناك حق خاص

كما هو عدد وحدات الخطاب في الآية، فهناك حق عام وهو المشاريع التي يقوم الإسلام عليها، وهذه من مختصات القائد المتصدي.

٥- أن صاحب المال قد جاء إلى الرسول ﷺ ليستفتيه عن الإنفاق، وما بعد الرسول ﷺ لا بد أن يرجع إلى الإمام ﷺ وفي حالة غيابه لا بد أن يرجع في سؤاله إلى من ينوب عنهم وهم أصحاب الاختصاص من العلماء العاملين المتصدين للإفتاء وبيان حكم الشارع المقدس.

٦- السؤال بنفسه علم، ويطور العلم، ويكشف عن وعي صاحبه وشخصيته، ورد عن ابن عباس أنه قال: ما رأيت قوماً كانوا خيراً من أصحاب محمد ﷺ ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة حتى قبض صلى الله عليه، كلهن في القرآن، منهن ﴿ويسألونك عن الخمر والميسر﴾، ﴿ويسألونك عن الشهر الحرام﴾^(١).

٧- السؤال هو طلب الفهم، وكان السؤال موجهاً إلى الرسول ﷺ، وأن السائل طلب فهم الإنفاق، وبقرينة الوحدات التي عددها الخطاب يكون السؤال بخصوص الإنفاق المالي، وأن السؤال لم يحدده السائل في جانب من جوانب الإنفاق فيكون شاملاً مادة الإنفاق، وعلى من ينفقون، وما هي الثمرة من وراء الإنفاق. **ثانياً:** كان الجواب شاملاً للجوانب الثلاث التي ذكرت في النقطة السابعة أعلاه:

١- فمادة الإنفاق هي أن تكون من الخير ومما ينتفع به وتتعلق به الرغبة وتقع فيه المحبة قليلاً كان أو كثيراً، وإن الأهم ليس في ما تقدم، ولهذا حصر بعنوان الخير دون أن يعدد أنواعه وفروعه، بل الأهم أين تضع ما تنفقه من الخير.

٢- أن الإنفاق يجب أن يبدأ به على الأقرب فالأقرب، والأهم ثم المهم، وأنه

يشمل الواجب والمستحب.

٣- أن الإنفاق يجري تحت علم الله كما هو فعل كل خير فلا ينقص ما يترتب عليه من الثواب، بل يزيد عليه أضعافاً مضاعفة ؛ لأن الحساب بيد الله وهو المطلع على إخلاص العمل.

🕌: أن مثل هذه الآية قد مرّت علينا، وإن تكرارها فيه من الفوائد الكثيرة.

منها:

- ١- لبيان أهمية الإنفاق ودوره في التكافل الاجتماعي.
- ٢- لبيان أهميته في بناء الشخصية الإسلامية حينما يعودها على الإنفاق ليخرجها من الأنانية وحب الذات والحرص، وحتى يجعلها شخصية مستعدة للتضحية الكبرى، فإن الإنفاق طريق التضحية بالنفس، ومن لم يقدر على الجود بالقليل فلا يجود بالكثير.
- ٣- لبيان دور الإنفاق في تعجيل وتسريع حركة العاملين ودفع عجلة الإسلام إلى الأمام.
- ٤- لا تستصغر وتستحقر القليل من الإنفاق، ولا تستكثر وتستعظم كثيره مادام يصدق عليه أنه خير ومحبوب عند الله وله حسابه عنده سبحانه.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ •
 يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ
 اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ
 أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكَ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ
 اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ
 أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ • إِنَّ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ
 رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ (البقرة: ٢١٦-٢١٨)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

- ١- الكره: عدم الرغبة في الشيء.
- ٢- الصد: أ- الانصراف. ب- المنع.
- ٣- يرتد: الرجوع إلى الطريق الذي جاء منه.
- ٤- حبطت: الفساد والهلاك والبطلان.
- ٥- الهجرة: الترك.
- ٦- يرجو: أ- يتوقع. ب- الأمل الممدود.

● الهجرة والجهاد

س: اذكر المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ج:

أولاً: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾

١- أي كتب الله على المؤمنين القتال وجعله فرضاً واجباً عليهم على الكفاية، فكل المؤمنين مخاطبون به ولكن عند قيام من فيه الكفاية يسقط الوجوب عن الآخرين.

٢- أن لهذه الآية احتمالين في ترتيب نزولها، أي أما أن تكون هي الآية الأولى التي نزلت في فرض القتال ووجوبه على المؤمنين، فتكون الآية على هذا الاحتمال في موقع تشريع القتال، وأما إن لم تكن هذه الآية هي الأولى في فرض القتال على المؤمنين، بل قد تكون آية ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩٠)، هي الأولى في النزول في فرض القتال كما أشار الأكثر في ذلك، فالنتيجة تكون الآية إخباراً عن التشريع لبيان إحدى حكمه وعهده ويكون تشريع فرضه بالعرض، فكأن الآية تكون هكذا: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ سَابِقاً وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ كُرْهُ لَكُمْ، أَوْ عِنْدَمَا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ.

ثانياً: ﴿وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾

١- نحن نعلم أن القتال كره لكم لكونه مخالفاً للطبع الإنساني لما فيه الدمار

والخراب وزهق الأنفس والخسارة المالية والابتعاد عن الأهل وغيرها من مخلفات الحرب.

٢- نحن نعلم أن القتال كره لكم لكونه مخالفاً لطبع المؤمنين الذين تعودت شخصيتهم على الشفقة والرحمة وحب الإنسان وعدم الاعتداء والسماح والسلام، وما إلى ذلك من السلوك القرآني في حياتهم الطبيعية المكتسبة من الجو العام للإسلام واخلاقته التي يدعو إليها.

٣- نحن نعلم أن القتال كره للبعض إما تناقلاً، أو لعدم تحمله لصعوبة المواجهة عليه بهذا الشكل المباشر، أو لحساباته المادية في دراسته لميزان القوى غير المتكافئ لقلّة ما يمتلكه وكثرة ما يمتلكه العدو، أو لكون رأيه وقناعته بأن لا يكون قتال في هذه الفترة الزمنية لأي سبب من الأسباب وهو لم يكن قائد لقتال.



الله: ﴿وَعَسَىٰ﴾ مركز تحقيقات كالمؤثر علوم إسلامي

١- أنكم أيها المؤمنون في حالة ترج في أن تفهموا لماذا كُتِبَ عليكم القتال وهو كره لكم.

٢- أن خطاب الآية في مقام الترجي منكم أن تفهموا حقيقة كتابة القتال عليكم.

٣- أن تكرر (عسى) مراعاة لحالة المؤمنين المعاكسة للقتال، وبيان للأميرين المختلفين من الكره والحُب.

رابعاً: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾

١- أن الكره والحُب مشاعر وإحساس طبيعي لدى الإنسان قد يكون نتاجاً عاطفياً

وقد يكون نتاجاً من حركة عقلية، وفي الحالتين لا يصيب الواقع بصورة دائمة.
٢- أن بعض المواقع في الحياة هي التي تفرض وجودها وهي قائمة سواء أحببها
الإنسان أو كرهها ومنها القتال، فإِنَّه أمر واقع لطبيعة الحياة الحاوية على
وجود الضد.

٣- أنك أيها الإنسان عاجز عن معرفة حتى عمّا تحبه وتكرهه على الرغم من أن ما
تحبه وتكرهه ناتج من شيء حسي وإحاطة بما فيه ظاهراً، كم مرة أحببت
شيئاً ويظهر لك بعد مدة أن الذي وقعت بحبه كان شراً لك؟! وكم من شيء
كرهته ويظهر لك بعد مدة أن الذي كرهته كان خيراً لك؟!

٤- أن حبك أيها الإنسان وكرهك محترم وخصوصاً إذا كان من النتاج العقلي، ولكن
مادام يخطئ فلا يمكن أن يعتمد عليه في أن يكون مقياساً للحق بصورة دائمة،
ولا يمكن أن نجعله قاعدة كلية صادقة في جميع الحالات المختلفة، ولا يمكن
أن نرسم من خلاله برنامجاً ومشروعاً صائباً وناجحاً دائماً للإنسانية على
مختلف أذواق عدد الأجيال وتفكرهم.

٥- أن الأمور لو تركت لحب الإنسان وكرهه فهل يتفق الإنسان على ما يحب أو
يكره؟!

٦- أنك أيها الإنسان تستأنس بالتطبع وخلقت عجولاً، وهذان العاملان يجعلانك
تواجه الشيء الجديد المخالف لك بالكره ابتداءً فتصدّه وتحاول منعه وتقوم
بحربه، كما تواجه الشيء الجديد الذي يلائم رغباتك بالحب ابتداءً فتشجع
عليه وتتخرط وتذوب فيه، وهذا خطأ واضح في أن تترك العنان لطبيعتك
ولتطبعك أن تقودك فيما أحببت أو كرهت، بل يجب عليك التأني والتفكير

والإحاطة الكاملة بالشيء الجديد ليحصل لك الانسجام بين ما أحببته أو كرهته وبين نتيجهما، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «صفرة في سبيل الله خير من حمر النعم»^(١).

٧- الحب والكره ليس له محل في كل ما يكتبه الله عليكم، بل يجب عليكم الاستسلام والحب لكل حكم إلهي، فإذا دخل الحب في بعض أحكام الله ودخل الكره في البعض الآخر مع إيمانكم في الكل فسوف تحصلون على نتائج متعكسة؛ لأنه سيحصل الخلل وعدم التوازن والتفريط والإفراط الذي يؤدي إلى الزيادة والتركيز على بعض الأحكام وترك البعض الآخر منها، فلا الزيادة فيما أحب خير لأنه أدى إلى ترك أو تضعيف الأحكام الأخرى، وأنَّ الترك لما كرهه من الأحكام هو ترك للخير الذي فيها، بينما عدم تدخل الحب والكره والتعامل بالجانب الواحد وهو الاستسلام لحكم الله سوف ينتج عملية التوازن في التركيز والاهتمام والامتثال في جميع أحكام الله وبالتالي لا يحصل المسلم من خلال التوازن في التزامه إلا على الخير فقط؛ لأنه لا يوجد في جميع أحكام الله إلا الخير، وعندها لا تجد ثغرة ضعف في جميع المجالات التي يشغلها الإسلام والمسلمون، هذا مع غض النظر عن الحكم الشرعي المحرم فيما إذا كره المسلم حكماً شرعياً.

خامساً: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

١- أن الله يعلم لا كعلم البشر، فعلمه سبحانه ذاتي، فيعلم بمبدأ الشيء ومنتهاه ونقصه واستكمالته وزمانه ومكانه صغيره وكبيره خفيته وظاهره، ومحيط بجميع

(١) فتح الباري ١٠: ١٤٤.

جهاته بالعلم الفعلي الحضوري.

٢- لما كان الله يعلم بهذا العلم فكل ما يصدر منه ناتج عن علم بما ينفع الناس وما يضرهم، فكل ما يكتبه الله على الناس فثيه خير ومصلحة، وكل ما يحرمه الله ففيه الشر والمفسدة.

٣- لما كان الله يعلم بهذا العلم وأنه حكيم لطيف بعباده فلا دخل للكره في أحكامه التي توجب السخط أو الانتقاد لها وإبداء الرأي المخالف فيها، فإذا كان الإنسان لم يدرك الخير فيما كتبه الله عليه فعليه أن يبحث عنه ويصب محل البحث والتفتيش عن جوانب الخير، وإن ما يراه الإنسان شراً أو كرهاً فإن الخطأ في التقييم لا في الأحكام الشرعية، وعلى الإنسان في هذه الحالة أن يفتش عن الخطأ الذي وقع فيه.

٤- لما آمنتم بالله وآمنتم بأنه يعلم وأنتم لا تعلمون فوقعكم بكره القتال ناتج عن خطأ في تربية الشخصية الإسلامية التي يردها الله تعالى منكم أن تتلبسوا وتصفوا بها، فإن ما تطبعتم عليه من الشفقة والرحمة والسلام والمحبة وإن كان مراداً إلهياً ولكن القوة والشدة والخشونة والعزة كذلك مراداً إلهياً، وهذا ما نجده في القرآن والسنة بصورة واضحة لكثرة ما ورد فيه.

فالمطلوب هو التوازن في التربية والمعاملة مع الأحكام الشرعية المختلفة، وإن ترويض الشخصية وتطبعها على الاتجاه الواحد يؤدي إلى نتائج عكسية لا تحمد عقباها، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (المائدة: ٥٤)، أورد ابن حجر العسقلاني عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»^(١).

٥- أن الله هو الذي خلق الخلق فهو المختص بعلم ما خلق، فيعلم أن نفس الإنسان لو تركها الإنسان أن تعمل عملها في الشر والفساد والفجور والظلم والقتل لا ينفع معها أي أسلوب إلا القتل والقتال، فكره هذا النوع من قبل الإنسان المسلم مهما كانت مبرراته في التقييم فهو جهل بالشخصية المعادية و جهل بالنتائج التي تترتب على عدم القتال، وهذا التاريخ يقص لنا قصصه، ففرعون حيث لم يسكته عن الاعتداء إلا الفرق، وهذه قريش مكة وفي بداية الدعوة الإسلامية نموذج لهذا النوع من الناس كيف لاحقوا الرسول ﷺ بالأذى حتى قال: «ما أؤذي نبي بمثل ما أؤذيت أنا به»^(٢)، وكم كان عدد الذين قتلوا تحت التعذيب، ومرت هذه الحالة أكثر من ثلاث عشرة سنة من دون قتال، فهل غير ذلك من سياسة قريش اتجاه الرسول ﷺ وأصحابه نحو الإيجاب أم كانوا لا يزالون يقاتلونهم حتى يرتدوا عن دينهم ويزدادون عتواً واعتداءً؟! وانظر إلى النتائج عندما كتب الله القتال على الرسول ﷺ والمؤمنين، فالذي وقع في كره القتال سابقاً ويقع فيه لاحقاً فليراجع حساباته وعلى ماذا اعتمد تقييمه ليكتشف الخطأ الحتمي فيه؛ لأن الله يعلم وأنتم لا تعلمون.

(١) سبل السلام ٤: ٢٠٧.

(٢) كشف الغمة ٢: ٥٣٧.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ؟

ج:

أولاً: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾

نقل التاريخ: (أن رسول الله ﷺ بعث سرية من المسلمين تحت إمرة عبدالله بن جحش الأسدي - وهو ابن عمّة الرسول ﷺ - وذلك قبل قتال بدر بشهرين، وقال له: كن بها حتى تأتينا بخبر من أخبار قريش - ولم يأمره بقتال - وكتب له كتاباً قبل أن يعلمه أنه يسير، فقال: أخرج أنت وأصحابك حتى إذا سرت يومين فافتح كتابك وانظر فيه، فما أمرتك به فامض له، ولا تستكرهنّ أحداً من أصحابك على الذهاب معك، فلما سار بيومين فتح الكتاب فإذا فيه: أن امضي حتى تنزل نخلة فتأتينا من أخبار قريش بما تصل إليك منهم، فقال لأصحابه حين قرأ الكتاب: سمع وطاعة، من كان له رغبة في الشهادة فليطلق معي، فإني ماضٍ لأمر رسول الله ﷺ ومن كره ذلك منكم فليرجع فإن رسول الله قد نهاني أن أستكره منكم أحداً، فمضى معه القوم حتى إذا كانوا بنجران أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يتعقبانه، فاختلفا عليه يطلبانه، ومضى القوم وانطلقوا حتى هبطوا مكاناً يقال له: نخلة - وهي مكان ما بين مكة والطائف - فوجدوا به عمر بن الحضرمي والحكم بن

كيسان وعثمان والمغيرة بن عبدالله في تجارة لقريش يسوقونها وكان ذلك في يوم مشتهر بين آخر يوم من جمادى الثانية وأول رجب - ورجب من الأشهر الحرم - فاختصم المسلمون فيما بينهم فقال قاتل منهم: لئن قتلتموهم أنكم لتقتلونهم في الشهر الحرم، ولئن تركتموهم ليدخلن في هذه الليلة مكة الحرم فليمتنعن منكم. فأجمع القوم على قتلهم، فشدوا على عمرو بن الحضرمي فقتلوه، وأسر عثمان بن عبدالله والحكم بن كيسان، وهرب المغيرة فأعجزهم، وغنموا ما معه، واستاقوا العير فقدموا بها على رسول الله ﷺ، فقال لهم: والله ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرم، فأوقف رسول الله ﷺ الأسيرين والعير فلم يأخذ منها شيئاً، فلم قال رسول الله ﷺ ما قال سقط في أيديهم وظنوا أن قد هلكوا وعنفهم أخوانهم من المسلمين.

فبلغ ذلك كفار قريش فقالوا: قد سفك محمد الدم الحرم وأخذ المال وأسر الرجال واستحل الشهر الحرم، وركب وفد من قريش حتى قدموا على النبي ﷺ فقالوا: أيجل القتال في الشهر الحرم؟ فأنزل الله الآية، فلما نزل ذلك أخذ رسول الله ﷺ العير وفدى الأسيرين).

وهناك نقل آخر يقول: إن المسلمين هم الذين سألوا الرسول ﷺ في هذه الحادثة ليعرفوا هل لهم أجر المجاهدين في ذلك؟ والسؤال سواء من المسلمين استفهاماً أو من المشركين استنكاراً فهو سؤال للنبي ﷺ عن قتال قد وقع في الشهر الحرم عن عمد أو عن غير عمد من المسلمين، وقد خطأهم الرسول ﷺ واعترض على عملهم هذا، ولم يستلم الرسول ﷺ الغنيمة حتى أنزل الله على نبيه الآية.

ثانياً: ﴿وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ

عِنْدَ اللَّهِ﴾

قل يا رسول الله ﷺ، وأجيبهم بأن القتال كما قلنا في الخطاب السابق ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة: ١٩٤)، وكما نوَّكده في هذا الخطاب هو محرَّم وحرامه كبير، وعليه أن ما فعله عبدالله بن جحش بقتله الحضرمي إذا صح وكان عن عمد وأنه في الشهر الحرام فقد ارتكب خطأً ومحرماً كبيراً وذلك للأسباب التالية:

١- هتك لحرمة الشهر الذي احترمه الناس وحرَّمه الله.

٢- صدَّ عن سبيل الله ومنع للإخلاص؛ لأنَّ الفعل إذا كان لله فقد وقع في الشهر الحرام الذي هو مبغوض لله أن يقع القتال فيه، ولا يجوز التقرب لله بما هو مبغوض له، ولا يطاع الله من حيث يُعصى.

٣- ﴿وَكَفَرُ بِهِ﴾، أي بالتشريع لعصيانهم إليه وانحرافهم عنه وعدم احترام مولوية المولى سبحانه، ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَسْمَعُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ (النساء: ١٤٠)، ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١١٥)، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٧).

اللَّهُ: ﴿وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَزُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَزِدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

لا تشغلوا أنفسكم أيها المؤمنون بالخطأ الذي ارتكبه عبدالله بن جحش ولا تصغوا إلى ما يقوله المشركون في حقكم بأنكم ارتكبتم خطأ، بل اشغلوا أنفسكم واشغلوهم بما ارتكبوه من الأخطاء الكبيرة بحق الدين وبحقكم وبحق الإنسانية:

١- أمّا التي بحقّ الدين فالمسجد الحرام الذي لم يحترموه وقد قتلوا فيه من قتل وعذبوا فيه من عذب ولا حقوا فيه من لوق، وهذا هتك متعدّد لحرمة بيت الله، وهتكه أكبر عند الله من هتك الأشهر الحرم.

٢- وأمّا التي بحقكم أيها المؤمنون، فقد أخرجوكم وأنتم أهل مكّة وأهل البيت والبلاد وأخرجوكم بأشرّ طريقة في الخروج من دون حق لهم، فقد آذوا الرسول ﷺ وأصحابه وكلّ الذين آمنوا معه وأدخلوا الخوف عليهم وقتلوا من يجدونه من مؤيدي الرسول ﷺ حتّى سببوا الهجرة من بلادهم، وهذا النوع من التعامل محرّم وحرّمته عند الله أكبر من حرمة انتهاك الأشهر الحرم.

٣- وأمّا الذي بحق الإنسانية، فإنّ كلّ عملهم لأجل البقاء على الشرك واضطهاد الآخرين واستعبادهم للأصنام ورجوعهم للجهل وأن يكونوا جهلاء على ما هم عليه من عدم التقدّم العقائدي والفكري والاجتماعي والتطوّر الحضاري.

وبعبارة أخرى: هم يريدون الفتنة ويسعون إليها ومصّرّين عليها ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾، وهذا النوع من التحرك والهدف لهو عند الله أكبر من انتهاك حرمة الأشهر بالقتل فيها وأكبر من نفس القتل والقتال ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾، فلا تخضعوا لأقوالهم ولا يهزكم إعلامهم ويزلزل عقيدتكم ممّا يجعلكم تركزون إليهم فترتدوا عن دينكم ومن يرتد عن دينه فقد خسر الدنيا والآخرة بحبط وهلاك كلّ أعماله ما قبل الارتداد وبعده، وبالتالي يكون مصيره النار والخلود فيها.

فعلى المؤمنين أن يوجهوا إعلامهم ويسلّطوا الضوء على ما يرتكبه العدو الصهيوني من جرائم بحق الإنسانية والمؤمنين، تلك الجرائم التي تعدّ أكبر

الانتهاكات عند الله حيث يخرجون الأهل من بلادهم، ويقتلوهم فيه، وعند المسجد الأقصى، ويمثلون بهم بأبشع الصور وحشية، ويستحلون البلاد، ويقتلوهم وهم لا يملكون إلا الحجارة يدافعون بها عن أنفسهم وبلادهم وحرماتهم، ولا يزال الصهاينة يقاتلونكم كل يوم بنهاره وليله حتى يرتوكم عن دينكم؛ لأن هدفهم الإسلام لا الأرض، فهم وإن لم يستطيعوا على ذلك ﴿إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ لأن الله حافظ دينه وأنه وعد المؤمنين بالنصر، إلا أن المراد منكم أيها المؤمنون أن تكونوا يقظين نشطين متوحدين قتالين لعدوكم متبئين الرؤية الإسلامية في تقسيم أعدائكم في أنهم يريدون الفتنة في العالم ويريدون أن ينتزعوا منكم دينكم قبل أرضكم ويريدون أن ترتدوا عنه، وأن تكونوا مؤمنين بالله معتمدين ومتوكلين عليه ولا تنظروا إلى قلة عددكم فإنكم كثيرون ولا إلى قلة أسلحتكم فإنها كثيرة مع التوكل على الله والإيمان بنصره والثقة بأنفسكم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقِّ وَيَسْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ • أُولَئِكَ الَّذِينَ خَبِطَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (آل عمران: ٢١-٢٢).

٤- ومن كل ما مرّ يظهر أن وجوب حرمة الأشهر الحرم هو طريق قوة للمسلمين لا أنه طريق ضعف يستجدي من الأعداء الذين لا يفهون الحرمات حتى يتمسكوا بها أو يرحموكم من خلالها، بل هي بيدكم أيها المسلمون، فانظروا إلى ما هو الأهم لصالح الإسلام والمسلمين وسيروا عليه حتى لو كان الأهم يعارض حرمة الأشهر.

س: لماذا هذا الاهتمام من قبل الشارع المقدس بمسألة إحصاء احترام

الأشهر الحرم ووجوب تقديسها على المسلمين؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

١- أنها سنة مقدسة قديماً سنّها بعض الأنبياء وأصبحت من سنن الناس، فتأكيد إضائها واحترامها ليعمّق احترام الأنبياء وتقديسهم في قلوب الناس وأن يذكرهم بهم.

٢- أنه طريق من طرق السلام، والإسلام ينتهز أيّ فرصة للسلام فيمضيها ويؤكد عليها.

٣- أنها فرصة لزيادة الإعداد للمسلمين وترتيب أوضاعهم.

٤- أنها فرصة للعدو في أن يعيد حساباته في حربه ضدّ المؤمنين عسى أن يرجع عن قتالهم.

٥- أنها إحدى المؤشرات التي تشير المعندي الذي يتعدى على حرّمات الله ولم يبالي بها.

٦- أنها إحدى طرق الابتلاء والامتحان من قبل الله التي يتميّز من خلاله الملتزم بأحكام الله.

س: كيف نتصوّر هلاك الأعمال وحبطها من قبل الله بعد تدوينها من قبل ملائكته؟

ج:

١- صحيح أن الأعمال تدوّن بمجرد صدور الفعل من فاعله ويدخل الإنسان بفعله في عالم الاستحقاق إلا أنه لا يكتب له الثبوت والحتمية وعدم التغير عند

الموت، ﴿فَأُولَئِكَ يَدْعُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ (الفرقان: ٧٠).

٢- أن الحبط كما يشمل العمل الأخروي فهو يشمل العمل الدنيوي من حيث الخسارة وعدم النصر وعدم الوصول إلى النتيجة والحيرة والخذلان وعدم إنجاز العمل وعدم استجابة الدعاء وغير ذلك من الأمور التي ينتجها الحبط بسبب المعصية.

٣- الحبط عملية تغيير سلبي، له اختصاص بنوع فعل المعصية فقط، وله العاكمة على أفعال الخير بحيث يهلكها.

س: ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؟

ج:

١- سواء الذين آمنوا أو الذين هاجروا أو الذين جاهدوا في سبيل الله يشتركون جميعهم بدافع واحد وهو الرجاء من الله أن تشملهم رحمته.

٢- أنه إذن من الله للذين آمنوا بالهجرة والجهاد في سبيل الله لا لغرض ينافي بسبيله سبحانه.

٣- أن الذين آمنوا وأوذوا من قبل الظالم لإيمانهم مما سبب لهم الهجرة وترك الأهل والبلاد ولم يبحثوا عن مناطق الترف في المهجر، بل صنعوا لأنفسهم الفرصة في المهجر في أن ينظموا صفوفهم ويقوّوا أنفسهم ويكونوا وحدة قتالية يرجعون من خلالها لمحاربة الظالم أولئك يرجون رحمة الله، قال تعالى: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ (البقرة: ٢٤٦).

٤- أن الذين آمنوا والذين هاجروا ولم يتركوا إيمانهم، بل بقوا على ما هم عليه من

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة لله أولئك يرجون رحمة الله.
ورد عن حماد السمندي أنه قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام:
إني أدخل بلاد الشرك، وإن من عندنا يقولون: إن متَّ ثمَّ حشرت معهم، قال
لي: «يا حماد، إذا كنت ثمَّ تذكر أمرنا وتدعو إليه؟» قلت: نعم، قال: «فإذا كنت
في هذه المدن مدن الإسلام تذكر أمرنا وتدعو إليه؟» قلت: لا، فقال لي: «إنك
إن متَّ ثمَّ تحشر أمة وحدك ويسعى نورك بين يديك»^(١).

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ
رَحْمَتَ اللَّهِ﴾؟

ج:

١- أن الذي يرجو رحمة ربه - الخاصة بالمؤمنين - عليه أن يسعى إليها وأنها لا
تأتي من لا شيء، فهي تحتاج إلى الإيمان والعمل وتحمل كل تبعياته من
الهجرة والجهاد.

٢- أن لغة الرجاء هي الدافع الذي يوجهه الله على المؤمنين في حركتهم، كما يكفر
اليائسين من رحمته، فالآية إخبار في محل إنشاء لوجوب الرجاء.

٣- أن لغة الرجاء عامل تربوي للمؤمنين في أن يندفعوا وهم يعملون لله خائفين، لا
يأمنون عذاب الله وغير قاطعين برحمته ورضاه عنهم ودخولهم الجنة، فهم
على الدوام يكونون راجين أن ينالوا رحمة الله حتى لا يأخذهم الغرور بما
يقدمون ولا الكفاية على ما قدموا.

٤- أن لغة الرجاء هي اللغة الطبيعية التي لا بد أن يلهج بها المؤمنون؛ لأنهم لا

يعلمون بقبول الأعمال ولا بعاقبة الأمور، فهم يرجون شمول رحمة الله في الحالاتين.

٥- أن لغة الرجاء هي بنفسها التي يكررها الله في أكثر آياته مثل ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٢) فإنها لغة العظماء والحكماء الذين لا يقطعون بوعدهم ولا يطرحون أوامرهم للناس بالجزم، بل يطرحونه بلغة الرجاء وإن كان ما يوعدون به جازمين بوقوعه منهم، وأن أوامرهم لا بد أن تنجز، والله سبحانه وتعالى قد سار على هذه الصيغة من اللغة، فيكون الرجاء بمعنى الوقوع الحتمي في رحمته.

س: اذكر المحتملات في سبب خاتمة هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؟



ج:

١- أنه الختام الطبيعي الذي يختتم به الله آياته وإن لم يكن جو الآية جو معاصي ليذكر الله الإنسان بمغفرة ربه وعفوه.

٢- لعلمه بأن الإنسان مهما يكن في أجواء روحية وعبادية فإنه يخطئ، وقد وضع الله الغفران ليذكر الإنسان بالتوبة دائماً على أخطائه وهو يسير في حركته إلى الله.

٣- أن الغفران موضوع للإنسان على أي حال وإن لم يذنب، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إنه ليغان على قلبي، وإني لاستغفر الله في كل يوم سبعين مرة»^(١).

٤- لو نظرنا إلى سبب نزول الآية في عبدالله بن جحش وأصحابه الذين أخطؤوا

بقتل عمرو بن الحضرمي، نرى أن من شك في الحكم أو عدم العلم به أو كان يعلم به ولكن وازن حسب علمه بما هو الأهم في الواقع، ثم أخطأ فلا ذنب له.

س: ما هو الفرق بين القتال والجهاد؟

ج:

أولاً: الجهاد أعم من القتال؛ لأن الجهاد يشمل القتال وغيره، ومنه تتفرع الأمور التالية:

١- القتال يصدق في حالة مقابلة العدو بالسلاح وتزهق فيه الأرواح ويصدق عليه الجهاد كذلك.

٢- الجهاد يشمل الكلمة والمعارضة الفكرية والعملية للعدو والمقاطعة ولا يسمى قتالاً.

٣- الجهاد يشمل بناء النفس وتهذيبها وطاعة الله والالتزام بأحكامه ولا يسمى قتالاً.

٤- الجهاد بالمعنى العام هو كل ما يبذل فيه الجهد في سبيل الله، والجهاد بالمعنى الخاص هو القتال.

ثانياً: الجهاد بعنوانه العام لا يحتاج إلى إذن الحاكم الشرعي بينما القتال يحتاج إلى ذلك.

س: ما هي المحتملات التي ترد في معاني الجهاد والهجرة؟

ج:

أولاً: للجهاد معانٍ عدة:

١- القتال في سبيل الله، وهو الاستعمال الغالب له، وعليه يكون المعنى له ثلاثة أوجه:

أولاً: أن الوحدة القتالية مطلوبة من الشخصية الإسلامية سواء كانت في شدة أو رخاء أو هجرة أو عدمها، فكان الآية تصبح هكذا: إن الذين آمنوا وجاهدوا بقتال والذين هاجروا وجاهدوا بقتال يرجون رحمة الله، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنفال: ٧٢).

ثانياً: أن الوحدة القتالية هي الصفة الثالثة لنفس الشخصية الإسلامية، فكان الآية تصبح هكذا: إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بقتال يرجون رحمة الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ (الأنفال: ٧٥).

ثالثاً: أن الوحدة القتالية مختصة بالمهاجرين فقط، فكان الآية تصبح هكذا: إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا بقتال، ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ (آل عمران: ١٩٥).

٢- جهاد النفس، أي تهذيبها وتربيتها على طاعة الله وعبادته، وعليه يكون المطلوب من الشخصية الإسلامية سواء كانت في شدة أو رخاء أن تهتم بعامل بنائها الداخلي والتطهير والنمو النفسي، فكان الآية توصي بجهاد النفس للمؤمنين والمهاجرين أو هو بنفسه كما مرّ سابقاً، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه»^(١).

٣- كل ما يبذل الإنسان فيه جهداً في طاعة الله، ورد في الحديث أن رجلاً جاء إلى

الإمام الباقر عليه السلام فقال له: إني ضعيف العمل قليل الصلاة قليل الصوم، ولكن أرجو ألا أكل إلا حلالاً، ولا أنكح إلا حلالاً؟ فقال الإمام: «وأيّ جهاد أفضل من عفة بطن وفرج؟!»^(١).

ثانياً: للهجرة معانٍ عدّة:

١- ترك الأهل والوطن في سبيل الله، وهو الاستعمال القرآني لها، فالذين هاجروا أي الذين تركوا أهلهم وأوطانهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ٩٧).

ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «إنّ الشيطان قعد لابن آدم في طرقة، فقعد له بطريق الإسلام فقال له: أتسلم وتترك دينك ودين آبائك، فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: أتهاجر، وتدع أرضك ونساءك فعصاه وهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: أتجاهد وهو تلف النفس والمال، فتقاتل فتقتل فتكح نساؤك ويقسم مالك، فعصاه فجاهد - ثم قال صلى الله عليه وآله: - فن فعل ذلك فإت كان حقاً على الله أن يدخله الجنة»^(٢).

٢- هجرة المعاصي والسيئات، فالذين هاجروا أي تركوا السيئات، ﴿وَالرُّجُزَ فَاهْبُجُزْ﴾ (المدثر: ٥)، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «أفضل الهجرة أن تهجر

(١) المحاسن ١: ٢٩٢/٤٤٨.

(٢) البحار ٦٧: ١/٤٢.

السوء»^(١).

٣- الهجرة إلى الله، فالذين هاجروا أي الذين ذابوا في الله وانصهروا بطاعته وحبته، ﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المنكيات: ٢٦)، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «الهجرة هجرتان: إحداهما أن تهجر السيئات، والأخرى أن تهاجروا إلى الله تعالى ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة»^(٢).

٤- مطلق الترك، ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ (المزمل: ١٠)، ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: ٣٠).

٥- مطلق الطاعة لله، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أقم الصلاة، وأد الزكاة، واهجر

السوء، واسكن من أرض قومك حيث شئت تكن مهاجراً»^(٣)، ورد في

الحديث أنه قيل للرسول ﷺ: فأى الإيمان أفضل؟ قال: «الهجرة»، قيل: وما

الهجرة؟ قال: «أن تهجر السوء»، قيل: فأى الهجرة أفضل؟ قال: «الجهاد»^(٤).

٦- القول في ما لا ينبغي أن يقال، عندما كان الرسول ﷺ مريضاً وأراد أن يكتب

كتاباً بحضور جمع من الصحابة قال عمر بن الخطاب: قد غلب عليه الوجع

وأن الرجل ليهجر^(٥).

س: ما هي أسباب هجرة المسلمين وما هو الحكم الشرعي المتعلق بها؟

ج:

(١) كنز العمال ١٦: ٦٥٧/٤٦٢٦٤.

(٢) كنز العمال ١٦: ٦٥٧/٤٦٢٦٢.

(٣) كنز العمال ١٦: ٦٥٧/٤٦٢٦٦.

(٤) كنز العمال ١: ٢٦/١٧.

(٥) نهج الحق: ٣٣٢.

أولاً: أن يكون المسلم قد وُلد أو وُجد في بلاد الكفر، ويمنع في تلك البلاد أن يمارس التزامه الديني وإقامة شعائره، فهنا تجب الهجرة من بلاد الكفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء: ٩٧)، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)، أنه قال: «إذا عصي الله في أرض أنت فيها فاخرج منها إلى غيرها»^(١)، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يقبل الله من مشرك أشرك بعدما أسلم عملاً حتى يفارق المشركين إلى المسلمين»^(٢).

ثانياً: أن يكون المسلم في بلاد الإسلام ولكن الحاكم الظالم يمنعه من الالتزام الديني وإقامة شعائره، بل يُعذَّب أو يُقتل عليه، فهنا يتدخل حساب الأهم والمهم بعد تشخيص موضوعهما، وهذا الحساب تارة بيد المكلف وتارة أخرى بيد الحاكم الشرعي، فقد تجب الهجرة وقد تستحب وقد تحرم وقد تكره، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠)، أنه قال: «لا تطيعوا أهل الفسق من الملوك، فإن خفتموهم أن يفتنكم على دينكم فإن أرضي واسعة، وهو يقول: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي

(١) البحار ١٩: ٣٦.

(٢) كنز العمال ١٦: ٤٦٢٥٣/٦٥٥.

الأرض» فقال: «أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا»^(١).

قاله: أن يستعمل الحاكم الشرعي ولايته على شخص معين أو جماعة معينين، فهنا إذا أمرهم بالهجرة فيجب، وإذا نهاهم عن الهجرة فتحرم، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «لَمَقَامِ أَحَدِكُمْ فِي الدُّنْيَا يَتَكَلَّمُ بِحَقِّ يَرُدُّ بِهِ بَاطِلًا، أَوْ يَنْصُرُ بِهِ حَقًّا أَفْضَلُ مِنْ هِجْرَةٍ مَعِي»^(٢).

وابه: أن يتفشى مرض عام أو ظاهرة طبيعية تهدد بالخطر ولا يمكن التخلص منها إلا بالهجرة، فهنا تجب الهجرة للضرورة والانحصار.

خامساً: إذا كان المسلم يعيش الفقر المطبق أو كانت بلاده الإسلامية تعيش الفقر المطبق وأن في بلاد الهجرة سعة، فهنا إذا كان المسلم يؤثر في الإيجاب ولا يتأثر في السلب الموجود في بلاد الكفر فقد تجب وقد تستحب وقد تباح، وللحاكم الشرعي المدخلة في تعيين ذلك بعد تشخيص الموضوع من قبل المكلف.

سادساً: إذا كان المسلم يريد الهجرة من أجل طلب المعصية والفساد، فهنا تكون محرمة شرعاً.

سابعاً: أن تكون الهجرة من أجل البحث عن حجة الله وعن الحق أو التعرف عليه أو الإيمان به أو مناصرته بحيث يتوقف ذلك على الهجرة إليه، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الهجرة قائمة على حدّها الأوّل، ما كان لله في أهل الأرض حاجة، من مستسرّ الأمة ومعلنها، لا يقع اسم الهجرة على أحد إلا بمعرفة الحجة في الأرض، فمن عرفها وأقرّ فهو مهاجر، ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة

(١) تفسير القمي ٢: ١٥١.

(٢) كنز العمال ٣: ٥٥٨٩/٨٠.

فسمعتها أذنه، ووعاها قلبه»^(١).

س: ما معنى التعرّب بعد الهجرة؟

ج:

التعرّب من (الأعرابي) وهو ساكن البادية والمناطق البعيدة عن مركز الوعي والثقافة الإسلامية والبعيد عن مركز فهم الأحكام الشرعية ويعيش حالة اللامبالاة وعدم الاهتمام بذلك، فهو يعيش حالة جاهلية. والمراد من الهجرة هو ترك هذه الحالة الجاهلية للعود إلى مراكز الدين والتعلم والأخذ والتزوّد منها، فالتعرّب بعد الهجرة: هو عدم التزام الفرد المسلم بالإيمان بالله وبأحكامه وانتصاره للإسلام ووقوعه في بقية المعاصي بعدما عرف وتعلّم ووعى الإسلام وما يريد الإيمان منه. بمعنى آخر: هي رجوع إلى الجاهلية واللامبالاة في الدين، والبقاء في المهجر على هذه الحالة محرّم شرعاً، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «حرّم الله التعرّب بعد الهجرة للرجوع عن الدين وترك الموازنة للأنبيا والحجج عليهم السلام، وما إلى ذلك من الفساد وإبطال حقّ كلّ ذي حقّ لعلّة سكنى البدو، ولذلك لو عرف الرجل الدين كاملاً لم يجر له مساكنة أهل الجهل والخوف عليه، لأنّه لا يؤمن أن يقع منه ترك العلم، والدخول مع أهل الجهل والتماذي في ذلك»^(٢) ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «المتعرّب بعد الهجرة التارك لهذا الأمر بعد معرفته»^(٣).

(١) نهج البلاغة ٢: ١٢٨/١٨٩.

(٢) وسائل الشيعة ١٥: ١٠٠/٢٠٠٦٦.

(٣) معاني الأخبار: ١/٢٦٥.

س: عدّد بعض الموارد التي تُعدّ من التعرّب بعد الهجرة.

ج:

١- عدم التفقه في الدين، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا أعراباً، فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يترك له عملاً»^(١).

٢- عدم العمل بعد العلم.

٣- الذي اشتغل بعمل خيراً ثم تركه من دون مبرّر وعذر.

٤- عدم الاستمرار على طلب العلوم الدينية مع وجوبها عليه.



مركز تحقيقات کامپوزر علوم اسلامی

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢٠﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَاعْتَنَتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢١٩-٢٢٠)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

١- الخمر: الستر.

٢- الميسر: أ- وجوب الشيء لصاحبه. ب- تجزئته ليجعله يسيراً وسهلاً.

٣- العفو: أ- الترك. ب- الزيادة.

٤- العنت: المشقة والشدة.

● الخمر والأثر الاجتماعي

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾؟

ج:

أولاً: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾

- ١- يسألونك يا رسول الله عن الحكم الشرعي في الإسلام من تناول الخمر والميسر فقل لهم: أنهما محرمان وإنهما من الكبائر، ويقال: إن هذه الآية أول آية نزلت في تحريم الخمر.
- ٢- أن حرمة الخمر ليست تأسيسية في الإسلام، بل حرمتها قديمة مع كل شريعة سماوية، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «ما بعث الله نبياً إلا بتحريم الخمر، وأن يقرَّ الله بالبداء»^(١).
- ٣- الخمر: هو كل مسكر مائع بالأصل أو معتصر من كل جسم؛ لأن ملاك الحرمة هي الخمرية المسكرة لا المادة المعتصر منها الشراب، وأن قليله وكثيره حرام لصدق الخمر عليهما، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إن ما أسكر كثيره قليله حرام»^(٢)، وكان سابقاً مقتصرة صناعته أو استخراجه من الحنطة والشعير والعنب والعسل والتمر، أما اليوم فهو ذو مراتب متعددة من السكر وأنواع مختلفة من الخمر، ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «إن الله عز وجل لم يحرم الخمر لاسمها ولكن حرّمها لعاقبتها، فما كان عاقبته الخمر فهو حرام»^(٣).
- ٤- الميسر: هو كل آلة يراد منها القمار سواء كانت في أصل الشرع قمارية أو لم تعد كذلك؛ لأن ملاك الحرمة هي القمار لا ذات المادة المتناولة في القمار، وكذلك العكس، أي إذا كانت المادة قمارية في أصل الشرع ثم سلبت منها القمارية فلا تعدّ من آلات القمار لسلب الملاك عنها، ومعرفة وجود القمارية أو سلبها أمر

(١) التهذيب ٩: ١٠٢/٤٤٦.

(٢) الكافي ٦: ٤٠٩/١١.

(٣) الكافي ٦: ٤١٢/٢.

موكول للعرف العام، وأطلق الميسر على القمار ليسر ما يأخذه الطرف الرابع من المال من دون بذل جهد وكسب وعناء فيه ومن دون مقابل، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ...﴾ (المائدة: ٩٠) قيل: يا رسول الله ما الميسر؟ فقال: كل ما تقوم به حتى الكعب والجوز...»^(١).

ثانياً: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾

- ١- أمّا لكونها من المواد الصناعية فيعيش جمع من الناس على صناعتها.
- ٢- أمّا لكونها من المواد التجارية فيعيش جمع من الناس على بيعها وشرائها ونقلها.
- ٣- أمّا لكونها من المواد التي تحرك العامل الاقتصادي للبلاد حيث الأيدي العاملة واستهلاك ما يلازمها من المواد الزراعية والآلات وغيرها من اللوازم الكثيرة التي تدخل في صناعة الخمر.
- ٤- أمّا لكونها فيها نفع لشاربيها من الشعور بالصحة لبعض أعضاء البدن أو الشعور باللذة أو تزيدهم الشجاعة المفرطة أو الحنان المفرط أو التخيل المفرط أو بالخفة المفرطة أو النسيان المفرط أو الحب والشوق المفرط، وكل ذلك المؤقت حصوله من نتاج إزالة الشعور العقلي والستر عليه من قبل الخمر بحيث تجعله لا يميّز بين الحسن والقبيح ولا بين الخير والشر، كما أنّ هناك نفعاً من الميسر وهو الربح المالي المفرط للفائز.
- ٥- أن تكون المنافع إشارة إلى الدواء الطبي الذي يدخل فيه التخدير بنسبة كبيرة.
- ٦- أنّ ذكر هذه الإشارة إلى المنافع وبصورة نكرة بحيث لا يعرف المنافع إمّا

للاعتراف بواقع المنافع التي ذكرناها والتي لا تتكرر، أو كأسلوب يهون الصدمة على المعتادين على شرب الخمر ولعب الميسر الذين يشعرون بمنافعها كما يشعرون بضررها، كما يشعرون بأن ضررها أكثر من نفعها، فالإثم الأكبر من النفع هو الشعور الذي يشعر الشارب واللاعب بحقيقته، وأن حالة الحرمة كأنها انبعثت من وسط الواقع الذي يشعر به الشارب واللاعب فلم يكن مستغرباً من حرمتها بهذا الطرح الملائم لما يشعر به فيستجيب للحرمة عن كل قناعة، حال المدخن الذي يشعر بلذة التدخين كما يشعر بضرره الكبير، فعندما تأتيه الحرمة تأتيه وهي تحكي عن شعوره الداخلي الذي يشعر به دائماً وهو يدخن والتي تشعره بعدالة الحرمة وأنها من صالحه.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما بعث الله نبياً قط إلا وقد علم الله أنه إذا أكمل له دينه كان فيه تحريم الخمر، ولم تزل الخمر حراماً، إن الدين إنما يحول من خصلة ثم أخرى، فلو كان ذلك بجملة قطع بهم (بالناس) دون الدين»^(١).

القول: ﴿وَأَثَمُهَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهَا﴾

أولاً: وإثم الخمر أكبر من نفع الخمر، وهذا فيه الدلالات التالية:

- ١- الإثم هو الذنب وهو التعبير الآخر عن الحرمة، فيكون المعنى أن حرمة الخمر أكبر أهمية من النفع لكونه نهياً تشريعياً مولوياً، أو أنه حرام وحرمة من الكبائر، ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر»^(٢).
- ٢- لو عددت الذنوب التي ينتجها شرب الخمر لرأيتها أكبر حجماً بما لا يقاس مع

(١) الكافي ٦: ٣٩٥/١.

(٢) كنز العمال ٥: ٣٤٩/١٣١٨٢.

حجم المنافع التي يشعر بها شارب الخمر لكثرة الذنوب لو جمعها وعددها، فالخمر ضرر بالصحة البدنية، وقد كتب المختصون عنه الشيء الكثير، وهذا ما يحمل الذنوب المتعددة، والخمر يسبب ترك العبادات وهذا ما يحمل الذنوب المتعددة، والخمر يسبب الخسارة في المال والوقت وهذا ما يحمل الذنوب المتعددة، والخمر يسلب من الإنسان الكثير من العوامل الأخلاقية من الغيرة على العرض والشعور بمسؤولية البيت وأفراد الأسرة والاهتمام بشؤونهم وتربيتهم وهذا ما يحمل الذنوب المتعددة، والخمر يجعل الأسرة والمجتمع يعيش الخوف من شارب الخمر لما ينتجه من الفعل الفاقد للحكمة والعقل وهذا ما يحمل الذنوب المتعددة، والخمر يصنع الكثير من الاعتداءات والجرائم بأنواعها التي تشغل الكثير من المؤسسات وهذا ما يحمل الذنوب المتعددة، والخمر تنزل صاحبها إلى مستوى أكثر دنواً من الأنعام لما يصدر منه من الحركات الغير المتوازنة والألفاظ غير المسؤولة، وتكشف الكثير من الأسرار وهذا ما يحمل الذنوب الكثيرة، وغيرها من الأمور التي لو أطلع الإنسان على ما ينتجه شرب الخمر من الآثار السيئة لرأى الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَأَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهَا﴾.

ورد عن المفضل أنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لِمَ حَرَّمَ اللهُ الخمر؟ قال: «حَرَّمَ اللهُ الخمرَ لِفعلِها وفسادِها؛ لأنَّ مدمن الخمر تورثه الارتعاش، وتذهب بنوره، وتهدم مروءته، وتحمله على أن يجترئ على ارتكاب المحارم، وسفك الدماء، وركوب الزنا، ولا يؤمن إذا سكر أن يشب على حرمه وهو لا يعقل ذلك، ولا

يزيد شاربها إلا كل شر»^(١).

ثانياً: وإثم الميسر أكبر من نفعه، وهذا فيه الدلالات التالية:

- ١- أي حرمة أكبر من النفع الموجود فيه باعتبار أنه نهى مولوي لا يقاس بالنفع أو الضرر الذي يلحق بالإنسان، أو أن حرمة من الكبائر.
- ٢- لو عدّدت الذنوب التي ينتجها الميسر لرأيتها أكبر حجماً بما لا يقاس مع حجم النفع الذي ينتجه، فالميسر يحمل الجاذبية لصاحبه ويجعله لا يكتفي بلعبة أو لعبات، بل يجذبه إلى أن يوقعه في الخسارة التي تجعله طول عمره يعاني منها، وهذا ما يحمل الذنوب المتعدّدة، والميسر ينتج الضغينة على الشخص الذي سلب منه ماله وبالتالي هو يزرع العداوة والبغضاء بين المجتمع وهذا ما يحمل الذنوب الكثيرة، والميسر يجعل العوائل والبيوتات تعاني النقص وأعلى درجات الحرمان وهذا ما يحمل الذنوب المتعدّدة، والميسر يجعل الإنسان يراهن على بيته أو على عرضه أو على أولاده وهذا ما يحمل الذنوب المتعدّدة، والميسر يجعل الإنسان لا يحترم الوقت العام ولا الوقت المختص بالعبادة، بل ولا بنفس العبادة وهذا ما يحمل الذنوب المتعدّدة، والميسر يؤدي بصاحبه إلى الوقوع بالكذب والقتل والسرقة واختيار أصدقاء السوء وهذا ما يحمل الذنوب المتعدّدة، والميسر يقتل الإبداع الفكري والمساهمة في النشاطات الاجتماعية الواجبة والمستحبة ويبعده عن كل موقف يحتاجه منه الإسلام والمسلمون وهذا ما يحمل الذنوب المتعدّدة، وغيرها من الأمور التي لو أطلع الإنسان على ما ينتجه الميسر من الآثار السيئة لرأى حقيقة قوله

(١) وسائل الشيعة ٣٠٥:٢٥/٣١٩٧٠.

تعالى: ﴿وَإِنَّهَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهَا﴾، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (السائدة: ٩٠-٩١).

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ أنه قال: «كانت قريش تقامر الرجل بأهله وماله، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك»^(١).

س: ذكروا إن حرمة الخمر جاءت على شكل مراحل، وضح ذلك.

ج:

في المجتمع الجاهلي كان الخمر حالة سائدة فيه وكان صنعه وشربه يتم في أغلب البيوت الغنيّة القادرة على شراء مادّته وصنعه، وطبيعة الإسلام في عملية التغيير لا يستعمل الصرامة أو أسلوب الصدمة المباشرة المفاجئة، وإنما يسير على أسلوب المرحلية والتمهيد في المجالات التي تحتاج إلى مثل هذا النوع من الأسلوب، وهذا الأسلوب يستعمل في بعض الأوامر كما مرّ في وجوب الصوم ويستعمل في النواهي كما هو محلّ بحثنا في مسألة حرمة الخمر، فإنّ الله استعمل أسلوب المرحليّة في التحريم وهو يتّبع المراحل التالية حسب ترتّب الآيات:

أولاً: قال تعالى: ﴿وَمِنْ فَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تُتَّخَذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل: ٦٧)، وهذه الآية مكّيّة، لم تشم فيها رائحة التحريم ولا التقرّيع إلا من بعيد باستعمال كلمة (سكراً) لما فيه من الامتعاض

مع الفرق بينه وبين الرزق الحسن، فقد مهد الله الأفكار بهذه الكلمة وأدخل ما فيه البلبلة الخفيفة تجاه عملية السكر.

ثانياً: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٣)، وهذه الآية مكية، ويظهر فيها حرمة الخمر بصورة مستبطنة، لأن الخمر فيها إثم سواء كان الإثم هو الضرر أو الذنب، ووجودهما واضحان في الخمر، ولم يذكر الله اسمه، بل تركه سؤالاً يثار في الوسط الاجتماعي، وقد سبب هذا الخطاب أن يتركه البعض التزاماً بالحرمة التي فهمها من هذا النص، وواضح أن هذا الخطاب قد نزل إلى الساحة العملية بصورة فيها الكثير من الإيهام حول تعلقها بذات الخمر.

ثالثاً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ (النساء: ٤٣)، وهذه الآية مدنية، وفيها النهي صريح إلا أنه في حالة معينة لا مطلقاً وهي حالة أن يكون المؤمن يريد الدخول للمسجد وأداء الصلاة، وهذا الخطاب هو الآخر نزل إلى الساحة العملية وليس فيه نوع من الإيهام إلا أنه مختص لحالة خاصة، وهو في نفس الوقت كما يعطي الحرمة والقدسية للصلاة فإنه يكشف عن مبغوضية الله له وأنه ينافي المحل أو الحالة التي لها علاقة بالله والارتباط به، وقد تركه الكثير من الشارحين لفهمه المعنى المستتج من هذا النهي مع أنه ملتزم بالأوقات الخمسة للصلاة التي يزاحمها شرب الخمر.

رابعاً: قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (البقرة: ٢١٩)، وهذه الآية مدنية، وحرمة الخمر فيها أصبحت

واضحة بعد السؤال عنها، حيث إن فيها إثماً وقد عرف الجميع حرمة الإثم سابقاً من سورة الأعراف السابقة النزول، بل قال فيها: إثم كبير وهذه الدرجة من الإثم لم تعطى إلا للشرك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٤٨)، وبهذا الجواب لم يبق أحد من المؤمنين شارباً للخمر إلا الفاسقين والمشركين ومن يتشبه بالشبهة الضعيفة والمغالطة التي يصنعها لنفسه ليبقى على ما هو عليه من المعصية.

خامساً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة: ٩٠-٩١)، وهاتان الآيتان مدتيتان، وصریحتان في الحرمة جاءتا لتكشفا بعض علل الحرمة السابقة ومؤكدتان لها ومغلظتان للحرمة بالتفصيل بعد الإجمال في التعليل في الآية السابقة: ﴿مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَهُ مِمَّا كَسَبَ فَنُحِلُّ لَهَا فَسَاخُطُهُ اللهُ مِنَ النَّاسِ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (المائدة: ٩٠).

- ١- أنه رجس.
- ٢- أنه من عمل الشيطان.
- ٣- فاجتنبوه الذي هو أمر بالاجتناب أي الحرمة.
- ٤- ذكر أم الآثار المحرمة الشاملة لجميع حركة الإنسان في المحورين، مع الناس حيث العداوة والبغضاء، ومع الله حيث الصد عن ذكر الله وعن الصلاة.
- ٥- فهل أنتم منتهون، صريحة في النهي وأنه عمل مرفوض من قبل الله وأنه سبحانه ينهي عنه وإن كانت هذه العبارة تكشف وجود البعض غير المنتهي عن شرب الخمر وهم - كما قلنا سابقاً - الذين تشبثوا بالشبهة الضعيفة، ومن هنا وبعد

نزول هاتين الآيتين لم يبق شك أو شبهة ولو ضعيفة في حرمتها عند كل المسلمين.

س: قالوا: إن آية البقرة التي ذكرتها في المرحلة الرابعة للحكم لا تدل على الحرمة؛ لأنها تفيد تعيين وجود الضرر الكبير في الخمر المقابل للنفع القليل فيه. اذكر الاحتمالات في الجواب على ذلك.

ج:

أولاً: أن أكثر استعمال الإثم في القرآن في المعصية، وخصوصاً مع صفة الكبائر التي لا تعني إلا المعصية الموبقة، ﴿كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾، ﴿كَبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾.

ثانياً: أن الآية جاءت بعد حرمة الإثم في آية الأعراف وبعد النهي عن القرب من الصلاة في حالة السكر في آية النساء.

ثالثاً: نحن قلنا: إن شارب الخمر والمشاهد للسكران يعرف أن ضرر الخمر أكثر من نفعه لو كان هناك نفع واقعي الذي نفاه الله في قوله تعالى: ﴿أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهَا﴾، ولم يقل: أكبر من منافعهما الذي في نفعهما استصغاراً بالنفع وطرده، وعلى هذا لم يكن غرض السائل أن يعرف هل فيه ضرر أم لا.

رابعاً: أن الذي يتابع أجوبة القرآن عن الأسئلة لم يكن غرضه في أن يبين الضرر التكويني في الشيء، وإنما تركه الله للعقل البشري في أن يكتشف الضرر، فعندما نزلت الآية لتجيب عن الحكم الشرعي الذي هو من مختصات القرآن، وأن دافع السائل في أن يسأل الرسول هو طلب بيان الحكم الشرعي القاطع للنزاع بينهم أو الحوارات التي جرت بينهم وبين الرسول ﷺ الذي سببته آيتا الأعراف النساء.

خامساً: أن مرحلة الجواب تأتي أن يكون الإثم بمعنى الضرر الذي هو أخف

لهجة بكثير عن آيتي الأعراف والنساء التي سبقت هذا الحكم؛ لأن طبيعة المرحلة والتدرج أن تبتدئ بالخفيف ثم الأشد فالأشد، أما أن تبتدئ بالشديد ثم الأشد ثم الأخر ثم الأشد فهو واضح المناقاة لأسلوب المرحلة والتدرج المرتب.

س: ماذا قالت الروايات عن الخمر؟

ج:

- ١- أن الخمر أم الآثام، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «الخمر جماع الإثم، وأمّ الخبائث، ومفتاح الشر»^(١).
- ٢- شارب الخمر كعابد الوثن، ورد عن علي عليه السلام أنه قال: «مدمن الخمر يلقى الله عزاً وجلّ حين يلقاه كعابد وثن»، قيل: وما المدمن؟ قال: «الذي إذا وجدها شربها»^(٢).
- ٣- حرمة الأكل على مائدة فيها خمر، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر»^(٣).
- ٤- شارب الخمر لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ شرب الخمر لم يقبل منه صلاة أربعين ليلة، فإن عاد فأربعين ليلة من يوم شربها، فإن مات في تلك الأربعين من غير توبة سقاه الله يوم القيامة من طينة خبال»^(٤).

(١) المستدرک ١٧: ٥٥/ ٢٠٧٢٦.

(٢) وسائل الشيعة ٢٥: ٣٢١/ ٣٢٠١٢.

(٣) وسائل الشيعة ٢: ٥٠/ ١٤٥٠.

(٤) تفسير القمي ١: ١٨٠.

٥- قاطعوا شارب الخمر اجتماعياً، وإنه هو السفية، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شارب الخمر لا تصدقوه إذا حدث، ولا تزوجه إذا خطب، ولا تعودوه إذا مرض، ولا تحضروه إذا مات، ولا تأمنوه على أمانة، فمن اتمنه على أمانة فأهلكها فليس على الله أن يخلف عليها ولا أن يؤجر عليها؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾، وأي سفية أسفه من شارب الخمر؟»^(١).

٦- يحشر شارب الخمر عطشاناً يوم القيامة، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «والذي بعثني بالحق نبياً، إن شارب الخمر يأتي يوم القيامة مسوداً وجهه، يضرب برأسه الأرض وينادي واعطشاه»^(٢).

٧- اتركوا الخمر وإن كان الترك لغير الله، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «من ترك الخمر لغير الله سقاه الله من الرحيق المختوم». فقال علي عليه السلام: «لغير الله؟» قال: «نعم والله، صيانة لنفسه، يشكره الله على ذلك»^(٣).

٨- شارب الخمر لم يكن وحده الملعون، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «لعن الله الخمر، وعاصرها، وغارسها، وشاربها، وساقها، وبائعها، ومشتريها، وآكل ثمنها، وحاملها، والمحمول إليه»^(٤).

٩- شرب الخمر يبعد الشارب عن الإيمان بالله، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا

(١) وسائل الشيعة ٣١٢:٢٥/٣١٩٨٨.

(٢) مجموعة ورام ١١٥:٢.

(٣) وسائل الشيعة ٣٠٣:٢٥/٣١٩٦٣.

(٤) الأمالي للصدوق: ٥١١.

تجمع الخمر والإيمان في جوف أو قلب رجل أبداً»^(١).

١٠- شارب الخمر محروم من شفاعته الرسول ﷺ، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال:

«لا ينال شفاعتي مَنْ استخفَّ بصلاته، فلا يرد عليّ الحوض لا والله، ولا ينال

شفاعتي مَنْ شرب المسكر، لا يرد عليّ الحوض لا والله»^(٢).

١١- الشارب لجرعة من الخمر ملعون، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ

شرب جرعة من خمر لعنه الله وملائكته ورسله والمؤمنون»^(٣).

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في معنى العفو في قوله تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ؟﴾

ج:

١- ما زاد عليكم من مؤنة السنة، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إِنَّ الْعَفْوَ مَا

فَضَلَ عَنِ قُوَّةِ السَّنَةِ»^(٤).

٢- الوسط بين الإسراف والإقتار، هذا هو الأرجح إذا كان السؤال عن قدر المال

غير الواجب الذي يريد أن ينفقه.

٣- الصدقة المفروضة من الزكاة وبقية الحقوق المالية؛ لأنه المقدار الذي يكون عنده

المأكل معفواً عن المعصية وطاهراً منها.

٤- مطلق الزيادة والفضل، لأن المشهور في معنى العفو هو الزيادة.

(١) البحار ٦٣/١٥٢:٧٦.

(٢) التهذيب ١٠٦:٩/١٩٢.

(٣) وسائل الشيعة ٣٥:٢٩٧/٣١٩٤٩.

(٤) فقه القرآن ١:٢٤٠.

٥- نزاهة المنفق به من الحرام، وتطهير نية المنفق من الرياء والمنة، وأن يعطيه بسهولة، هذا يأتي إذا قلنا بأن السائل يريد طلب فهم أخلاقيات الإنفاق، وأنه ليس له غرض في المقدار وكمية ما يريد إنفاقه؛ لأنه كريم كما هم العرب الأوائل.

٦- ما يكفي المحتاج، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الغفر الكفاف».

س: ما هي المحتملات التي ترد في عودة (كذلك) في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾؟

ج:

١- أن الله يجيب عن كل سؤال عندما يرى فيه الأهمية لذكر جوابه، ففي الآيات السابقة كانت أجوبة لأسئلة و (كذلك) بيان للآيات الآتية، فالسؤال منكم نابع عن تفكير وحركة علمية فهو الطريق المحبوب إلى الله في أن يحرك العقل عند المكلفين ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

٢- أنكم شاهدتم ما من سؤال إلا وله جواب وكذلك بقية الآيات في بيانها، فإنها تحتوي على جواب لكل سؤال يدور في ذهن الإنسان، فأيات الله يجب فيها التفكير لاقتناص الأجوبة منها عن كل ما يحتاجه الناس في حركتهم في الحياة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

٣- أنكم شاهدتم التفصيل في الأحكام الشرعية للموقف الواحد من القتال والحج والإنفاق والخمر والميسر، وهذا النوع من التفصيل لم يكن مختصاً بهذه الوحدات التي ذكرت، بل كذلك في بقية الآيات التي تحمل الحكم الشرعي حيث فيها تفصيلات و ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ في تفصيلاتها لتجدوا الجواب

موجوداً في الآيات أو في السنة الشريفة.

٤- أنكم شاهدتم الخشونة في بعض الأحكام لبعض المواقف كما هو القتال، وشاهدتم طلب الدخول في السلام في بعضها الآخر، وشاهدتم الشدة المطلوبة في امتثال الحكم كما في الحج والأشهر الحرم وشاهدتم عدم الالتزام بالشدة عن مزاحمة الأهم له ... وهكذا، وهذا النوع من التوازن لم يكن مختصاً بهذه الآيات، بل كذلك بقية آياته ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ في معرفة هذا التوازن ليطمئن تطبيقه بدقة على موردته المناسب.

٥- أنكم شاهدتم وجود بعض الإبهام في الطرح وهذا لم يختص بهذه الآيات، بل كذلك في بقية الآيات يوجد بعض الإبهام ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ لترفعوا ما موجود من الإبهام، فإن من أهداف الأمر بالتدبر والتفكير بآيات الله هو ذلك.

٦- أنكم شاهدتم الأسئلة وشاهدتم الأجوبة وأنها نابعة في التفكير بوحدات الدنيا لأجل الآخرة، ولم تكن وحدة من الوحدات منفصلة عن الآخرة، وعلى مثل هذا يجري بيان الآيات لكم لعلكم تتفكرون حتى تسيروا على هذا النوع من التوازن وهو المطلوب منكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

٧- أنكم قد شاهدتم الحرمة في الخمر والميسر قد تعلقت بما هو فيه ضرر عليكم، وقد شاهدتم الأوامر الواجبة أو المستحبة من الإنفاق حيث لا يمس دائرة الضرر عليكم، بل هو العفو، وهذا النوع من المدارات والنظر لما يضرركم أو ينفعكم في الحكم الشرعي لم يختص بهذه الآية، بل كذلك في كل آيات الأحكام، وفكروا تجدوا ذلك وكل ذلك من أجل أن تنتفعوا في الدنيا والآخرة، وفكروا في جمال الحكم الإلهي الذي ينهى عما هو ضرر لكم ولم يسكت عن

العفو والزيادة في النفع الموجود عندكم، بل طلب منكم الإنفاق فيه، وبهذه الحالة الوسطية من التوازن في جميع أحكامه سبحانه يوصلكم إلى أعلى الأهداف والغايات، ويحلّ لكم مشاكل الدنيا والآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

س: لماذا لم يعطِ الله مقدار الإنفاق في جوابه على السؤال واكتفى بقول: (العفو)، وهكذا في بقية الآيات حيث لا يحدّد مقدار الإنفاق؟ اذكر الاحتمالات في ذلك.

ج:

أولاً: إذا كان المقصود من الإنفاق هو الإنفاق الواجب فالمقدار معيّن في جميع أنواعه كالخمس والزكاة والكفارة والدية وغيرها من الأمور التي جعل الشارع عليها ضريبة مالية محدّدة.

ثانياً: إذا كان المقصود من الإنفاق هو الإنفاق المستحب كما هو المقصود بالإنفاق في هذه الآية فإنّ عدم تقديره يرجع إلى الأمور التالية:

١- أنّ حاجة الإنسان والمجتمع والساحة الإسلامية لم تنحصر بنوع واحد من الحاجات على طول الخط الزمني حتّى يعيّن المقدار لها.

٢- أنّ تعيين المقدار معناه ينحصر عطاؤه على القادرين عليه، والله يريد من الجميع أن يشاركوا في العطاء ليحصلوا على العناصر التربوية للعطاء من الإيثار والحنان والشعور بالآخرين ولينال الجميع ثواب العطاء.

٣- أنّ عدم تعيين المقدار معناه عدم الالتفات إليه وأنّه لا قيمة له مهما كثر أمام عطاء الآخرة.

٤- أن عدم تعيين المقدار معناه عدم الاستهانة بالقليل من الإنفاق مادام يصدق عليه خير، وأنه محسوب عند الله، بل قد يكون هذا القليل مع الإخلاص هو أكثر من كثير من غير إخلاص.

٥- أن تعيين المقدار قد يعني تحميل الإنسان على الإيثار والإنسان قد لا يستجيب دائماً له، فترك الله التعيين حتى يكون الإنسان معطاء دائماً في الحالات التي ينسجم معها ويكون منفتحاً عليها برغبة وحب.

س: ما هو المحتمل من التفسير لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْتَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؟

ج:

اليتيم هو ذلك القاصر الذي فقد أباه موتاً، وأنه واقع لا يخلو منه مجتمع من المجتمعات، والنظر إليه والاهتمام به يدخل في ضمير الدين الإسلامي، ولهذا يؤكد القرآن عليه في آيات متعددة بالإضافة إلى السنة الشريفة، وعماد اهتمام الدين لليتيم ينصب على عاملي المال والتربية اللذان كان الأب يقوم بهما، وبعد موت الأب كلف الله المجتمع بأن يسدّ هاتين الثغرتين في حياة الطفل بنفس الدافع الذي كان يقوم الأب به من حيث البحث عمّا هو صالح وإصلاح للطفل الذي يفقد الطفل معرفته لطفولته، فلا بدّ من صرف المال عليه ولا بدّ أن يكون الصرف بما هو صالح له ولا بدّ من تربيته التربية الصالحة وأن يكون الطفل تحت الرقابة الاجتماعية التي تتدخل في عملية إصلاح اليتيم نحو الأحسن من خلال المخالطة والصحة حتى لا يشعر بعد فقد أبيه بالغرابة والوحشة التي تسبّب الكثير من العوامل النفسية

والانحراف الخلقي.

فاليتمى هم من المجتمع وأخوان للجميع وأنهم جزء منكم فلا فرق في الحقوق والواجبات التربوية والأخلاقية بينهم وبين أخوانهم، وإذا تركوا من دون عناية واهتمام منكم سوف يكون ذلك وبالاً ومشقةً وعنتاً عليكم، واهتمام الإسلام باليتمى من أجل أن يرفع عنكم المشقة والعنت؛ لأنه العزيز الحكيم لكم، فاسعوا في رعاية الأيتام لما فيه الصالح لهم سواء كان على المستوى الفردي أو الجماعي من خلال مؤسسات الأيتام، وأن هذا الحذر الشرعي في أموال اليتامى والدقة في رعايتهم وتربيتهم لا يجعلكم تباعدون عن اليتامى، بل ادخلوا فيه بقدر ما تستطيعون، فإن الله هو الرقيب على المتصدّين لرعاية الأيتام ويعلم الصالحين منهم الذين يريدون الإصلاح الواقعي المخلص لهم فيثيبهم، ويعلم المفسدين منهم الذين يأكلون أموال اليتامى أو الذين يتظاهرون بالإصلاح لهم ظاهراً دون الواقع فيعاقبهم؛ لأنه العزيز الحكيم المتفرّد بالحكم العدل. علوم راسدي

وقد مرّ الحديث عن اليتيم في سورة (البقرة آية ٨٣)، ورد في خبر عن الرسول ﷺ أنه قال: «ثلاثة في ظلّ عرش الله يوم القيامة، امرأة مات عنها زوجها وترك عليها يتامى صغار، فخطبت فلم تتزوج وقالت: أقيم على اليتامى حتى يغنيهم الله أو يموت اليتيم أو هي، ورجل له مال وضع طعاماً فطاب صنيعه وأحسن نفقته قد دعا إليه اليتيم والمسكين، والثالث واصل الرحم فيوسع له في رزقه ويمدّ له أجله ويكون تحت ظلّ عرشه».

س: قوله تعالى: ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾. اذكر المحتملات في سبب تدوينها في هذه الآية مع أن مرجعها إلى الآية السابقة؟

ج:

١- أنها صياغة فنيّة في المورد الذي لا يوجد فيه ما يوهم القارئ، بل اليقين في مرجع الخطاب، وهذا النوع من الأسلوب يزيد في شدّ القارئ عندما يثير أمامه مثل هذه المنبهات.

٢- ﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ كما ترجع على السابق ترجع على اللاحق لعدم الفرق فيما تصبّ فيه آيات الله؛ لأنها جميعاً تبحث عن الدنيا والآخرة ولا تخرج عنهما.

٣- أن يكون هذا التدوين للتنبيه على أن السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن اليتامى قد طرحا في مجلس واحد أمام الرسول ﷺ.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ ﴾؟

مركز تحقيقات كميّة علوم إسلاميّة

ج:

١- ولو شاء الله لترك الاهتمام باليتامى الذي يلازمه عدم اهتمام المؤمنين باليتامى، فتكون النتيجة أن هذه الشريعة الاجتماعية من الأيتام ستكون وبالاً على المجتمع المؤمن لما ينتجه عدم الاهتمام من الآثار السيئة وبالتالي سيقع المجتمع في المعاناة والمشقة.

٢- ولو شاء الله لجعل رعاية الأيتام واجبة على كلّ فرد بالوجوب العيني التعيني وعند ذلك ستقعون بالمشقة والعنت ولكنه تركه لكم من باب التخفيف عليكم.

٣- ولو شاء الله لمنعكم عن التقرب إلى اليتامى بأي وجه من الوجوه، وهذا المنع سوف يسبّب لكم المشقة وأنتم تنظرون إلى اليتامى وهم قاصرون لا يعرفون

تدبير أمورهم ولا والٍ يرعاهم ولا كفيل يكفلهم، وهذا ما لا يصبر عليه أحد يمتلك الرحمة والوجدان، فالله من رحمته وعطفه ولطفه بكم أن أقرّ بشعوركم ولم يمنعكم من التقرب منهم وأن جعل هذه الأحكام المتعلقة بالأيتام حتى جعل الشعور بالتقصير لكلّ من يبتعد عنهم.

٤- أن الله أمركم بالمخالطة ومعاملتهم بالأخوة حتى يرفع العنت والمشقة عن أيتامكم عندما تعاملوهم من الخارج ومن الفوقية والشفقة التي تشعرهم بالنقص والضعف والذلة والثقل على نفوسهم.



مركز تحقيقات کامپویر علوم اسلامی

﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةً مُؤْمِنَةً خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ
وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ
مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ
وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢٢١)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- الأمة: الأنثى التي أقرت بالعبودية.

٢- أعجب: استعظم.

٣- النكاح: عقد الزواج.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير الآية المذكورة؟

ج:

أولاً: ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةً مُؤْمِنَةً خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا
أَعْجَبَتْكُمْ﴾

١- المشرك: هو ما جعل الله إلهاً آخر وشريكاً له، والشرك على مراتب ودرجات
فأعلاه ذلك الذي يعتقد بتعدد الآلهة ثم الذين اتخذوا أصناماً يعبدونها وليتقربوا
بها إلى الله وهذا شرك واضح، وهناك شرك أقل منه وضوحاً هو شرك النصارى
واليهود الذين قالوا: عزيزاً ابن الله والمسيح ابن الله، ثم تصل إلى ما هو أكثر
خفاء وهو شرك الأعمال ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ
مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف: ١٠٦)، وهذا ما لا يتخلص منه إلا القليل من المؤمنين،

والمشركون بهذا المعنى العام الشامل لم يكن هو المقصود قطعاً لعدم صدق العنوان - أي الشرك - إلا على أصحاب الدرجات الأولى من الشرك؛ لأن شركهم يمتس وجود الله ووحدة ذات الله البسيطة، وأما أهل الكتاب فهم من المؤمنين بوحدانيته، وأن ربهم هو نفس الإله الواحد وأنهم مؤمنون ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٢).

وأطلق القرآن على أهل الكتاب بالمشركين والكافرين في آيات أخرى بلحاظ الإشارة على الفعل الصادر أو الفكرة الصادرة، فبلحاظ كونهم يقولون بأن عزيراً ابن الله وأن المسيح ابن الله فهم مشركون لا مطلقاً، وباعتبار عدم تصديقهم بالرسول ﷺ وبالقرآن فهم كافرون لا مطلقاً، كما يطلق القرآن الشرك والكفر على المؤمنين من المسلمين في حالة عصيانهم أو إنكارهم لأمر ضروري بنظر الشرع. *مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي*

ومن هنا نعلم ومن قرينة ﴿حَقِّ يُؤْمِنُ﴾ أن المراد من المشركات في الآية لا تشمل أهل الكتاب لأن أهل الكتاب؛ من المؤمنين بالله، فهي ناظرة إلى عبدة الأصنام والنيران والعجل والشمس وإلى من لم يؤمن إلا بالأسباب المادية كعلّة مستقلة للوجود لا غير. نعم، قد تكون هناك فرق ومذاهب يصدق عليها الاشراك بالله وأنهم من المشركين فيشملهم النهي.

٢- لا يجوز للمؤمن المسلم أن ينكح المشركة، ولا يجوز للمؤمنة المسلمة أن تنكح مشركاً، وإن الحرمة ناظرة إلى مسألة الإيمان والكفر لا إلى ذات الإنسان، فالإنسان كلّ الإنسان بذاته محبوب عند الله؛ لأنه خلقه سواء كان عبداً أو

حرّاً، ولكن الذي يبعد عن الله ويقرب إليه هو مسألة الكفر والإيمان الذي يحمله الشخص، ولهذا لو آمنت الشخصية المشركة بالله لا مانع من الزواج منها، وأنّ المرأة لو كانت مؤمنة وأنّ الرجل لو كان مؤمناً لهو الخير ولهو المفضل والمراد عند الله سبحانه وتعالى.

ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال: «خلق الله الجنّة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان قرشياً»^(١)، وأنه خير بالنسبة للزوج، وأنه خير بالنسبة للزوجة وإن أعجب كل واحد منهما الآخر في حالة شركه لمال أو لجاه أو لجمال أو لأيّ جهة أخرى جذبتة.

وبهذا نعرف أنّ أول ما يجب على المرأة والرجل فيما يعجب الرجل من المرأة أو المرأة من الرجل هو الإيمان الذي يحمله، وأمّا غيره فهو من الأمور الثانوية، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»^(٢).
 مركز تحقيقات كميتر علوم إسلامي

ثانياً: ﴿أَوْلَيْكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾

- ١- باعتبار رجس العقيدة والعمل الذي يحمله أولئك المشركون الذي يلازمه دخول النار لا محالة، فالذي يحمل الشرك يحمل الدعوة إلى النار وإن لم يدعُ بالفعل.
- ٢- باعتبار أنّهم مؤمنون بشيء، والمؤمن بشيء يدعو إليه حتماً من خلال كلامه أو مواقفه من التأييد أو الرفض أو من المناصرة وعدمها، وغير ذلك من الأمور التي تلازم الإيمان بالشيء.

(١) المناقب ٢٩١:٣.

(٢) عوالي اللاكي ٣٤٠:٣/٢٥٢.

٣- باعتبار وجود الزوج المشرك أو الزوجة المشركة في الأسرة ومعايشته بين الأطفال وتولي تربيتهم سيؤثر أثره السيئ فيهم ويسري عامل الشرك أو التشويش في العقيدة إليهم، وبالتالي يكون هذا النوع من التواجد والتعايش عبارةً أخرى في أنها دعوة لأفراد الأسرة إلى النار.

٤- أن أهم مطلب من الزواج في أن تحصل بين الزوجين السعادة والراحة البدنية والروحية والطمأنينة لأحدهما بالآخر، وهذا يحصل عندما يكون هناك انسجام وترايط وتفاهم بين الزوجين، وهذا الترايط يضمنه عامل السلوك والأخلاق الموحدة الناتجة من وحدة الرأي والنظرة إلى الحياة، فلو اختلفت الرؤى واختلفت النظرة للحياة لاختلاف ما يدعو إليه الشرك ممّا يدعو إليه الإيمان فإنه حتماً ستختلف السلوكية وأخلاقية أحدهما عن الآخر، بل سيعيش الزوجان في حياتهما اليومية في حالة التضاد لا الانسجام والألفة التي هي الضمان في ديمومة الحياة الزوجية، *مسدي*

ويعنى آخر: أن الإقدام على مثل هذا الزواج هو إقدام على التفرقة بعداوة أحدهما للآخر، وأنه إقدام على مشروع زواج فاشل مسبقاً، والله لا يريد أن يصل الإنسان إلى هذه النتيجة التي تؤدي إلى التمزق الاجتماعي وتقوي العداوة والبغضاء. وإذا كان ولا بد للمرأة والرجل الذي يكون أحدهما مشركاً أن يتزوجا ببعضهما البعض فلا بد من أن يجري أولاً الحوار بينهما حول الإيمان والشرك، فإن آمن المشرك فليتزوجا؛ لأنه من صالحهما من وجهين:

الأول: هو أن في الإيمان تكامل الشخصية الإنسانية وفيه استقرار للقلوب وفيه الخير والبركة التي تدخل على الزوجين، بعكس الشرك الذي لا يحمل إلا

التقهقر والرجوع إلى الجاهلية والنزول بالإنسان إلى الحضيض الفكري والتجميد العقلي.

والثاني: هو أن فيه الضمان للانسجام والألفة الذي من خلاله تدوم الحياة الزوجية لوحدة الفكر والقلب والسلوكية والأخلاق النابعة من وحدة العقيدة التي يحملها الطرفان من الإيمان بالله واليوم الآخر.

الثالث: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَصُبْحِنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

لم يقل: وأولئك يدعون إلى الجنة والمغفرة، بل قال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ﴾ بدلاً عن المؤمنين؛ لأن دعوتهم أساسها هو الله، وأن لسانهم هو لسان الله سواء عبروا به بأنفسهم أو عبر به الله بدلاً عنهم. هذا بالإضافة إلى أن هذا اللون من الخطاب بحيث يعبر الله بدلاً عنهم فيه الزخم الكبير والدفع العظيم ويعطي القوة الكبيرة والهمة العالية للمؤمنين وهم يستفقدون أحكام الله في النهي عن الزواج بالمشركين أو غيره من الأحكام، فهم لا يتركون شيئاً إلا بإذنه ونهيه، ولا يمثلون لشيء إلا بإذنه وأمره، والذي عنده يستصغر المؤمن ويستحقر الأمور الكبرى التي تحاول أن تكون مانعة في امتثال أحكام الله، هكذا يبين الله أحكامه للناس لعلهم يتذكرون فيما نهاهم عنه وفيما أمرهم به.

س: لماذا بدأ الله بالآيات التي تنظم العلاقة الزوجية بهذه الآية؟

ج:

لأنه واضح أن الله يريد أن يحافظ على إيمان الإنسان ودينه، وأن الإيمان هو التاج الذي يكون على رأس أي عمل، وبداية كل خطوة يخطوها الإنسان المؤمن

في حركته، وعليه يكون من المناسب عندما يريد أن يذكر أحكام الزواج أن يبتدئ بهذه الآية التي تجعل اختيار الزوج أو الزوجة قائماً على أساس الإيمان، وأن يكون دافع الإيمان فوق الدوافع العاطفية، وأنه الضمان لنجاح مشروع الزواج بين الطرفين، وأنه العامل التربوي الرائع الذي يريد الله أن يرثي المؤمنين عليه، وهو أن يندفع المؤمن إلى الزواج لا لكونه عاملاً غريزياً حيوانياً وإنما هو جزء لا يتجزأ من الحركة الإيمانية التي يسمي الإنسان لأجلها، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»^(١).

س: لقد أخرجت أهل الكتاب من المقصود من المشركين، فهل تعتقد بكفاية ذلك من التمسك بالإطلاق في خصوص هذه الآية ليشمل إطلاق المشركين لأهل الكتاب كذلك؟



ج:

لو أغمضنا النظر عما ذكرناه سابقاً من التعليل لخروج أهل الكتاب من المشركين، فإنه يبقى أهل الكتاب خارجين من المشركين بورود التخصيص، أي يكون المشركون عاماً وقد خرج منهم أهل الكتاب للتخصيص لورود المخصص وهو قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَجِلُّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ (المائدة: ٥)، الذي يستنتج منه حلية زواج المؤمن من الكتابية دون العكس.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٌّ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ • نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتِي سِتْمٌ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٢-٢٢٣)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

١- الحيض: أ- السيلان. ب- الجمع.

٢- أذى: ما يصيب الإنسان من مكروه.

٣- الاعتزال: التجنب.

٤- الطهارة: النزاهة والنظافة.

٥- الحرث: أ- الزرع. ب- الأرض المعدة للزراعة.

٦- أنى: من المبهمات التي تستعمل للمكان والزمان.

س: ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٌّ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾؟

ج:

إن مبيض المرأة يحتوي على بويضات، وتمرّ البويضة في حالة النمو والنضوج

حتى تصبح مؤهلة للتلقيح إن لاقت حيمن الرجل واخترقها، وإن لم تلق البويضة ما يلتحقها فإنها تمر بالاضمحلال شيئاً فشيئاً إلى أن تتحوّل إلى سائل دموي يخرج من خلال رحم المرأة إلى الخارج، ويسمى هذا الدم دم الحيض أو العادة الشهرية.

سؤال السائل للنبي ﷺ يقع هنا: أنه ما حكم العلاقة الجنسية للرجل مع زوجته وهي في حالة الحيض؟ فيجيب الله عن هذا السؤال عن طريق رسوله ﷺ حين يقول له: قل يا رسول الله ﷺ، لهم بأن الممارسة الجنسية فيها أذى للزوجة لأنه يسبب الكثير من الأمراض لها كما أثبتته العلم اليوم، وأنه أذى للذرية لو قدر أن تتلقح البويضة في هذه الحالة حيث سيخرج الطفل ضعيفاً أو مشوهاً لضعف البويضة وهي في طريقها إلى الاضمحلال، مع أن جو الدماء القذرة يكون بنفسه قابلاً لأن يكون مستعداً لقبول الجراثيم من الخارج الذي قد يصيب الطرفان بالمرض، أو أن نفس الحيض فيه أذى للمرأة بغض النظر عن المباشرة معها؛ لأنه في الحيض تفقد المرأة الكثير من الدم فيصيبها الضعف الجسدي والروحي فتحتاج إلى الراحة وعدم البذل من الجهد لتنظّم عندها الدورة الدموية لتعوض عما تفقده من الدماء ولتكون مستعدة لإعادة نشاطها، وهو أذى للزوج حيث في هذه الفترة يمتنع عن الاستمتاع مع زوجته.

ومن كلّ هذه الأسباب وغيرها أمر الله الرجال بأن يعتزلوا النساء في هذه الحالة وفي هذه الفترة الزمنية ولا يقربوهن من ناحية الجماع فقط دون بقية الممارسات، حتى ينقطع الدم ويظهرن - بالتخفيف أي بدون قراءتها بالتشديد - من كلّ دم فاسد يرجع إلى تلك البويضة ومعرفة ذلك بانقطاع الدم عنها، فإذا ظهرن بالنقاء أو بالغسل من الحيض فعند ذلك تجوز المباشرة معهن من حيث أمركم الله بأن تباشروهن من

السبيل الفطري المعروف، وكما أمركم الله بأن تؤدّوا الوظائف الشرعية المتوخّاة من الزواج وأن تسيروا ضمن أهدافه العظيمة التي رسمها الله لكم في مسائل الزواج من المحافظة على الالتزام بأحكام الله في جميع الأحوال وأن تحافظوا على صحّة أبدانكم وأرواحكم وأن تحافظوا على نتاجكم من الذريّة السليمة الصالحة، ومن كان جاهلاً بالحكم أو خالف بأن باشر زوجته أثناء الحيض ثمّ تاب فإله يقبل توبته؛ لأنّ الله يحب الإنسان التائب كما يحب الإنسان الذي استعمل الأسلوب الطبيعي واحترم الحكم الإلهي من الطهارة وعدم التعدي.

س: لماذا استعمل الله لفظ ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾ ولم يستعمل (ولا تباشروهنّ)

التي هي أقرب للمراد؟

ج:

١- لا فرق بينهما؛ لأنّ الاثنتين كناية عن الجماع، وهذا من الأدب الرّباني أن يستعمل الكناية.

٢- أن يكون استعمال لفظ (لا تقربوهنّ) أكثر دقّة من غيره في هذا الموضع الحساس، حيث المراد من الزوج ألا يقترب من زوجته بلمس أو همس أو غير ذلك حتّى لا يقع منه الجماع وامراته في حالة الحيض، فهي نظير القول: من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

س: لماذا كرّر الله لفظ الحب في ختام هذه الآية؟

ج:

١- لأنّ لفظ الحب محبوب بنفسه.

٢- لاختلاف موضوع التوايين عن المتطهرين.

٣- يعكس اهتمام الله بالتوايين والمتطهرين؛ لأنهم يشتركون في سعيهم وشعورهم بضرورة رضا الله وحبهم له.

٤- فيه عامل الترغيب للتوبة والتطهر.

س: ما هو التعريف الاصطلاحي للحيض؟

ج:

الحيض: هو الدم الذي تقذفه المرأة السوية من الرحم إلى الخارج في أوقات منتظمة غالباً، وغالباً ما يكون أحمر أو أسود، حاراً، كثيفاً، يخرج بتدفق وحرقة، ولا يكون أقل من ثلاثة أيام ولا يكون أكثر من عشرة.

س: ما هي أنواع الدم الذي تقذفه المرأة من رحمها إلى الخارج؟

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

ج:

الدم الخارج من رحم المرأة على أربعة أنواع:

١- دم الجرح أو القرع.

٢- دم الحيض.

٣- دم الاستحاضة.

٤- دم النفاس.

س: ما هي أقسام المرأة الحائض بلحاظ دم الحيض الخارج منها؟

ج:

١- المبتدئة: وهي التي ترى الدم للمرة الأولى.

٢- ذات العادة الوقتية والعددية.

٣- ذات العادة الوقتية، أي المضبوطة وقتاً لا عدداً.

٤- ذات العادة العددية، أي المضبوطة عدداً لا وقتاً.

٥- المضطربة، أي غير المنتظمة وقتاً وعدداً.

٦- الناسية، أي التي كانت عاداتها مستقرة ثم نسيت الوقت والعدد.

س: ما هي الشروط العامة التي إذا توفرت حكم على المرأة بأنها حائض؟

ج:

١- البلوغ الشرعي، وهو بلوغ الأنثى تسع سنوات قمرية، والتي هي بالميلادي ثمان سنوات وتسعة أشهر.

٢- عدم بلوغ المرأة حد اليأس، وهو خمسون سنة قمرية لغير القرشية .

٣- خروج الدم خارجاً، أي ألا يبقى في داخل الرحم.

٤- موافقة الدم الخارج لوقت وعدد حيض المرأة.

٥- مدة الجريان، التي لا تقل عن ثلاثة أيام ولا تكون أكثر من عشرة.

٦- أن يفصل بين الحيضين السابق واللاحق مدة أقلها عشر أيام.

٧- ألا يكون دم قرح أو جرح.

س: ما هي الاحتمالات في تفسير قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾؟

ج:

١- عندما بين الله في الآية السابقة الهدف الرئيسي والعام للإنسان في الحياة وهو

الإيمان بالله وأنه الحساب الأول المفروض لكل مؤمن أن يضعه أمامه لأي

- عمل يقدم عليه ومن جملة الزواج واختيار المرأة أو الرجل فالميزان هو إيمان الرجل أو المرأة، هنا وفي هذه الآية يبين الله الهدف السامي الثاني المختص بالزواج، وهو أن الإنسان المؤمن يتزوج وهدفه التكاثر للحفاظ على جنس الإنسان ونوعه، وبهذا الهدف يسمو الإنسان بإنسانيته ويرتفع عن الدافع الحيواني، فالنساء محل للتكاثر، هذه هي النظرة الأولى والهدف الأول للزواج.
- ٢- النساء حرث وأرض زراعية خصبة لك أيها الرجل وهي تنتظر منك أن تنثر البذور فيها لتحصل على الإنجاب من الذكور والإناث، وإذا أردت أن تحصل على النتائج الصحيح والصالح من الأبناء فعليك أن تراعي أحكام الله وقوانين الزراعة والتكاثر في الزواج التي منها بذل الأخلاق الحسنة مع الزوجة، ألا تقربها وقت الحيض، أن تراعي الوقت المناسب والحالة المناسبة والذوق المناسب في المباشرة مع الزوجة، وألا يكون هناك إفراط ولا تفريط في المباشرة، وأن تستعمل الأكل المناسب الذي يؤثر إيجاباً على صحة الجنين ونموه، فكما أن الحرث يحتاج إلى عوامل بيئية خاصة فكذلك التكاثر.
- ٣- أيتها المرأة، أنتِ حرث ومحل للتكاثر، فلا تستعملي المانع من دون ضرورة إليه، ولا تستجيبين لنظرية تحديد النسل من دون ضرورة، ولا تخضعي لعرف يرى العيب في التكاثر، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «تناكحوا وتكاثروا حتى أباهي بكم الأمم»^(١).
- ٤- أيها الآباء والأولياء، النساء حرث لكم، فلا تعطلوا هذا الحرث بتعطيل زواج نساتكم، ولا تخضعوا لنظرية الزواج في الإسلام إلى نظرياتكم وتربيتكم

المنافية لنظرية الإسلام في زواج المرأة، فإن من جملة نظرية الإسلام في زواج المرأة أنها عندما تكمل التاسعة من عمرها فقد صارت مستعدة للزواج، فكما أن الفلاح يراقب الوقت المناسب للزراعة وأنه لا يجوز عليه تعطيله عن وقته المناسب من دون مبرر موضوعي وأن معاشه سوف يختل بتعطيل الزرع، فكذلك حرث المرأة إذا عطل من دون مبرر موضوعي فإنه يختل النظام الاجتماعي ويكثر الفساد فيه بفساد المرأة والرجل.

٥- أيتها المرأة، أنتِ حرث للرجل، فلا تجعلِي نفسك لعبة يتسلى بها الرجال، ولا تحوِلي حياتك إلى دمية داخل الغرف الزجاجية ليتفرج عليك الرجال، ولا تحوِلي شخصيتك إلى سلعة تجارية بيد أصحاب الإعلام الفاسد الذين يريدون أن يزرعوا التمتع والانحلال ويجعلوا الشباب يلهثون وراء عنفوانهم الجنسي من خلال عرض حركاتك وصورك التي تملأ كل وسائل الإعلام المنحرف.

٦- أيتها الأزواج، نساؤكم حرث لكم، فاستقبلوها كما يستقبل الفلاح أرضه وتعلقوا بها كما يتعلق الفلاح بأرضه من الحب والشوق والمراعاة والمدارة، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «رحم الله عبداً أحسن فيما بينه وبين زوجته فإن الله عز وجل قد ملكه ناصيتها ...»^(١).

٧- أيتها الرجال، النساء حرث لكم فاخترنوا لنطفكم المرأة الصالحة لحرثكم، كما أنك أيتها المرأة اختاري الفلاح الصالح الذي يهتم بحرته، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»^(٢).

(١) الفقيه ٤٤٣:٣/٤٥٣٧.

(٢) السرائر ٥٥٩:٢.

٨- أيها الرجال، إن ضمان إدامة وجودكم بوجود المرأة، كما أن ضمان إدامة حياتكم بوجود الزرع، فاعرف أيها الإنسان مكانة المرأة في الإسلام ونظرية الإسلام في المرأة.

٩- أيها الناس، المرأة حرث لكم فإن تعيين الذكر أو الأنثى يأتي من الرجال لا من النساء؛ لأن حرث النساء متوقف على ما يبذره الرجل وما ينثره الرجل في رحم المرأة وليست المرأة إلا وعاء.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾؟

ج:

أن هذا الخطاب جاء لبيان السعة، فبالتمسك بإطلاق المشيئة وعموم الحليّة يمكن أن يكون المعنى:

١- باشروا زوجاتكم في أي وقت شئتم إلا ما خرج بالنص وهو وقت الحيض الذي لا يصلح للحرث وأنه أذى.

٢- باشروا زوجاتكم في أي موضع منهن شئتم وبأي كيفية لهن شئتم قبلاً أو دبراً، ورد في خبر عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «لك أن تستمتع لكل جزء منك من كل جزء منها».

٣- أن الإتيان قد تعلق على المشيئة الذي يدل على إباحة الإتيان والمباشرة لا وجوبه.

س: هل يمكن أن نتمسك بالآية لإثبات عدم جواز الاستمتاع بدبر الزوجة بقريئة الحرث حيث إن الدبر لم يكن سبباً للحرث؟

ج:

أولاً: لا يمكن ذلك، وذلك للأسباب التالية:

١- أن الآية في بيان السعة بعد ما منعت المباشرة في الحالة الخاصة وهي حالة الحيض.

٢- أن قرينة الحرث لا تقاوم قوة إطلاق المشيئة لصراحة الإطلاق وإضمار القرينة.

٣- استعمال (أنى) المبهمة التي تستعمل لمطلق الزمان والمكان والكيفية من دون تحديد لشيء معين لا يهاهما.

٤- إضافة (أنى) إلى (شتم) التي تؤكد السعة والشمول.

٥- لم يكن لجواز المباشرة لقبول الزوجة ذكر في هذه الآية إلا من خلال اللازم

البعيد سواء كان من الآية السابقة لمسألة الحيض أو عموم إتيان الحرث ففهمنا

إرادة ذلك، وقد يكون ما تعلق بالحرث وإتيانه بلحاظ مطلق الزمان ومطلق

المكان ومطلق الكيفية، وليس للخطاب نظر في المحل منهن قبلاً أو دبراً

وخصوصاً إذا قلنا: إن سبب نزول هذه الآية هم اليهود الذين كانوا يعتقدون

بعدم جواز وطئ المرأة وهي قائمة أو قاعدة أو غير ذلك، فمن أين نأتي ببحث

جواز الاستمتاع بالدبر أو عدم الجواز من خلال هذه الآية دون غيره من أجزاء

المرأة التي هي كلها محل استمتاع؟!

٦- وجود روايات تقول بجواز الاستمتاع بدبر المرأة سواء بالفحوى كما هو قول

الإمام الباقر عليه السلام الذي ذكرناه في النقطة الثانية قبل هذا السؤال، أو نصاً. ورد عن

عبدالله بن أبي يعفور أنه قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الرجل يأتي المرأة من

دبرها، قال: «لا بأس إذا رضيت»، قلت: فأين قول الله: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ

أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ﴾؟ قال: «هذا في طلب الولد، فاطلبوا الولد من حيث أمركم

الله، إن الله يقول: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَزْتُ لَكُمْ فَأْتُوا حَزَّتْكُمْ أَنِّي سِئْتُمْ﴾^(١).

٧- أن ما قاله البعض في أن الاستمتاع بدبر المرأة حالة شاذة مخالفة للذوق العقلي السليم وأنه غير ذلك، فإن هذه الأقوال وغيرها كلها استحسانات لا تولد حجة شرعية ولا تشكل دليلاً قطعياً.

٨- أن الاستمتاع لأجل الحرث لم يكن حكماً شرعياً أو علّة منحصرة لمباشرة النساء، بل هو عامل أخلاقي يربي الإنسان على المثل العليا في الدوافع والاهتمام، ولهذا يكون الزواج من العاقر من المباحات وجواز الاستمتاع بين الفخذين عند الحيض وغير الحيض، فلو كان كل استمتاع لا بد أن يكون لأجل الحرث لكان هذا النوع من الاستمتاع محرماً وهو ليس كذلك.

ثالثاً: نعم، ينحصر البحث في هذا الموضوع في السنة فقط لورود النهي عن الاستمتاع بدبر المرأة، وهنا يمكن أن نقول: إذا ثبت صحة مثل هذه الروايات فإن السنة تخصص عموم الحلية في الآية أو تقيد إطلاق المشيئة في الآية بعد رفع ما يعارضها من الروايات التي تبيح ذلك كما ذكرنا نموذجاً منها، والروايات التي وردت في باب النهي عن الاستمتاع في دبر المرأة يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أصناف:

١- ما يعين الاستمتاع بالقبيل مع السكوت عن الدبر، ورد عن زرارة أنه قال: سألت أبا عبدالله عن قول الله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَزْتُ لَكُمْ فَأْتُوا حَزَّتْكُمْ أَنِّي سِئْتُمْ﴾؟ قال: «من قبيل»^(٢).

٢- ما ينهى عن الاستمتاع بالدبر، ورد عن أبي بصير أنه قال: سألت أبا عبدالله عن

(١) التهذيب ٧: ٤١٤/١٦٥٧.

(٢) التهذيب ٧: ٤٦٠/١٨٤١.

الرجل يأتي أهله في دبرها، فكره ذلك، وقال: «إياكم ومحاش النساء»^(١).
 ٣- ما ينهي إرشاداً عن الاستمتاع بالدبر، ورد عن الفتح بن يزيد الجرجاني أنه قال:
 كتبت إلى الرضا عليه السلام في مسألة فورد منه الجواب: «سألت عمَّن يأتي جاريته في
 دبرها، والمرأة لعبة لا تؤذى، وهي حرث كما قال الله»^(٢).
 ومن هنا اختلف العلماء في الفتوى بذلك فمنهم من جوز، ومنهم من حرّم،
 ومنهم من قال بالكراهية الشديدة، ومنهم من قال بالاحتياط الوجوبي.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا
 لَأَنْفُسِكُمْ﴾؟

ج:

١- قدّموا لأنفسكم البنين وأنتم تأتون حرثكم؛ لأنه هو المطلوب الإلهي
 من الزواج.

٢- قدّموا لأنفسكم الراحة البدنية والروحية عندما تأتون حرثكم، قال تعالى:
 ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ
 مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم: ٢١).

٣- قدّموا لأنفسكم في الآخرة وأنتم تأتون حرثكم الذي أحله الله إليكم ولا
 تستعملوا المحرّمات.

٤- قدّموا لأنفسكم وأنتم تختارون الأزواج حيث يشترك هذا الاختيار في دخول
 البهجة والسرور يوم القيامة وأنتم تعرضون أعمالكم حيث شاركتكم الزوجة أو

(١) وسائل الشيعة ٢٠: ١٤٤/٢٥٢٥٦.

(٢) تفسير العياشي ١: ١١١/٣٣٦.

الزوج في أنهما من الصالحين المؤمنين، وأنكم لم تختاروا أصحاب منبت السوء من الأزواج الذي يزيدكم الهَم والحزن يوم القيامة، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إياكم وخضراء الدمن»، قيل: يا رسول الله ﷺ وما خضراء الدمن؟ قال: «المرأة الحسناء في منبت السوء»^(١).

٥- واتقوا الله في تطبيق أحكامه في زواجكم وإيتاء حرتكم والابتعاد عمَّا حرَّمه الله، واعلموا وكونوا على يقين أن هناك يوم المعاد وعرصات الحساب التي سوف تلتقون من خلالها مع حكم الله وأمره وهناك يبشِّر المؤمنون الذين آمنوا والتزموا بأحكام الله بالجنة التي وُعد بها المتقون، وعليه أنه لا بد أن تكون أعمالكم عمل المؤمن والموقن بالملاقاة مع الله في عرصات يوم القيامة.

٦- أن وجوب التقوى كما هو وجوب على الزوج فهو وجوب على الزوجة، وهذا يستدعي أن يكون للطرفين حق الولاية في دين الله لحصول كل منهما على تقوى الله في الزواج والحياة الزوجية، فكما يكون حق للزوج أن ينهي زوجته عمَّا حرَّمه الله، فكذلك الزوجة لها الحق في ذلك، ف«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(٢) كما ورد ذلك في الحديث الشريف.

٧- وقدّموا لأنفسكم واتقوا الله، هذه هي الحركة الطبيعية العامة للمؤمنين في جميع الاتجاهات وفي جميع الميادين العملية، أنهم يسعون لأن يقدموا لأنفسهم زاد الآخرة من خلال تقوى الله وما الحياة الزوجية إلا مصداق من المصاديق التي يجب أن تقع تحت هذا النوع من الحركة من قبل المؤمنين، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (الحشر: ١٨).

(١) الكافي ٥: ٣٣٢/٤.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ١٥٧/١٤٥١٧.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ
النَّاسِ وَاللَّهِ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ • لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ
يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ • لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ
تَرْبِصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ • وَإِنْ عَزَمُوا
الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٢٤-٢٢٧﴾

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:

- ١- عرضة: إظهار الشيء للغير.
- ٢- الإيمان: من اليقين والبركة وهو القسم والحلف.
- ٣- تبرؤوا: من البرّ والاحسان.
- ٤- يؤاخذ: ترتب الأثر.
- ٥- اللغو: مالا فائدة فيه ولا نفع.
- ٦- يؤولون: من الإيلاء أو الإلية وهو الحلف.
- ٧- التربص: أ - الانتظار. ب - الإمساك.
- ٨- فاءوا: رجعوا.
- ٩- الطلاق: الفراق والسراح والتخلية عن الوثاق.

● الطلاق في التشريع الإسلامي

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؟

ج:

- ١- أيها المؤمنون، عندما تريدون البر وأن تعملوا خيراً أو أي مشروع تريدون أن تحصلوا من خلاله على تقوى الله أو إصلاح بين متخاصمين لا تجعلوا الله في معرض أعمالكم وأقوالكم من خلال الحلف والقسم بالله، بل اعملوا وأدوا أقوالكم من دون حلف أو قسم، فلا تقسموا ولا تطلبوا من الآخرين أن يقسموا، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فإن الله عز وجل يقول: ﴿لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾»^(١).
- ٢- أيها المؤمنون، لا يكون الحلف بالله مانعاً وحاجزاً في ألا تبرؤوا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس، بل إذا توقّف أحدهم على الأيمان والقسم فاجعلوا الله عرضة لأيمانكم، ويتم هذا الاحتمال بتقدير (لا) بعد (أن) وهو شائع الاستعمال في أن المصدرية، قال تعالى: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَصِلُوا﴾ (النساء: ١٢٦)، أي ألا تصلوا.
- ٣- أيها المؤمنون، أقسموا واحلفوا وأنه مباح لكم ذلك، ولكن لا تجعلوه بكثرة بحيث يؤدي إلى الاستهانة والتكذيب وعدم التصديق بأيمان المكثّر منه، وبالتالي يحصل ألا تبرؤوا ولا تتقوا ولا تصلحوا، ﴿وَلَا تُطِغْ كُلُّ خَلَابٍ

مَهِينٍ ﴿النلم: ١٠﴾، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ﴾ أنه قال: «هو قول الرجل: لا والله وبلى والله»^(١).

٤- أيها المؤمنون، إن هذه الدقة المطلوبة في مراقبة المؤمن نفسه في الحلف والأيمان والاهتمام بقداسة هذا الاسم العظيم الأعظم فهي في الأمور المشروعة من البر والتقوى والإصلاح وما يقع تحتها، وأما في موارد الفرقة والشر وعدم التقوى أو في الأمور المشتبه فيها فلا أيمان ولا قسم يجري حتماً، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ﴾، أنه قال: «يعني الرجل يحلف ألا يكلم أخاه وما أشبه ذلك أو لا يكلم أمه»^(٢).

٥- قد يمر الإنسان في حالة من عدم الراحة نتيجة عدم تحمّله أو لكثرة المشاكل أو لأي سبب آخر فيمتنع من خلال الحلف بالخوض في عملية البر والإصلاح بين الناس أو خدمة الآخرين، فالله سبحانه وتعالى يمنع من أن يجعل اسمه سبباً في المنع في مثل هذه الموارد الخيرة من جهة، ومن جهة أخرى يريد الله من الإنسان أن يخوض هذه الميادين ويتحمّل مشاكلها وإن كان فيها التعب الأكثر والمشقة الكبرى، ولكن عليها يترتب الثواب الأكثر وبها يحصل الإنسان على تجربة الحياة ومعرفة الناس، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ﴾ أنه قال: «إذا دعيت لصلح بين الناس فلا

(١) وسائل الشيعة ٢٣: ٢٣٩/٢٣٩٧٣.

(٢) وسائل الشيعة ٢٣: ٢٢٣/٢٩٤٢١.

تقل عليّ يمين ألا أفعل»^(١).

٦- أتيها المؤمنون، إنه في حالة أنكم تؤدون القسم أو في حالة امتناعكم عنه فإن الله سميع لكل ما يصدر منكم وعليهم بنياتكم وما تخفي صدوركم من خلوص النية في القسم والخوض في عمل الخير والبر وغير ذلك.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾؟

ج:

اللغو في الأيمان هو الأيمان الذي لم يقصده صاحبه قلباً، بل هو الأيمان المعتبر ضمن الحديث وما تعود الإنسان عليه ضمن حشو الكلام، فمثل هذا الحلف معفو عنه الإنسان من حيث ترتب الأثر الشرعي فلا حنت عليه ولا تلزمه الكفارة ولا يعتبر قسماً شرعياً مسؤولاً عنه في الدنيا والآخرة، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ أنه قال: «اللغو: قول الرجل لا والله وبلى والله، ولا يعقد على شيء»^(٢).

نعم، إذا قصد منه قلباً الأيمان والقسم الشرعي وأنه مراد جدي له، فهنا يترتب الأثر الشرعي كما في المحاكمات إذا توقفت القضية على القسم، ويؤاخذ به من حيث الحنت والكفارة، والسؤال عنه يوم القيامة والعقاب على ما كان الأيمان كاذباً، ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ (المائدة: ٨٩)، والله كثير المغفرة والتجاوز لأنه هو الغفور، وأنه يمهّل ولا يهمل لأنه هو الحليم، فلا تياسوا من مغفرته لكم مهما

(١) الكافي ٢: ٢١٠/٦.

(٢) الكافي ٧: ٤٤٣/١.

تجاوزتم مادام هناك فرصة للتوبة أمهلكم الله فيها قبل مجيء يوم القيامة.

س: لماذا استعمل الله لفظ المؤاخذة في هذا الخطاب دون بقية التعابير الدالة على الاستباحة؟

ج:

ليبين الله أن عدم رضاه بهذه العادة التي يتعود الإنسان عليها وعلى الإساءة غير المقصودة منه، فإن رفع المؤاخذة لا يعني الرضا والحب، بل تعني أنه سبحانه من باب لطفه ورحمته أنه على الرغم من أن هذا العمل غير مرضي عند الله إلا أنه لا مؤاخذة عليه من قبله ولا يعاقب عليه.

س: هل استعمال عبارة ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبِكُمْ﴾ استعمالاً مجازياً يريد الله من خلاله أن يقرب معنى القصد والنية فيشبهه بكسب القلوب؟

ج:

مرکز تحقیقات کامیونر علوم اسلامی
أنه استعمال حقيقي، وذلك للأسباب التالية منها:

١- الكسب كما يكون في الموارد المادية يكون في الموارد المعنوية مثل كسب الوجاهة والرفعة والكرامة والخير والشر وغيرها من الأمور المعنوية، فالاستعمال في الموردین حقيقي لا مجازياً.

٢- القلب باعتباره هو الروح التي هي مركز الإحساس والشعور والرأس الذي ترجع إليه جميع الحركات الإرادية وغير الإرادية، وما البدن وأعضاؤه إلا مستجيبة لنداء الروح وتأثيرها عليه، فنوعية الفعل الصادر خارجاً على ما فكر به الإنسان لا يتعين إلا من خلال الروح التي هي مركز صدور الأحاسيس والمشاعر، فضرب الطفل هو ضرب ولكن الذي يعين أنه أدب أو ظلم هي

الروح المعبر عنها بالقلب، وإن فعل الخير فهو فعل في الخير ولكن الذي يعين صدق الفعل في الخير أو كذبه هو الروح المعبر عنها بالقلب، فقد ترى الإنسان يعمل في الخير ولكن إذا تولى سعى في الأرض مفسداً والذي يعكس عن تبييت النية السيئة وأنه منافق منذ الأول وإن فعله بالخير ما هو إلا وسيلة للوصول إلى غاياته، ولهذا تجد أنه لا ترتب على فعله للخير، لأنه بالنسبة إليه وكفعل صادر منه هو شر وإفساد حيث جعل الخير وسيلة لا غاية في نفسه وأنه خير يعمل لأجله، وبهذا نعرف أن الاستعمال كان حقيقياً بلحاظ الكسب وبلحاظ كسب القلوب وبلحاظ المواخذه عليه.

س: ما هو المعنى الإجمالي للآيتين في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصًا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاغَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾؟

ج:

أولاً: أن هاتين الآيتين هي حلقة الوصل بين الآيتين السابقتين اللتين كان موضوعهما الحلف والأيمان وبين الآيات التالية؛ لأن موضوعها الطلاق، فهاتان الآيتان تجمعان بين الأيمان والطلاق لتوضيح أحد مصاديق الأيمان وتمهيداً للدخول في موضوع الطلاق.

ثانياً: أن موضوع الآيتين هو الإيلاء، ولما تعلق الإيلاء بـ (من نساءكم) فيكون الإيلاء ناظراً إلى التقرب والمواقعة، فيكون الإيلاء: هو حلف الزوج على ترك وطء الزوجة المدخول بها.

ثالثاً: حلف الزوج، وهو الحلف والقسم الشرعي الذي لا يقع ولا ينعقد إلا باسم

الله تعالى.

وابعاً؛ أن الجواز الشرعي للإيلاء مطلق سواء كان لمبرّر موضوعي أو لم يكن كذلك، ولكن العاقل المتشرع لا يصدر منه الإيلاء إلا لمبرّر موضوعي إضراراً أو لمصلحة، هذا هو منطوق الآية، وهذا إذا كنا نحن والآية، ولكن وردت هناك روايات تخصّص هذا العموم وتقيّد هذا الإطلاق الذي تحمله الآية حيث تحكي عن الإيلاء عندما يريد الزوج أن يضرّ بزوجه فقط، وعندها يمكن أن نقول: إنه لا إيلاء عندما يكون الهدف منه مصلحة سواء له أو لزوجته أو للطفل، بل يختصّ الإيلاء بالإضرار فقط، فلو كان الحلف على عدم الوطء وبنفس المدّة لمصلحة فلا يكون إيلاء بل يميناً.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا غاضب الرجل امرأته فلم يقربها من غير يمين أربعة أشهر استعدت عليه، فإمّا أن ينيء وإمّا أن يطلق، فإن تركها من غير مغاضبة أو يمين فليس بمؤل»^(١)، وعنه أيضاً: «أتى رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، إن امرأتي أرضعت غلاماً وإني قلت: والله لا أقربك حتى تظمينه، فقال: ليس في الإصلاح إيلاء»^(٢).

خامساً؛ أن الإيلاء لا ينعقد إلا على مدّة أقلها أربعة أشهر أو أطلق المدّة، فلو كانت أقل لم يكن إيلاء، بل يمين وإذا حنت عليه كفارة يمين.

سادساً؛ عندما يؤلّي الزوج زوجته من حقّها مرافعة قضيتها إلى الحاكم الشرعي، وعلى الحاكم الشرعي أن يتربّص به وينتظره أربعة أشهر وبعد انتهائها من حق الحاكم أن يخيره؛ إمّا على الفيء والرجوع إلى زوجته، أو أن يطلق من دون

(١) الكافي ٦/١٣٣:١٢.

(٢) الكافي ٦/١٣٢:٦.

أكرهه على أحدهما، وإذا رفض الفيء والطلاق فيحبس أو يقطع عنه الطعام والشراب حتى يقبل أحدهما.

سابعاً: فإذا عزموا على الطلاق بأن أوقعه الزوج فيكون الطلاق رجعيًا، هذا هو الإجماع عن الإيلاء ومن أراد المزيد فليراجع فيه كتب الفقه.

ثامناً: نستنتج من كل ما مرَّ عن الإيلاء هو حق للزوج أن ينفصل عن زوجته جسدياً وأنه مختص بحق الجماع فقط، أما بقية الحقوق الزوجية فتبقى على حالها، وإن هذا الانفصال ملاحظ فيه حقوق الزوجة من ناحية الجماع، ولهذا حدَّد بالأربعة أشهر، بل حتى بالأربعة أشهر أنها متروكة للحاكم الشرعي عندما يرى فيه أن الزوجة قد ترتكب الحرام، ولهذا لها حق المرافعة عند بدء الإيلاء ليشرح الحاكم لما فيه مصلحة الزوجة في هذه المدة وما بعدها، وبهذا وضع الإسلام الموازنة في الحكم وحق الانفصال الجنسي بين الزوج وزوجته، فلا جاهلية التي كان الزوج فيها يظلم زوجته عن طريق الإيلاء **كَيْفِيًّا بِشَاءٍ وَفِي أَيِّ وَقْتٍ يَشَاءُ** ومهما طالَّت المدة أو قصرت، ولا للغرب الذي أعطى حق الانفصال لأكثر من هذه المدة بل لسنوات.

﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٨)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- القرء: الجمع الذي يعقبه التفريق والانتشار.

٢- البعل: الذكر، وسمي بذلك لاستعلائه على المرأة.

٣- الدرجة: المنزلة.

٤- الرجل: القوة.

مركز تحقيقات كاميون علوم إسلامي

س: ما هي أقسام الطلاق؟

ج:

الطلاق على قسمين:

الأول: الطلاق البدعي: وهو الطلاق القائم على غير القرآن وسنة الرسول ﷺ

حسب وجهة النظر الإمامية، وهو ما يقابل الطلاق السنّي بالمعنى الأعم.

الثاني: طلاق السنّي، وهو على قسمين:

١- الطلاق البائن: وهو الطلاق الذي تنقطع به العلاقة الزوجية كلياً ولا يحقّ للزوج

الرجوع إليها.

٢- الطلاق الرجعي، وسمي بذلك لحق الزوج الرجوع إليها، وهو على ثلاثة أقسام

نظراً إلى حالة الرجوع:

الأول: الطلاق الرجعي العدي: وهو أن يطلق زوجته المدخول بها مع اجتماع الشروط ثم يراجع قبل خروجها من العدة فيواقعها ثم يطلقها في طهر آخر ثم يراجعها فيه فيواقعها ثم يطلقها في طهر آخر فتحرم عليه حتى تنكح زوجاً آخر.

الثاني: الطلاق الرجعي المقابل للعدي: وهو ما يراجع فيه الزوج زوجته من دون جماع.

الثالث: الطلاق الرجعي السنّي بالمعنى الأخص: وهو ما يراجع فيه الزوج إلى زوجته بعد انتهاء العدة ويعقد نكاح جديد.



س: ما هي موارد الطلاق البائن؟

ج:

- ١- طلاق الصغيرة: وهو طلاق الزوج زوجته التي لم تبلغ تسع سنين.
- ٢- طلاق اليائسة: وهو طلاق الزوج زوجته التي دخلت في مرحلة اليأس عن الحيض وهو الخمسين سنة لغير القرشية.
- ٣- طلاق غير المدخول بها: وهي المرأة التي عقد عليها زوجها ثم طلقها قبل أن يطأها، فإن هذا الطلاق يكون بائناً لا رجعة له فيه.
- ٤- طلاق المختلعة: وهو الطلاق الذي تبذل فيه المرأة فدية من أجل أن يطلقها زوجها كراهية منها له.
- ٥- طلاق المباراة: هو كطلاق المختلعة ولكن يختلف عنه في إن الكراهية حاصلة من قبل كل واحد من الزوجين للآخر.

٦- طلاق الملاعنة: وهو أن يلاعن أحد الزوجين الآخر بصيغة مخصوصة وبشروط مخصوصة، فإذا حصلت الملاعنة تحصل البينونة بينهما.

٧- الطلاق الثالث: وهو إيقاع ثلاث تطليقات بينهما رجعتان، فإذا حصلت هذه الطلقة الثالثة يكون الطلاق فيه بائناً وتحرم عليه المرأة من ساعتها.

س: ما هو التعريف الاصطلاحي للطلاق؟

ج:

الطلاق: هو فسخ عقد النكاح بشروط خاصة.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ

يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؟

ج:

أولاً: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾

١- أن موضوع الآية هو عدّة الطلاق الرجعي للمدخول بها غير الحامل واليائس.

٢- أن استعمال لفظ (المطلقات) أي اللواتي طلقن من قبل الغير وهو الزوج أو

الحاكم الشرعي، وأنه كما أصبح المشهور أن العصمة بيد الرجل.

٣- يتربصن بأنفسهن، أي يمسكن بأنفسهن ويحبسنها من الزواج والتمكين، وهو

معنى الاعتداد وعدّة الطلاق، وسميت العدّة لاشتغالها على العدّ والعدد، وسمي

التربص؛ لأنّ الزوجة تتربص بنفسها عدّة أشهر أو أيام.

ثانياً: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾

١- أن يراد من القرء الحيض ، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أقعدني عن الصلاة أيام أقرائك» والمراد الحيض^(١)، وعلى هذا الاحتمال يكون عدد أيام عدّة الطلاق ثلاثة حيضات.

٢- أن يراد من القرء الطهر، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «أن علياً عليه السلام قال: إذا رأت الدّم من الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها ولا سبيل له عليها، وإنما القرء بين الحيضتين وليس لها أن تزوّج حتى تغتسل من الحيضة الثالثة»^(٢)، وعلى هذا الاحتمال يكون عدد أيام عدّة الطلاق ثلاثة أطهار، وهذا ما عليه الإمامية وبعض من غيرهم.

٣- ثلاثة قروء أي ثلاثة أشهر، وهذا الحساب الزمني لمن لم تحض أو هي مضطربة الحيض، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا ينبغي للمطلقة أن تخرج إلا بإذن زوجها حتى تنقضي عيبتها ثلاثة قروء أو ثلاثة أشهر إن لم تحض»^(٣).

ومن هنا أصبح الحكم واضحاً حيث تكون عدّة طلاق المدخول بها غير الحامل والتي تكون مستقيمة الحيض ثلاثة أطهار، فإذا رأت دم الحيضة الثالثة خرجت من العدّة، وثلاثة أشهر لمن لم تحض أو تحيض ولكن حيضتها مضطربة قد تطول أكثر من ثلاث أشهر، وللمزيد من التوضيح يراجع كتب الفقه.

(١) عوالي الاكبي ٣/٣٨٤:٥٠.

(٢) الكافي ٦/٨٨:٩.

(٣) الكافي ٦/٨٩:١.

٤- أن في هذه الفترة الزمنية من العدة يجب على الزوج النفقة والسكنى لزوجته، وإذا انتهت من دون رجعة فلا نفقة لها ولا سكنى.

ثالثاً: ﴿وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ﴾

١- عدة أيام الطلاق إذا كان بحساب الحيض أو الطهر فهو متروك لهنَّ وإذا ظهر الحمل قبل هذه العدة أو أثنائها فهو متروك لهنَّ أي يعتمد على ما تخبر به المرأة؛ لأنها أعرف بحالها من غيرها، ورد في تفسير علي بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ ...﴾ الآية أنه قال: «لا يحل للمرأة أن تكتم حملها أو حيضها أو طهرها، وقد فوض الله إلى النساء ثلاثة أشياء: الطهر، والحيض، والحبل»^(١).

٢- ولمعرفة أيام العدة للخروج منها أو لعدم الإضرار بالرجل عند الرغبة بالرجوع أو أن المولود لمن يكون حتى لا يختلط النسل فيولد المشاكل وتضيع الحقوق، فمن كل ذلك وغيره يجب أن تخبر المرأة بصدق لأنها تؤمن بالله، وألا تكذب فإن من ورائها حساب يوم الآخرة وعقابه وهو أكبر مما تروم إليه في الدنيا من وراء إخفائها الحقيقة، وألا تكذب لأنها مؤمنة بالله العالم بما تحمل الأرحام فإن شاء بين الحقيقة في الدنيا قبل الآخرة.

٣- أن مسألة حرمة إخفاء ما يحمل رحمها لم يكن له اختصاص بالطلاق، بل هو مطلق جارٍ فيما قبل الزواج بأن يحرم عليها إخفاء الحمل الذي جاءت به من شخص آخر قبل الزواج بهذا، ويحرم أثناء الزواج بأن تخفي الحيض على

(١) تفسير القمي ٧٤:١.

الزوج فتحصل الواقعة في الحرام، أو تخفي الطهر فتبعد الزوج من الواقعة وكله كذب ينافي الإيمان بالله وباليوم الآخر ويولد الكثير من المشاكل.

وابعاً: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾

١- استعمل لفظ البعولة الذي بنفسه يستبطن الاستعلاء على المرأة، واستعمل صيغة التفضيل (أحق) ليؤكد أحقية الرجل بالرد.

٢- ليس لأحد أن يكره الرجل أثناء العدة في أن يرجع إلى زوجته أو لا يرد، فالذي يتفرد بالرجوع هو الزوج فقط، فإذا حصل التفاهم بينه وبين زوجته أو لم يحصل ذلك، بل أراد أن يرجع على أي حال فرجوعه صحيح ولا يجوز لزوجته أن تمنعه؛ لأن عدم الإضرار شرط في الحكم التكليفي لا الوضعي وهو صحة الرجوع؛ لأن المطلقة بالطلاق الرجعي تكون الزوجة باقية على حكم الزوجية في هذه المدة وإن ما حصل من الطلاق هو تجميد للحالة الزوجية لا إلغاء لها.

مركز تحقيقات كاميون علوم إسلامي

٣- للحاكم الشرعي أن يتدخل في مسألة الرد إذا كان إصلاحاً فله أن يجبر المرأة إن امتنعت، وإن كان الرد إضراراً أي لأجل أن يمنعها الزوج من الزواج بالآخر مثلاً، فله أن يرى حلاً آخر للرد أو يطلقها منه، ﴿وَلَا تُنكِسُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا﴾ (البقرة: ٢٣١).

خامساً: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَ بِالْمَعْرُوفِ﴾

١- كما فرض الله حقوقاً وواجبات للمرأة فرض حقوقاً وواجبات على المرأة، وكما فرض الله حقوقاً وواجبات للرجل فرض الله حقوقاً وواجبات على الرجل، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ

وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ
اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿الأحزاب: ٣٥﴾.

٢- أن نتائج مخالفة هذه الحقوق والواجبات وجريان قانون العقوبات في الإسلام
على حدّ سواء بين الرجل والمرأة في جريان الحدود أو التعزيرات أو الحبس
عليها.

٣- أن قبول العمل من قبل الله أو عدم قبوله على حدّ سواء بين ما يصدر من المرأة
أو من الرجل، فلا توجد جنة خاصة بالرجال فقط ولا بالنساء فقط ولا نار
خاصة للرجال فقط ولا للنساء فقط؛ لأنّ النظر في الحساب إلى عمل المؤمنين
والمؤمنات، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

٤- كما فرض الله حقوقاً وواجبات للزوجة يجب أن يؤدّيها الزوج كذلك هناك
حقوق وواجبات للزوج يجب على الزوجة أن تؤدّيها، فهما متساويان من
حيث الحقوق والواجبات، والاختلاف لا في أصل وجود الحقوق والواجبات
المفروضة، بل الاختلاف نوع الحق والواجب، وإنّ الاختلاف في القليل من
الأحكام بين الرجل والمرأة بعضها تابع للاختلاف التكويني الواضح بين
الطرفين كأحكام الحمل والرضاعة وغيرها التي هي من مختصات المرأة دون
الرجل، وبعضها ناظر إلى مصلحة أحدهما دون الآخر باعتبار الملازمات
الواقعية التي ترتبط بأحدهما دون الآخر والتي مرجعها إلى الاختلاف
التكويني بينهما كذلك، مثل أن يكون صداق الزواج أو النفقة على الرجل دون

المرأة لكونه هو الذي يتصدى للعمل الخارجي لتكوينه الخشن دون المرأة، أو فرض الحجاب على المرأة دون الرجل حتى لا تضر الرجل بإثارته الدائمة لتكوينها الناعم الذي يكون مصدراً للإثارة، وبالتالي هو العدل والتساوي لانسجام الحقوق والواجبات مع متطلبات الحالة التكوينية التي يحملها طرف الرجل أو المرأة.

٥- لا تتصوروا أن الطلاق عبارة عن صيغة تلقى فحسب، بل تلحقه حقوقاً وواجبات للرجل والمرأة من دفع الصداق وحق حضانة الأطفال للمرأة وحق إلحاقهم بالرجل وغيرها من الأمور التي تترتب على الطلاق وكله يجري في المعروف لهما.

٦- ولهنّ تكويناً مثل الذي عليهنّ تكويناً فكل واحد منهما يتلذذ بوجود الآخر مضاجعة معه وحاجة إليه.



سادساً: ﴿وَالرِّجَالُ عَلَىٰ نِسَائِهِمْ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

١- أن الأسرة هي المجتمع الصغير التي لا بد لها من مرجع واحد ترجع إليه في الشؤون التي تخصها، والطبيعة البشرية المنسجمة مع الكون ترفض التعددية في المرجعية ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢)، فلو ترك الله الأسرة بدون تعيين للرأس والمرجع معناه أن الأسرة ستعيش فوضى القرار والرؤية، هنا حسم الله الموقف في أن تكون القيمومة بيد الرجل، وهذه هي الدرجة التي تميّز بها الرجل عن المرأة، ويطرح الله بعض التعليل لهذه القيمومة ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء: ٣٤).

٢- لا تصوّروا في مسألة القيمومة ولا في مسألة الحقوق والواجبات أن هناك علاقة الحاكم بالمحكومين ولا استعمال سلطة يريد الله أن يمنحها للزوج دون الزوجة، بل هو حوار وتفاهم ورحمة ومودة واحترام ومحبة وكل ما يصب في دائرة المعروف الذي كرّره الله إثنى عشرة مرّة في هذه الآيات من هذه السورة، وأنّ قيمومة الرجل استجابة لواقعية الزوجة وأفراد الأسرة لما يحتاجونه من الحماية لضعفهم من المخاطر الخارجيّة والمواجهة مع الرجال حين الحاجة، وغيرها من الأمور التي يشهد لها الوجدان قبل تعيين الشرع لحاجة القيمومة وأنها بيد الرجل، وإذا كانت القيمومة حقاً قد منح للرجل معناه هناك واجبات سابقة قد أُلقيت عليه، فعندما نقول بأن من حق الرعيّة طاعة الولي معناه هناك واجبات قد أُلقيت على الولي، فعندما فرض الله على الزوجة واجبات منح لها الحقوق، وعندما فرض الله على الزوج واجبات منح له الحقوق.

٣- أن هذه القيمومة هي التي أوجبت على الزوج النفقة على زوجته وأولاده.

س: لماذا جعل الله حق الرد بيد الزوج وليس بيد الزوجة أو بيدهما؟

ج:

أولاً: أن حق الرد من ملازمات القيمومة والإدارة، وهي باقية مادام حكم الزوجية باقياً في العدة الرجعية، وأمّا ما بعد العدة فهو حق للطرفين إذا رغبا في الرجوع.

ثانياً: أن حق الرجوع لم يخضع لفوضى الزوج ولنزواته ومشتهياته، فهو صحيح له حق الرجوع وأن رجوعه يكون صحيحاً كيفما كان وإن كان آتماً إذا كان عن نيّة الإضرار، لكن هذا النوع من الرجوع لا يلغي حق المرأة في الدفاع عن نفسها

والقيام بإلغاء هذا الرجوع عند الحاكم الشرعي إذا كانت تشعر بأن رجوع الزوج كان لغاية الإضرار بها.

الثالث: أن حق الرجوع لو أُعطي للطرفين هذا يعني رجوع حالة المشاكل على ما كانت عليه حيث إذا سكت الرجل تثير المرأة إرادة الرجوع وإذا سكتت المرأة يثير الرجل إرادة الرجوع، بل ممّا يكون هذا النوع من الرجوع سبباً للمشاكل عندما يوضع هذا النوع من الحق في حساباتها مسبقاً فيتهاونان في ضبط النفس وعدم تنازل أحدهما إلى الآخر، هذا مع أن للمرأة حق المرافعة عن طريق الحاكم الشرعي ليلتقي مع الزوج ليحاول أن يجعله يتنازل عن قراره وينبّهه على الخطأ إن وجد أو يستعطفه أو أي أسلوب يتخذه الحاكم ليرجع الزوج إلى زوجته إذا كان فيه إصلاحاً، فالنتيجة لم يكن حق الرجوع مطلقاً.



س: لماذا شرّع الطلاق في الإسلام؟

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

ج:

أولاً: الاختلاف بين الزوجين باعتبارهما إنسانين حالة طبيعية لما يحمل كلّ منهما من فكر أو رؤية أو أخلاقية أو تربية تختلف عن الآخر، والاختلاف على درجات فقد يسير ضمن الحالة الطبيعية وقد يولّد مشاكل مستمرة وطفيفة وقد استنفدت النصيحة كلّ ما عندها، فبقاؤهما على هذه الحالة قتل للإبداع وضغط على النفس يولّد الكثير من عدم الراحة، وأن الحياة الزوجية لم تكن ليوم أو يومين حتى يصبر عليها الإنسان، بل هي طول العمر، فلينفصل أحدهما عن الآخر ليختار كلّ منهما الفرد الذي ينسجم معه.

ثانياً: التدليس الذي يحصل قبل الزواج من قبل الرجل أو المرأة بإخفاء

الأمراض المزمنة البدنية والروحية والذي بعضه لا يكتشف إلا من بعد الزواج، وبعض التدليس يمكن الصبر عليه بعد اكتشافه، وبعضه لا يمكن الصبر عليه بل قد يسري إلى النسل، فإجبار أحدهما بالبقاء على النتائج السلبية الصعبة لهذا التدليس ظلم.

ثالثاً: أن الاستمرار بالمشاكل بدون طلاق سيؤد الانقسام الشخصي لدى الأطفال ويجعلهم يعيشون حالة الضعف الشخصي وعدم الثقة بالنفس والتأخر في جميع مجالات الحياة، وما ينتجه الطلاق من التأثير السلبي على الأطفال أقل بكثير مما يعيشون مشاكل الآباء بصورة مستمرة.

رابعاً: أن بعض وقائع الحياة التي تقع بها الزوجة أو الزوج الذي يميت الطرف المبتلى من جميع الجهات وإن كان يتنفس النفس الحيواني، كالغياب المجهول لأحدهما الذي إطالته تؤدي إلى نتائج وخيمة أو سقوط الزوجة بالزنا أو سقوط الزوج بالاعتیاد المبرم على المخدرات الذي يفضي إلى ترك الاهتمام بالزوجة وأفراد الأسرة كلياً أو الانحراف الفكري الذي يؤدي بصاحبه إلى الارتداد أو قد بان بعد الزواج أن زواجهما من الأصل محرماً بأن تبين أن التي تزوج بها هي أخته من الرضاة مثلاً، وغيرها من الأمور التي يكون السكوت عليها ظلماً وعملاً غير منطقي وغير عقلائي.

خامساً: أن بعض حالات الطلاق يكون فيه الطلاق عاملاً تربوياً لأحدهما يراجع أحدهما أو كلاهما فيه أنفسهما لدراسة الخطأ الذي أصر عليه، ولهذا جعل الله عدة للطلاق ولم يجعل الطلاق كله بائناً.

سادساً: أن الطلاق مبغوض عند الله ولم يشرع ابتداءً، بل يسبقه أمور شرعية

كثيرة تكون وظيفتها تحديد المشاكل وحصرها في الزاوية الضيقة منها الإيمان بالله الذي يربط الطرفين مع سلوكية المودة والرحمة التي فرضها الله لأن تكون بين الزوجين مع وظيفة الحاكم الشرعي الذي يدخل في هذا المجال مع وجود المؤسسات أو الشخصيات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي أجاز لها الإسلام في التدخل لحل المشاكل بين الزوجين، ويأتي الطلاق في نهاية المطاف، فإنه وإن كان مبعوضاً لكل من سمع به إلا أنه يمثل الحقيقة القائلة بأن آخر الدواء الكي، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق»^(١).



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣٠﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ (البقرة: ٢٢٩-٢٣٠)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

- ١- مَرَّتَانٍ: المرّة هي المرور والاجتياز والمضي، ويراد منه هنا التكرار.
- ٢- التَسْرِيحُ: الإرسال، ويراد منه هنا الطلاق.
- ٣- يُقِيمُ: أ- التعديل، ب- المواظبة والأداء.

س: ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾؟

ج:

أولاً: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾

- ١- أخبار في محلّ إنشاء وتشريع لتحديد عدد الطلاق الذي يصدر من الزوج والذي

يحق له الرجوع إلى زوجته بعد انقضاء عدّة الطلاق أو في أثنائها.

٢- أن هذا الطلاق المعبر عنه بطلاق السنة الذي يطلق به زوجته بصيغة الطلاق والتي تنقطع من خلاله العصمة والعلقة الزوجية ثم يرجع لها بصيغة عقد جديد للنكاح، فليس للزوج حق في الرجوع بأكثر من مرتين، أو أن يرجع بعد الطلاق قرب نهاية العدّة ثم يكرّر العملية مرتين، ويجب على الزوج - في الحالتين في الرجوع إلى الزواج أو التسريح من زوجته بالطلاق - أن يراعي مسألة المعروف ولما فيه صالح والإصلاح للزوجة ولما فيه مراعاة لتطبيق الأحكام الشرعية المتعلقة بها وإلا يترك الزوجة لسبيلها بالطلاق من دون رجعة.

ثانياً: ﴿فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ﴾

هذا هو الفرض الأول من طرفي التخيير المتروك تعيينه للزوج، وهو إما أن يمسكها ويرجع إليها مع قرار المحبة والاحترام وانتهاء المشاكل ومراعاة حدود الله في الزوجية، وهذا هو المحبوب لله لذلك قدّمه على مقابله، وعلى الزوج أن يبذل جهده ويراقب ما يفرضه عليه إيمانه ليقرب نفسه إلى الإمساك بالمعروف.

ثالثاً: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾

١- أن التسريح هو الطلاق الأول أو الثاني أو كلاهما، وأن يكون بإحسان للزوجة عندما يترك لها المجال لأن تتفرغ لحياتها واستقرار فكرها بعيداً عن المشاكل ولتختار زوجاً آخر.

٢- أن يراد منه الطلاق الثالث الذي تبين منه المرأة، ورد عن الرسول ﷺ عندما

سئل بأن الطلاق مرتان فأين الطلاق الثالث؟ أنه قال: «أو تسريح بإحسان»^(١).
 ٣- قيد التسريح بالإحسان حتى يحافظ كل من الزوجين على كرامة الآخر والآ
 ينجز أحدهما إلى غيبة الآخر ولا إلى سخطه ولا إلى كرهه ومعاداته
 وخصوصاً بين أقارب الرجل أو المرأة، وكل ما ينتج سلباً بين الطرفين أو
 الأطراف هو نتيجة عدم الالتزام بحدود الله والتخلف وعدم الوعي في
 أحكام الله.

٤- (أو) هو اختيار شرعي في الطرفين الإمساك أو التسريح، ولكنه إزام شرعي
 بأحدهما.

رابعاً: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً﴾

إذا حصل الطلاق فلا يجوز للزوج أن يأخذ المهر بإنكاره له أو لبعضه بل يقدمه
 تاماً، ولا يجوز له أن يأخذ ممّا ملكه إياها لأنه غضب، كما لا يجوز للزوجة أن
 تأخذ ممّا ملكته إياه أو ممّا لا يملكه فإنه غضب، وأنّ الاثنتين مخاطبان بالالتزام
 بحدود الله، وخصوصية الخطاب للزوج لغالبية تمليك الرجل لامرأته وأنه هو
 المسؤول عن دفع المهر الواجب عليه دون الزوجة، بل من باب الأخلاق أن يكون
 التسريح من قبله بأن يعطيها أكثر من الواجب وهو معنى الإحسان والجمال،
 ﴿فَتَعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ (الأحزاب: ٤٩).

خامساً: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ
 عَلَيْهَا فِيمَا اتَّفَقَتْ بِهِ﴾

هذه العبارة مختصة بطلاق الخلع، حيث مادام الطلاق بجميع أنواعه بيد الزوج

وأنه هو الطالب للطلاق فلا يجوز للزوج أن يأخذ من زوجته شيئاً إلا في حالة واحدة وهي حالة الطلاق الخلمي التي تطالب الزوجة الطلاق من الزوج نتيجة لكرهها إليه لأي سبب من الأسباب، هنا لا بد من دفع فدية من الزوجة مقابل قبول الزوج للطلاق الذي هو حق له إذا طالبا الزوج بالفدية التي هي غير التنازل عن المهر إذا كان لم يدفع لها سابقاً، وهذا النوع من الطلاق شرعه الله وقد بين الله إحدى علته المهمة وهي خوف الزوجة أن تقع في الحرام والتعدي على حدود الله سواء المتعلق بزوجها بسبب كرهها له أو السقوط بالزيلة، كما أن الزوج عندما يرى أن زوجته تكرهه فهو يخاف أن يصدر منه فعلاً ضدها فيقع في ما حرّمه الله والتعدي على حدوده، أو يرى زوجته إن لم يطلقها تقع حتماً فيما حرّمه الله بأن تتركه كلياً أو تكذب فتتزوج بغيره فيكون مشتركاً بالمعصية، فهنا شرع الله هذا اللون من الطلاق وأذن بحق مطالبة الزوج بالفدية منها من دون حصول إثم لا عليها ولا على أخذ الزوج للفدية ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهَا فِيهَا أَتَتْ بِهٖ﴾

سادساً: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، فتلك أحكام الله إن كانت التي تجري في الطلاق أو بصورة عامة يجب الالتزام بها ولا يجوز تجاوزها، فإن في تجاوزها ظلماً لأنفسكم حيث توقعكم بالمشاكل الأكثر، وظلماً للآخرين لأن الالتزام بأحكام الله ضمان للحقوق والعدل في أخذها وعطائها ومن خلالها يعرف كل ما يجب عليه وما له من الحقوق ليمتيز الإحسان عن الواجب. هذا بالإضافة إلى أن التعدي على حدود الله يعني المعصية فيعدّ يوم القيامة من الظالمين ويكون مصير الظالم النار.

سابعاً: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا

جُنَّاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ﴿٤﴾.

١- أن هذا الخطاب تشريع للرجوع بعد حصول الطلقة الثالثة.

٢- إذا حصلت الطلقة الثالثة فإنها تبين عنه بمجرد الانتهاء من صيغة الطلاق فلا رجعة، وتحرم عليه من ساعتها.

٣- الطلقة الثالثة تأتي بعد طلقتين بينهما عقدين من النكاح، أو بالطلاق العدي.

٤- إذا حصلت الطلقة الثالثة وأراد الزوج أن يرجع إليها وهي لم يكن لها مانع في رجوعه إليها، فهنا ليس لهما إلا طريق واحد وهو لا بد أن يبحثا أو هي عن زوج آخر - لأن ذلك له علاقة بها- يحلل رجوعهما، ولهذا أطلق على الزوج الثاني الذي يقوم بهذه الوظيفة بالمحلل.

٥- المحلل: هو ذلك الرجل الذي يعقد مع الزوجة عقداً دائماً دائماً ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ فالدائم هو الذي يحتاج إلى الطلاق بحيث يدخل بها ﴿حَقٌّ تَكَحُّ زَوْجاً﴾.

٦- ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾، الزوج الثاني فلا بأس ولا إثم في أن يرجع الأول إلى زوجته بعقد نكاح جديد إذا كان بناؤهما إصلاح ما فات وأن أحدهما سوف يحترم الآخر ﴿فَلَا جُنَّاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

س: قوله: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ إلى من يرجع ضمير الجمع المستعمل في هذا الخطاب؟

ج:

١- المصلحون الذين تدخلوا في عملية الإصلاح بين الزوجين.

٢- الحاكم الشرعي وأصحاب القانون.

٣- جمع الأزواج، أي فإن خفتم جمع الأزواج ألا يقيما منكم حدود الله ...

س: ما هي أهم شروط الطلاق الخلعي؟

ج:

- ١- تكون الكراهية من الزوجة فقط، وهي المطالبة بالطلاق بسبب أنها كرهت زوجها، والمقصود من الكراهية هي التي تؤدي إلى ظلمها لو بقيت معه، فلا تسمى كراهية ولا يقع بها الطلاق الخلعي إذا كانت الكراهية نتيجة لذوقها أو لعدم نظافته مثلاً أو قبح منظره في نظرها أو تصرف معها بما لا يليق بوجاهتها وغيرها من الأمور التي لا تعدّ ظلماً واقعياً لها كأموال النفقة أو العزل المفرط أو الضرب المبرح أو التنكيل بها، فإنّ بهذه الأمور وأمثالها يصح الخلع.
- ٢- ألا يكون أحدهما يحب الآخر وأنّ حياتهم الزوجية سارية على ذلك، وأنّ طلاق الخلع حصل مجرد اتفاق، فإنّه عند هذه الحالة يكون الطلاق رجعياً لا خلعيّاً، لأنّ الطلاق الرجعي متعلّق على خوف أحدهما أو كلاهما من الوقوع في التعدي على حدود الله، وهو منفي في هذه الحالة.
- ٣- ألا يكون الزوج له طمع مبيّت بمال زوجته فيسيء معها التصرف ليزرع عندها الكره فتطالب هي بالطلاق ويأخذ ما رام إليه مسبقاً، وإذا وقع الطلاق وهو في هذه الحالة فلا طلاق خلعي ويكون أكل المال أكلاً بالباطل ﴿وَلَا تَغْضُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ (النساء: ١٩)، وربما على قول البعض إنه لا يحصل طلاق أصلاً؛ لأنّه قد بني على الفساد، وما بُني على الفساد فاسد أيضاً.
- ٤- أن تدفع الزوجة الفدية التي طلبها الزوج باختيارها وبالقدر المعلوم ومما يصحّ تمليكها.
- ٥- للزوجة حق الرجوع بالفدية أثناء العدة، وإذا انتهت العدة بدون الرجوع فيكون

الطلاق بائناً أي يكون موقعه كموقع الطلقة الثالثة، وهناك شروط أخرى تجد تفصيلها في كتب الفقه.

س: لماذا جعل الله الطلاق بيد الرجل؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

أولاً: نحن نعلم أن صيغة عقد الزواج الدائم بيد المرأة وأن الإيجاب يصدر منها والذي يشترط فيه ذكر الدوام، وهذا يعني أن الدوام يأخذ من الزوج كعهد يتعهد به للزوجة بنفس العقد، فلو كان الطلاق بيدها فلا معنى لذكر الدوام، ولا يمكن أن يكون الإيجاب بيد الزوج حتى نحول الطلاق بيدها؛ لأنها هي التي تملك ثمن البضع.

ثانياً: نحن نعلم كم هو الفارق بين الرجل والمرأة من ناحية امتلاك العاطفة وسرعة القناعة الفكرية وهذا ما لا ينكره حتى العلم الحديث، الطلاق بيد الرجل والمجتمع يعاني من مشكلة الطلاق فكيف إذا كان بيد من يهيج بسرعة وينطفئ بسرعة؟! وهذا لا يعني أنه لم تكن هناك نساء أقوى من الرجال من هذه الجهة، ولكن الأحكام والقواعد الكلية لا توضع للقليل، وهذا القليل إذا لم يكن له حق في هذه الأحكام المباشرة فله الحق بنفس موضوع الحكم، ولكن إما أن يتم بالاتفاق والتفاهم وإلا فالحاكم الشرعي له النظارة في ذلك كما قلنا سابقاً.

ثالثاً: لو كان الطلاق بيد المرأة هل تستطيع أن تحافظ على أنوثتها ونعومتها أمام زوجها؟! فلو فقدت المرأة جزءاً من أنوثتها تصوّر ماذا ستكون نسبة الطلاق؟! **رابعاً:** لو كان الطلاق بيد المرأة معناه قللنا من حيائها الذي يجعلها أن تمسك بالرجل الواحد، وإذا استسهلت المرأة الرغبة بتعدد الرجال فانظر ماذا تكون حالة

الرجل أن يكون بين ليلة وضحاها أن زوجته تحت رجل آخر وهو يحمل من الغيرة على عرضه تكويناً؟! وانظر ماذا تنتج هذه الحالة من الاختلاط بالأنساب؟! وانظر إلى ضياع الأطفال عندما تكون أمهم بهذا الشكل.

س: لماذا شرع الله بعد حصول الطلقة الثالثة أنه لا بد من محلل؟

ج:

١- أنه واضح في هذه الحالة - وأقصد بها أن تحصل طلقة ثالثة لزوج واحد مع زوجة واحدة - لم تكن حالة شائعة ولم تعبر عن حالة سليمة سواء كان سببها الزوجة أو الزوج، وعلى الرغم من وقوعها النادر أو عدم سلامتها فإن الله وضع حلاً لقرار قد يكون صادقاً بعد أن كان كاذباً من حيث النتيجة بتجربة الطلقات التي مرّت سابقاً، وعلى هذا يكون الصديق في القرار على أن يقيما حدود الله باحترام أحدهما للآخر ومحبتهم يكشفه وجود المحلل، ولهذا كان المطلوب منهما بعد وجود المحلل الظن لا اليقين بصديق إقامة حدود الله ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ إن كان للظن وجود في قرارهما وقلوبهما.

٢- أن وجود المحلل منافٍ لحياء المرأة ولغيرة الرجل التي أودعها الله في المرأة والرجل، وتشريع من قبل الله ليكون مانعاً من الوقوع فيما يقلل الحياء والغيرة فلا استهانة في حدود الله ولا وقوع في طلقة أولى وثانية إذا كان هناك حب أو احترام موجوداً لكل منهما للآخر.

٣- أن هذا التشريع وجد من أجل الحسم لإيجاد الاستقرار؛ إما بالوجود المستقر الذي يجمعهما، وإما بالانفصال الدائم الذي يستقر به الرجل أو الفرد ليشق حياته ويستقر تفكيره في العمل والإبداع في الحياة الذي تعطّله طول المشاكل

الزوجية بالخصوص، وليرتبط بطرف آخر ينسجم مع أخلاقته.

فترك الإنسان بين الطلاق والزواج حول الفرد الواحد يكشف اليقين بأنه لم يحترم أحدهما حدود الله في الحياة الزوجية سواء كان لمرض أو لحالة تربوية، وأن ترك الإنسان بين الطلاق والزواج من دون عدد يحدّد يعني ترك الإنسان في أن يسقط بالنظر الاجتماعي؛ لأنّ هذه الحالة مخالفة للذوق الإنساني، وأنّ ترك الإنسان بين الطلاق والزواج يعني توسعة لرقعة المشاكل الاجتماعية؛ لأنّ المرتبطين بالزوج أو الزوجة لا يقفون موقف المتفرّج وهم يرون هذا المستوى من المشاكل، وأنّ ترك الإنسان بين الطلاق والزواج لم تعتبر حالة تطورية تسعى إليها الأسرة حتّى يقرّها الله ويحافظ عليها، بل هي رجوع واضح إلى تلك الحالة الجاهلية التي كان بعض العرب متعودين عليها لاستصغارهم بالمرأة ولجهلهم للحياة الزوجية، والله يريد من الإنسان أن يتطور ويتقدّم نحو الكمال لا التخلف، وأنّ الله جعل كلّ آياته من أجل حصول العلم الذي هو طريق الكمال ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ بتعاليم الله بأنّ فيها الكمال وفيها الوصول إلى حقائق الأشياء وفيها سعادة الدنيا والآخرة.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٣١-٢٣٢)



س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

- ١- بلغ: أ- الوصول. ب- الإشراف عليه والتقرب منه.
- ٢- الأجل: المدة المقطوعة، ويراد منها هنا عدة الطلاق.
- ٣- الوعظ: أ- النصح والتذكير بالعواقب. ب- التخويف من سوء العاقبة.
- ٤- تعضلوهن: تمنعهنَّ ضرراً.

س: ما هو المحتمل من التفسير في قوله ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً

وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٤٠﴾

ج:

١- أن تدوين هذه الآية لغرض تربوي لعلمه سبحانه بمشاكل الإنسان وأسباب حدوثها وخصوصاً تلك المشاكل التي تنتجها الحياة الزوجية وأن أكثر أسبابها يرجع إلى عدم مراعاة الدين والتدين عند الناس، ويأتي هذا الخطاب بما فيه من التحذير والتذكير ليبعد الزوجة من حالة من حالات ظلم الزوج وليبعد الزوج من الوقوع بالظلم الذي مصيره الوقوع في النار، تلك الحالة التي مهما كان سببها فلا بد للزوج ألا يفعلها، تلك الحالة التي تشرف بها الزوجة على نهاية العدة.

٢- إذا حصل الطلاق وأشرفت العدة على النهاية فليكن موقف الزوج هو إما أن يرجع لزوجته مع قرار إقامة حدود الله بينهما وكل ما هو معروف لدى الشرع والعقل وعلى ما هو المتعارف بين الناس في تدبير الأمور للحياة الزوجية، وإما أن يسرحها ويطلقها بالمعروف، كذلك بتطبيق شرائط الطلاق وما أوجب فيه الله من الحقوق والواجبات، والخطاب للزوج باعتبار أن الطلاق بيده وهو صاحب القرار، وأما سبب الطلاق قد يكون منه أو منها أو منهما.

نعم، قد يكون السبب منحصرًا بالزوج ومنه عندما يمسك بالزوجة عند إشراف العدة على النهاية لغرض الإضرار طمعاً بمال أو منعاً للزواج لها أو انتقاماً، وهذا النوع من العمل حرام ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِيَتَّقُوا﴾، لكونه فيه معصية لله وظلماً لزوجته باعتبارها خلقت من نفسه فهي نفسها، وظلماً لنفسه

باعتبار أن هذا النوع من العمل لا يحل له مشكلة، بل على العكس من ذلك ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾، ولكونه يكشف أن الذي يقوم بهذا النوع من العمل أنه لم يراعِ حدود الله ولم يلتفت إلى أحكام الله ولم يكن من الملتزمين بتشريع الله، وهذا يعني أنه يتعامل مع تشريع الله معاملة الهازئ به ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾.

٣- أيها الزوج، لا تخضع لهذه الأطماع الضيقة المؤقتة الزائلة، بل انظر إلى نعمه سبحانه التي أنعمها عليك وعلى غيرك ممن يمكن الانتفاع منهم والتي منها الزوجة الصالحة ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ﴾، فإن طريق الحياة مفتوح ولك فيه فرص عديدة، فإذا فشلت في مرحلة من مراحل حياتك لا يجرّك هذا الفشل إلى الإضرار بالآخرين ولا يجرّك إلى التعدي على حدود الله واتخاذ آيات الله هزواً والتي منها أن تستغل حكم الله وتشريعه في أن جعل للمطلقة عدة لتتخذها طريقاً للإضرار، بل على العكس من ذلك حيث بالظروف الصعبة التي تمرّ على الإنسان وفي الحالة التي يتعرض بها الإنسان إلى الشيطان ليجعله يظلم أو يستطعم بشيء لا بد أن يلتجئ إلى الله وأن يستعين بتشريعه وكتابه الذي يزوده بالمواعظ التي تفتح له الأمل بالحياة وتذكّره بعالم الآخرة وتعرفه نتيجة الظلم وأنه تشريع من صالحه وإصلاحه، والذي من خلال التدبّر فيه والتعمق في حكمته يجعله يتقي الله بأن يرجع إلى زوجته بالمعروف أو يسرحها بالمعروف، ويحثّه إلى كل ما هو معروف بدلاً من الإضرار والظلم ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ بِعَضُوكُمْ بِهِ وَأْتَقُوا اللَّهَ﴾، وتزوّدوا بكلام المعصوم ذلك المورد الثاني للحكمة الذي فيه توضيح ما أجمله الكتاب لتروا

ما فيه من المواعظ الكثيرة.

وقد يشعر الزوج بالمظلومية في بعض المواقف وبالغبن في المواقف الأخرى ولكن ليكن موقفك في كل ذلك وغيره هو العدل والمعروف وعدم الانزلاق إلى ما فيه الانحراف والمعصية وأن تترك ذلك إلى الله عندما يعجز طريق العدل للوصول إليه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

س: لماذا شرع الله العدة في الطلاق؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

أولاً: لليقين من طهارة حدوث الوليد في الرحم ﴿لَعَلَّ اللَّهُ يُخْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾ (الطلاق: ١)، فإذا تركت المطلقة من دون عدة معناه سوف تختلط الأنساب.
ثانياً: أن العدة فترة استراحة للزوج وللزوجة في أن ينفصل أحدهما عن الآخر ليعيد كل حساباته فيما هو الصحيح والخطأ الذي وقع فيه ليرجع كل واحد للآخر بعد القرار بتصحيح الخطأ الذي هو وقع فيه.

ثالثاً: أن الإنسان في أغلب الأحيان لا يشعر بالنعمة التي هو فيها إلا عند فقدانها، فيأخذ بطر النعمة أو سكرها أو كفرها فعند الوصول إلى مرحلة الطلاق فمن باب لطف الله بالإنسان أن لم يخلق باب الأمل بالرجوع عن الطلاق الذي صنعه الإنسان لنفسه، فجعل العدة ليحس كل من الزوج أو الزوجة بنعيم الحياة الزوجية ونعمتها حيث البيت والخدمة والأطفال وغيرها من نعم الحياة الزوجية التي ليس للمشكلة قيمة أمام هذه النعم والتي الآن وفي زمان العدة أصبحت في عالم المعرفة بها والشوق للرجوع إليها بالشكر إلى الله عليها.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ... وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾؟

ج:

أولاً: أن هذا الخطاب يعالج حالة ما بعد الطلاق وانتهاء العدة التي عندها يباح للمرأة أن ترجع لزوجها الأول بعقد نكاح جديد أو أن تتزوج بزواج آخر.

ثانياً: المخاطب بهذه الآية هم أولياء المرأة أو كل من له علاقة بها.

ثالثاً: حرمة المنع على كل من يمنع المرأة المطلقة من رجوعها إلى زوجها الأول أو أن تختار زوجاً آخر إذا كان المنع لم يبتني على أي مبرر موضوعي شرعي أو عقلي، وخصوصاً مع مشاهدة الرجوع إلى الزوج الأول أو الزواج من الثاني مبني على أساس المعروف الذي اتفق عليه الطرفان ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾.

رابعاً: أن حرمة المنع مع التراضي بينهما يكشف أنه ليس لأحد التدخل في حياة المرأة هذه إلا إرشاداً.

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

خامساً: أن هذا النوع من الحكم، وهو حرمة المنع، شرع من أجل أن يوقف الفكر ويحدد صلاحية تدخل الأولياء في شؤون المرأة، فإذا كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر فإن الله لا يريد للمرأة إلا أن يكون لها وجود مستقل كما هو للرجل وأن تتزوج المرأة ولا تكون ضحية لمشاعر الآخرين وما لديهم من العادات والتقاليد ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

سادساً: ويكشف الله بعض علة تحريم المنع ﴿ذَلِكَمُ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾، فإن زواج المرأة فيه نمو وزكاة لما تتجنب من الأطفال، ولما فيه من تركية نفس المرأة من الوقوع بالحرام، ولما فيه من الزكاة والطهر لكم أيها الأولياء عندما تطبقون

أحكام الله وتخففون عن مسؤوليتكم بتزويج بناتكم اللواتي قد يجب عليكم في حالة حاجتهن للزواج وأنه عن تراض، وقد يكون حراماً كبيراً عليكم عندما تكونوا سبباً في وقوع نسائكم بالحرام من خلال منعكم لهن من الزواج.

سابعاً: لا تبرروا منعكم بأي تبرير غير شرعي وغير منطقي وعقلاني، ولا تجعلوا تبريراتكم هذه حاكمة على أحكام الله وكأنكم تنصّبون أنفسكم بدلاً من الله بتعطيل أحكامه وكأنكم تعلمون ما لا يعلمه الله، إن الذي يؤمن بالله واليوم الآخر يجب عليه الاستسلام لحكم الله وتشريعه في كل صغيرة وكبيرة، ومادام زواج المرأة محبوباً عند الله فاسعوا إلى زواج بناتكم ولا تكونوا مانعين له مادام يجري في المعروف ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، والله يعلم أن منعكم هذا جرأ صغار الأولاد في بعض المجتمعات من أن يمنعوا أخواتهم أو بنات أعمامهم من الزواج وعطل الكثيرات من أن يعشن حياتهن الزوجية وسبب الكثير من المفسد الاجتماعية.

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

س: ﴿فَلَا تَغْضُوهُنَّ﴾ حيث قلت: إنه نهي وحرمة مولوية، فلماذا لم تقل بأنه نهي إرشادي للمنع وخصوصاً إذا لا حظنا الأمور من (يوعظ به) و (أزكى لكم) و (أطهر) فإنها جميعاً تشير إلى الآثار التي ترجع إلى الأولياء أو إلى غيرهم بالنفع؟

ج:

أولاً: بما أن النهي صادر من المولى الواجب فهو مولوي، وبما أنه نهي فهو ظاهر في الحرمة.

ثانياً: أن بيان بعض علل الحكم لا يدل على أن يكون الحكم إرشادياً. نعم، إذا

كان في بيان الأثر التكويني يكون الحكم إرشادياً، وأمّا الأمور التي ذكرتها الآية فليست كذلك، حيث كل الأحكام المولوية هي موعظة وزكاة وطهارة لكم، فمثل هذه العلة الهامة المشتركة لا تشكل قرينة لتصرف الحكم من المولوي إلى الإرشادي.

قال: أن خطاب ﴿ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، يستبطن الوعد والوعيد والتحذير الذي فيه ملاءمة للحكم المولوي لا الإرشادي، وبالتالي فلا منصرف لهذا الحكم المولي إلى الإرشادي.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ
الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ
نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ
مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا
وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٣٣)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:



- ١- الوالدة: التي تلد الولد.
- ٢- الرضاع: شرب اللبن من الثدي.
- ٣- الحول: التحول والتغيير والانفصال.
- ٤- الوسع: القدرة والطاقة.
- ٥- التضار: من الضر.
- ٦- فصالاً: الفصل والقطع عن الشيء.
- ٧- التشاور: استخراج الرأي بمراجعة البعض البعض الآخر.

س: ماذا تعرف عن قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ ... أَنْ اللَّهَ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؟ اشرح ذلك.

ج:

أولاً: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ﴾

١- الأم مصطلح يستعمل للمرأة التي تلد الولد وللمرأة التي أرضعت ولداً لم تلده، بينما الوالدة مصطلح يطلق على مَنْ تلد الولد فقط، فهو أخص من الأم. وبما أن خطاب الآية يريد التحدث عن حقوق الوليد ووالدته ووالده فاستعمل مصطلح الوالدات، كما أن الأولاد أعم من البنين فهو يشمل ذكر وأنثى الوليد.

٢- من أجل أن يكتمل النمو البدني والروحي للوليد ومن أجل أن يحصل الأبوان على النوع الأفضل للنسل فإن الفترة الزمنية الكافية له هو أن يتم حولين كاملين وهو يرضع من تدي أمه من دون تساهل في الزيادة أو النقصان، أي مدة أربعة وعشرين شهراً قمرياً منذ ولادته.

٣- لم يكن الحولين الكاملين حكماً إلزامياً على الوالدة أو الوالد، بل هو متروك لاختيارهما، فإذا رأوا أن هناك مصلحة في تقليل المدة فلهم ذلك، وإن الاختيار ناظر إلى القلة في المدة لا إلى الزيادة؛ لأن غاية الرضاعة أن تصل إلى الإتمام وهي الحولان، ومن هنا قد تكون الزيادة على الحولين هي زيادة ضرورية في جميع الأحوال.

٤- قدّم الوالدات بالذكر لاختصاص حق الرضاعة بهنّ ولعلاقتهنّ بالوليد واهتمامهنّ به أكثر من الرجال. نعم، الرجل يؤخذ برأيه باعتباره ركن الأسرة، فهو لا يجوز أن يستبدّ برأيه من دون موافقة المرأة وخصوصاً حول الرضاعة والحضانة.

٥- ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ لا يدلّ هذا الخطاب على الوجوب الشرعي على الوالدة في رضاعة ولدها إلا إذا كان في حالة الإنشاء لا الإخبار، ومع عدم وجود قرينة صارفة للوجوب، والقرينة الصارفة عن الوجوب موجودة ﴿لِيَنْ أَرَادَ﴾ و ﴿وَقَانَ أَرَادَ فِصَالًا﴾ و ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا﴾، فلا دليل على وجوب

الرضاعة على الوالدة، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا تجبر الحرّة على إرضاع الولد وتجبر أم الولد»^(١).

ثانياً: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

١- لما كان حقّ الرضاعة قد اختصّه الله بالوالدة وفيه ما فيه من بذل الجهد من قبل الوالدة، جعل الله على الوالد واجبات وهي وجوب النفقة على الوالدات من الرزق المطلق من المسكن والمأكل والمشرب والكسوة وكلّ ما تحتاج إليه المرأة عرفاً وفي المعروف في البذل على نفسها وعلى المولود لهما، ولم يحدّد الله كميّة النفقة، بل هي متروكة لحال الوالد ﴿وَعَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾، فيمكن أن نستدلّ من خلال هذا الخطاب على وجوب نفقة الزوجة والأولاد على الزوج.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الرسول عليه السلام أنه قال: «إنّ امرأة جاءت إلى النبي عليه السلام فسألته عن حقّ الزوج على المرأة فخبّرها، ثمّ قالت: فما حقّها عليه؟ قال: يكسوها من العري، ويطعمها من الجوع، وإذا أذنبت غفر لها، قالت: فليس لها عليه شيء غير هذا؟ قال: لا»^(٢).

٢- أن تكون هذه الآية مختصّة، لو طلق الزوج زوجته الحامل فيجب على الزوج القيام بنفقتها ونفقة مولودها حتى تنتهي فترة حضانه الطفل.

ثالثاً: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾

١- لا يكلف الإنسان نفسه إلا بقدر ما يستطيع وتوسع قدرته المالية عليه من النفقة

(١) الكافي ٦: ٤٠٤/٤.

(٢) الكافي ٥: ١١١/٢.

وبحسب حاله فلا يجبرها على أكثر مما تتحمل، ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ
وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ
اللَّهُ بَعْدَ عَشْرٍ يُشْرًا﴾.

٢- لا يكلف الله تكليفاً إلا بقدر ما يوسع الإنسان، فالله سبحانه وتعالى من باب
رحمته لم تجد تكليفاً من تكاليفه ما يعجز به الإنسان أو هو خارج عن طاقته
وقدرته التكوينية لا في أصل التكليف ولا في طريقة نزول التكليف إلى
الأرض، فهو سبحانه لم يكلف البشرية بالطيران إلى السماء مثلاً، ولم يكلف
البشرية الأولى بالقرآن مثلاً، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (الطلاق:٧).

٣- لا يكلف الله تكليفاً إلا بقدر قدرته عليه وإن كان مقدوراً لغيره، ومن هنا قالوا:
القدرة شرط التكليف، فقد يكون موقف واحد وحالة واحدة لشخصين فيكون
الخطاب موجهاً لأحدهما دون الآخر، كشخصان واجها غريقاً يطلب منهما
النجاة وأحد الشخصين يعرف السباحة وبإمكانه أن ينقذه والآخر لا يعرف
ذلك، فيكون خطاب الوجوب موجهاً للأول دون الثاني لقدرته على أداء
التكليف.

٤- أن في هذا الخطاب دلالة على قدرة الله وعلمه الدقيق بما لا يصل إليه أحد
باعتباره سبحانه الخالق لكل شيء، فهو وحده الذي يعلم بقدرته الإنسان وما
تسع قدرته وتحمله بحيث كان التكليف على قدرها.

٥- أن في هذا الخطاب دلالة على عدم صدور القبيح من الله وحاشا الله منه؛ لأن
التكليف بما لا يطاق قبيح عقلاً، بينما نجد أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.
رابعاً: ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَهُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودُهُ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾

١- أن الوالد والوالدة لهما حق مشترك في وجود الولد، وأن وجوده كان نتيجة للمباشرة والاختلاط بينهما ومائهما، فلا فرق في وجوده بينهما، فكما يرجع الولد للوالد يرجع للوالدة على حد سواء (الوالدات) (أولادهن) (والدة) (بولدها) (المولود له) ففي كل هذه التعبيرات لا تجد فرقا بينها في رجوع الولد إليهما وأنه بعض منهما. نعم، الفرق بينهما في الحقوق والواجبات المتعلقة به من قبلهما، ومنها لحوق الولد بوالده حكماً.

٢- لا ينبغي للمرأة وللرجل أن يمنع أحدهما الآخر من الجماع بسبب مولودهما، فإن الوليد الجديد لا يكون مانعاً للجماع إذا رغب أحدهما فيه، فإنه فيه مضرة، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَهُ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ﴾ أنه قال: «لا ينبغي للرجل أن يمتنع من جماع المرأة فيضار بها إذا كان لها ولد مريض ويقول لها: لا أقربك فإني أخاف عليك الحبل فتقتلين ولدي، وكذا المرأة لا يحل لها أن تمتنع عن الرجل فتقول: إني أخاف أن أحبل فأقتل ولدي، فهذه المضارة في الجماع على الرجل والمرأة»^(١).

٣- قد تكره الزوجة زوجها أو بالعكس لسبب الطلاق أو لغيره وللجهل أو لزواج المرأة من آخر أو لزواج الرجل من أخرى أن تتعدى الكراهية من أحدهما إلى المولود الذي لا ذنب له في مشاكل أو مشاعر الأبوين، فهذا الخطاب ينهى عن هذا النوع من التعدي الذي يؤدي إلى كراهية المولود أو إلى معاملته معاملة سيئة أو إلى تضيق الإنفاق عليه أو إلى قطع الرضاعة عنه.

٤- فكما تقوم المرأة المطلقة برضاعة المولود وتقوم برعايته وحضانه وتربيته فلا

يضار الوالد الوالدة والمولود بأن يقطع ما عليه من النفقة عنهما أو يقلل منها، وكما يقوم الرجل المطلق بالنفقة على زوجته المطلقة وعلى المولود ولم يقصر في ذلك فلا تضار المرأة مولودها بأن تقطع عنه الرضاعة أو غير ذلك مما يضر بالمولود.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «المطلقة ينفق عليها حتى تضع حملها وهي أحق بولدها أن ترضعه مما تقبله امرأة أخرى، إن الله يقول: ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾، لا يضار بالصبي ولا يضار بأمه في رضاعه، وليس لها أن تأخذ في رضاعه فوق حولين كاملين، فإن أراد الفصال قبل ذلك عن تراض بينهما كان حسناً، والفصال هو الفطام»^(١).

٥- لا يستغل الأبوان حب أحدهما لمولوده فيضار به بأن يمنعه عن رؤيته أو تطلب الزائد من النفقة أو يؤذي الطفل ليزيد الطرف المحب ضرراً، فحب المولود رحمة وسبب للترابط والمحبة بين الزوجين فلا تغيروا مورد حب الوليد في عكس اتجاهه.

٦- أن كل تضار بين الوالدين يلحق ضرره وتأثيره على المولود سواء قبل الولادة أو بعدها، فإن المولود يشعر كما يشعر الكبار، فعلى الوالدين ألا يضار أحدهما الآخر، بل عليهم بالموودة والرحمة وتقوى الله حتى تتأثر نفس المولود بما فيه الإيجاب، وهذا ما اكتشفه العلم الحديث كذلك.

٧- عندما جعل الله وجوب نفقة جديدة على الزوج لزوجته المطلقة الحامل منه، يجب على الوالدة وهي حامل ألا تضار بالمولود له لأجل حملها فتطلب من

النفقة أكثر ممّا تستحق وزيادة على حاجتها، ويجب على المولود له ألا يضار بزوجه الحامل المطلقة بأن يقطع عنها النفقة أو يقتلها فيحصل لها الضعف نتيجة لحاجتها وبالتالي يرجع ضرره على الحمل أو يرجع ضرره على المولود إذا كان قد ولد؛ لأنّ الزوجة في هذه الحالة تكون مرضعة فهي تحتاج إلى تعويض ما تفقده من القوة نتيجة رضاعتها، وفي جميع الأحوال لا يجوز الضرر والزواج قادر على دفع النفقة لها.

خامساً: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾

١- إذا مات أحد أبوي الطفل فعلى وارث الأم أو الأب أن يستمر في حضانة الطفل ونفقة الأم والطفل إذا كان الميّت هو الزوج، فنظر الوارث إلى ما هو صالح للمولود من اختيار المرضعة أو النفقة أو التربية دون النظر إلى ما ينافي ذلك، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ أنه قال: «النفقة على الوارث مثل ما على الوالد»^(١) باعتبار أن مال الطفل بيده.

٢- على الوارث ألا يضار أحد الأبوين إن مات أحدهما، بل عليه أن يعرف حق الأبوة أو الأمومة في الطفل حتى يراعي الحق الذي عليه في ألا يمنع أحدهما من رؤية طفله والشعور بوجوده نحوه لما فيه من مصلحة تعود للطفل وللأب أو الأم، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ أنه قال: «لا ينبغي للوارث أن يضار المرأة فيقول: لا أدع ولدها يأتها ويضار ولدها، إن كان لهم عنده شيء فلا ينبغي أن يقتّر عليه»^(٢).

(١) وسائل الشيعة ٢١: ٥٢٧/٢٧٧٦٧.

(٢) وسائل الشيعة ٢١: ٥٢٨/٢٧٧٦٨.

سادساً: ﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزِيْعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

١- فإن تم التشاور والاتفاق بين الزوجين أو بين الزوجة والوارث أو بينهما مع الطبيب الأخصائي على أن يفصلا المولود عن ثدي أمه بأقل من المدة وهي الحولان لما فيه من المعروف ومصحة للطفل فلا إثم عليهما، والوصول إلى حد اليقين أو ما يقاربه في تشخيص مصحة الطفل هو عن طريق المشورة حتى لا يخضع الانفصال إلى المزاج الشخصي أو الشعور السلبي الآني، هذه الدقة في التشريع والآداب في مسألة الرضاعة من أجل أن يمنع الله استسهال الزوجين أو غيرهما من أن يفصلا المولود عن ثدي أمه والتغذية على لبنها لما فيه من الفائدة والتأثير على المولود ما لم يصل إليه لبن آخر، وهذا ما أثبتته العلم الحديث كذلك.



٢- فإن تم التشاور والاتفاق بين الزوجين أو بين أحدهما والوارث أو بينهما والطبيب الأخصائي بأن يسلم المولود إلى مرضعة غير الوالدة لمصحة المولود فهنا لا إثم عليهما ومباح لهما ذلك بعد أن يرى المرضعة الصالحة من الطهارة والتدين، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «انظروا من ترضع أولادكم فإن الولد يشب عليه»^(١)، وبعد أن يتفق طرف المولود مع المرضعة على أجره معيّنة بقدر المعروف الذي ليس فيه إجحاف لأحد الطرفين ولا يؤثر على النفقة العامة للأسرة، ورد عن أمير المؤمنين أنه قال: «وتوقوا على أولادكم من

(١) الكافي ٦: ٤٤/١٠.

لبن البغي من النساء والمجنونة، فإن اللبن يعدي»^(١).

س: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ لقد ذكرتم في النقطة الثانية أنه تجب على الزوج نفقة زوجته المطلقة الحامل، هل هذه النفقة هي غير النفقة الواجبة على الزوج؟ وهل هي لها أم للحمل؟

ج:

أولاً: أنها نفقة جديدة لكون الزوجة المطلقة حاملاً، وأنها ليست من نفقة الزوجة، وهذه النفقة تشبه النفقة الواجبة على الزوج قبل الطلاق من حيث الحكم والرزق والكسوة بالمعروف، ولهذا تجد أن هذه النفقة لا تسقط بحدوث أحد أسباب سقوط النفقة كالنشوز مثلاً.

ثانياً: أن هذه النفقة للزوجة المطلقة لكونها حاملاً، فهي ليست لها مجردة وهي حائل لانقطاع العصمة بالطلاق وعدم التمكين من نفسها له فلا نفقة لها في هذه الحالة، وهي - أي النفقة - ليست للحمل لعدم استحقاقه ووجوبه على الزوج لأنه حمل.

ثالثاً: أن هذه النفقة الجديدة لها شروط منها: أن الزوج لا ينفق إلا بعد وضوح الحمل، وأنها تصرف يوماً بيوم من تأريخ إيقاع الطلاق.

س: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ لماذا ذكر الله الرزق والكسوة علماً أن الكسوة جزء من الرزق؟ اذكر الجواب المحتمل.

ج:

ليعرفنا الله الفرق بين الرزق والكسوة في التملك والإمتاع، حيث هناك فرق بين أن يشتري الزوج لها ذهباً مثلاً وبين أن يشتري لها ثوباً، فإنَّ الأوَّل إذا لم يملكها إياه فهو على سبيل الإمتاع، فإذا حصل الطلاق بإمكانه أن يطلبه وينتزعها منها، بينما شراء الكسوة للزوجة هو تملك سواء قال لها أم لم يقل لها، ولهذا لو حصل الطلاق لا يمكنه أن يجرد زوجته من ثيابها، وإنَّ مسألة الإمتاع بالرزق والتملك بالكسوة مسألة يقرها الوجدان والعرف.

س: متى يسقط وجوب نفقة الزوجة عن الزوج عموماً؟

ج:

- ١- مؤاكلة الزوجة مع الزوج، أي إذا حصل الزواج والدخول واستمرت الزوجة معه تأكل وتشرب وتسكن مع زوجها فليس لها حق المطالبة بالنفقة لهذه المؤاكلة.
- ٢- نشوز الزوجة، وهي أن تتمرد الزوجة على زوجها بمنعه من بعض حقوقه أو بفعل المنقرات له التي إذا حكم الشارع عليها بالنشوز بسبب فعلها فلا نفقة لها.
- ٣- الارتداد، أي إذا اتخذت المرأة غير الإسلام ديناً بعد أن كانت مسلمة فلا نفقة لها.

٤- السجن، أي إذا سجنَت الزوجة بحق أو بباطل تسقط النفقة لانتهاء التمكين، وقد يقال بالتفصيل بين ما إذا كان السجن بسببها أو لا.

٥- الغصب، إذا أخذ الزوجة مغتصب مكرهاً لها أو لم يكن كذلك، فلا نفقة لها في هذه المدة لانقطاع التمكّن، وقد يقال بالتفصيل بين ما إذا كانت مكرهة أو لا.

٦- عسر الزوج، لأي سبب كان وقع بالفلس مثلاً، فلا نفقة لعدم تملكه، ويوجد قول بأن تبقى النفقة في ذمته ديناً عليه حتى يوسر.

٧- مرض الزوجة، أي المرض الذي لا يتمكن منها من الدخول بها أو غير ذلك وسواء كان المرض بالأصل أو بالعرض، أغلب علماء الإمامية لا يعتبرون هذا من أسباب سقوط النفقة في أي حال من الأحوال.

٨- موت أحد الزوجين، كما هو موضوع بعض الآيات التي بين أيدينا، فإنه مسقط للنفقة.

٩- البينونة، أي إذا حصل الطلاق الذي تبين فيه الزوجة فلا نفقة لها.

س: لماذا حدّد الله مدّة الرضاعة حولين كاملين ثمّ رخص بالأقل؟

ج:

١- في الحالة الطبيعية التي تكون فيها الوالدة ويكون النمو الكامل للمولود في أن يرضع من ثدي أمّه حولين كاملين.

٢- إذا تعاسرا الوالد والوالدة في مدّة رضاعة طفلها فليرجعا إلى مدّة الحولين الكاملين.

٣- إذا قدّم الطفل إلى مرضعة أجنبية فهل يجوز عقد أجره الرضاعة على أكثر من حولين لعدم انتشار الحرمة بينهما كما هو رأي الإمامية، أم لا يجوز لانتشار الحرمة بينهما أي سوف تصبح المرأة أمّاً للمولود كما هو رأي بعض غير الإمامية؟

٤- قد تطالب الوالدة بأجرة الرضاعة فليس لها حق طلب الزيادة على أجره المثل إلا ما زاد على الحولين، وإباحة أخذ الأجرة من قبل الوالدة؛ لأن الرضاع عليها مستحبّ وليس بواجب، والمستحبّ يجوز أخذ الأجرة عليه.

٥- إذا صدر النذر من الوالدة برضاعة طفلها لمدّة كثيرة أو مجهولة أو قالت: كاملة، فإنها ترجع في جميع الأحوال إلى الحولين؛ لأنه نهاية الرضاع الكامل.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ
 أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ
 بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ • وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ
 خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَنَّكُمْ سَتَذَكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا
 تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى
 يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٣٤-٢٣٥)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟



ج:

مركز تحقيقات كميونر علوم اسلامي

١- يذر: يترك.

٢- خبير: العالم الذي يسهل عليه تحصيل مخبر الخبر.

٣- التوفي: الاستيفاء والاطعام.

٤- عرّضتم: العرض الجانب من الكلام الذي لا تصريح فيه ولكن يعرف المقصود منه.

٥- الخطبة: من الخطاب والتخاطب الذي يستدعي عقد النكاح.

٦- أكننتم: أضمرتم وسترتم.

٧- العزم: القرار والإرادة.

٨- العقدة: هو شدّ طرفي الحبل وعقده.

س: ما هو المعنى المحتمل لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ؟﴾

ج:

١- أن تدوين هذا الخطاب لتنظيم حالة حزن الزوجة على زوجها حتى لا تقع بما فيه الإفراط أو التفريط على ما عليه بعض المجتمعات سابقاً أو لاحقاً، الخطاب عيّن عدّة للمرأة التي يتوفى زوجها وهي أربعة أشهر وعشرة أيام لغير الحامل، وأمّا الحامل فتكون عدتها أبعد الأجلين كما عليه الإمامية جمعاً بين هذه الآية وآية ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٤)، أمّا لا مجال للعمل بالآيتين إلا بالقول بأبعد الأجلين، أو هو من الاحتياط اللازم.

٢- عدّة الوفاة أن تكون المرأة فيها في حالة حداد على زوجها فتقطع الزينة في هذه المدّة فقط وعن كلّ شيء يجذب الناظرين وتقطع الخروج من البيت أو الكلام الكثير إلا للضرورة.

٣- إذا انتهت عدّة الوفاة ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء في أن تخرج المرأة لعملها أو تلبس ما تشاء داخل بيتها أو خارجه ضمن الحجاب ولا مانع من أن تكون عرضة لخطبتها حتى تتزوج بشخص آخر وحصل ذلك على التراضي وبما هو معروف، والله هو العليم والخبير والمطلع على الظاهر والباطن لكلّ الأشياء، فعلى الإنسان أن يخلص نيته مع الله ومع المجتمع ومع

النساء فلا يكن مانعاً في أن تتزوج المرأة من جديد مادام الله قد أباح لها ذلك.
 ٤- أن بداية حساب عدّة الوفاة من حين الوفاة إن علمت بالوفاة وإذا لم تعلم فمن حين سماعها بخبر الوفاة، كما أن هذه العدّة تكون لكلّ من توفى عنها زوجها، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «كلّ النكاح إذا مات الزوج فعلى المرأة حرّة كانت أو أمة، وعلى وجه كان النكاح منه متعة أو تزويجاً أو ملك يمين، فالعدّة أربعة أشهر وعشراً»^(١).

س: ما هي المحتملات التي ترد في أن جعل الله للزوجة التي يتوفى زوجها عدّة الوفاة؟

ج:

- ١- لليقين بعدم وجود الحمل أو وجوده في الرحم خلال هذه المدّة.
- ٢- أظهر احترام الميت بمظهر الحزن بهذه المدّة المعقولة حتى لا تقع المرأة بما فيه من الإفراط أو التفريط في حزنها على الرجل.
- ٣- أن تمنع نفسها من الزواج في هذه الفترة حتى لا يختلط النسل.

س: هل للزوجة المتوفى عنها زوجها وجوب النفقة من مال زوجها أو من مال الورثة؟ اذكر أسباب ذلك.

ج:

لا نفقة للزوجة التي توفي زوجها لا من ماله ولا من مال الورثة، لا سكناً ولا رزقاً، وذلك للأسباب التالية:

- ١- انقطاع العصمة الزوجية بالوفاة، وانتهاء حق الزوجية في الاحتباس.
- ٢- أن النفقة تجب على الزوج شيئاً فشيئاً، ولا ملك للزوج بعد الموت.
- ٣- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: سئل عن المرأة الحامل التي توفي عنها زوجها: هل لها نفقة؟ قال: «لا»^(١).

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمَ اللَّهِ أَنْكُمْ سَتَذَكَّرُونَ هُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾؟

ج:

عندما تبقى الزوجة التي توفي عنها زوجها خلية ومسموحاً لها الزواج بالآخر، والمحتاج للزواج والقريب من هذه الزوجة وذو صلة معها لا بد أن تأتي صورتها على ذهنه للتفكير بإمكان الزواج منها أو لا، وهذه حالة طبيعية لدى الإنسان، والبعض الآخر يجتاز مرحلة التفكير حيث يعرف أن الأمر أصبح بيدها فيقوم بالكلام معها ولكن بصورة شبه صريحة، كأن يقول: إني راغب في امرأة ثم يذكر صفات تقع عليها ونحو ذلك من أجل خطبتها ﴿فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾، والبعض الآخر يتمنى خطبتها ولكن يحصر هذا التمني في تصوّره وقلبه من غير إفشائه لها أو لغيرها من المتعلقين بها ﴿أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾، وهذا اللون من التفكير والكلام قد رفع عنه الله الإثم؛ لأنه يعبر عن حالة طبيعية في تكوين البشر

في أنه يميل للجنس الآخر ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنْكُمْ سَتَذَكُرُونَهُنَّ﴾، وأنه في دائرة الخطبة لا في دائرة الحيلة والانحراف في القصد، ولكن الممنوع شرعاً في حالتين في هذا المجال:

الأولى: ألا تواعدوهن سرّاً، لأنّ الوعد السري بين الرجل والمرأة قد يؤدي إلى الاختلاء بها وتصل النتيجة إلى ما لا تُحمد عقباه، وأنّ الوعد قد يتحقّق وقد لا يتحقّق وفي حالة عدم تحقّقه سيعطل المرأة عن الزواج التزاماً بوعدّها له، وليس كلّ وعد هو صادق من الأساس ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً﴾.

نعم، إذا كانت المواعدة حاصلة علناً بين أفراد الأسرة وأنها تجري ضمن المتعارف وأنها ضمن إطارها الشرعي وغير خارجة عن الخلق الديني والعرفي فلا بأس بمثل هذه المواعدة التي تحصل بين الرجل والمرأة ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا...﴾ الآية أنه قال: «يقول الرجل للمرأة وهي في عدتها، يا هذه ما أحب ما أسرك ولو قد مضى عدتك لا تفوتيني إن شاء الله فلا تسبيني بنفسك، وهذا كلّ من غير أن يعزموا عقدة النكاح»^(١).

الثانية: أن الزواج في الإسلام ليس لقضاء الغريزة الجنسية فحسب، وليس هو عاطفة تهيج لتنفّس بسرعة، بل هو عقدة وترايط وثيق بين الرجل والمرأة لبناء حياة زوجية قائمة على أساس علمي يملؤه الحب والمودة مادام العمر، فإذا كملت الدراسة والتفكير على هذا الأساس القويم فليعزم الإنسان على الزواج ليكون

زواجا ناجحا، وخصوصاً إذا كانت الزوجة التي يريد الزواج منها أرملة وقد توفي عنها زوجها الذي يقتضي في بعض الحالات أن يعطل الإنسان العزم فيه لفترة قصيرة لزيادة في التفكير، ثم إذا كملت عنده الفكرة كاملة فبعد ذلك يعزم على عقدة النكاح ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾، وقد يكون حتى يبلغ الكتاب أجله أي حتى تنتهي عدة الوفاة للزوجة فاعزموا عقدة النكاح كما هو الحديث السابق في النقطة الأولى وغيره.

فالنتيجة يمكن أن يقال: إن التعرض للنساء والحديث المباشر والتفاهم معهن حول الزواج ومن أجل الخطبة ليس فيه بأس شرعي بشرط عدم الاختلاء، وأن يكون الحديث في الحلال ولم يخرج عن دائرة الخطبة، وألا يكون هذا الحديث سراً بينهما، بل لا بد أن ينقل إلى الآباء والأولياء ليكونوا على علم به. واعلموا أيها الناس أن الله يعلم ما في أنفسكم إن كنتم صادقين في أن تريدوا الزواج الدائم من النساء والمودة لهن وأن ما يجري بينكما هو في دائرة المعروف وطلب الحلال، أو تريدون الاستمتاع المجرد لتتركوهن بعد ذلك عرضة للمشاكل وضحية لشهواتكم ونزواتكم، فاحذروا عقاب الله أيها الناس ولا يأخذكم بالله الغرور وأنتم تشاهدون إمهال الله لكم في الدنيا لحلمه سبحانه، وإذا وقع منكم خطأ غير مقصود فإن الله غفور ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ • وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٣٦-٢٣٧)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

- ١- المقتر: ما يقابل الموسع، وهو قليل النفقة.
- ٢- المتاع: ما ينتفع به.
- ٣- المحسن: كثير الإحسان ما هو فوق الواجب.
- ٤- العفو: أ- مطلق الزيادة. ب- السماح وترك المؤاخذه.
- ٥- الفضل: الزيادة في العطاء.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾؟

ج:

- ١- أن هذا الخطاب جاء لتشريع حالة خاصة لنوع من أنواع الطلاق، وهو عندما

يحصل الطلاق بين الزوجين وبعد لم يعين المهر بينهما ولم يضاجمها ﴿مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾.

٢- أن هذا الخطاب يكشف عن إمكان أن يعقد الرجل على نكاح المرأة ولم يعين المهر، بل يتفق في تعيينه بعد العقد.

٣- إذا كان الزوجان قد عقدا عقد النكاح ولم يعينا المهر ولم يدخل بها فلا مانع من حصول الطلاق لسبب من الأسباب لا كما يعتقد البعض أنه لا يجوز ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾.

٤- إذا حصل الطلاق في هذه الحالة فيجب شرعاً أن يقدم الرجل متاعاً وهدية، والوجوب الشرعي ظاهر في الأمر ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾، ومن استعمال ﴿حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾، حيث (حقاً) صفة للمتاع، أي متاعاً واجباً، مع عموم قوله تعالى: ﴿حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾.

٥- لم يعين الله مقدار الهدية، بل تركها حسب حال الزوج المالي بالسعة والقتر، وحالة الزوجة بالسعة والقتر، فالنظر في هذه الصورة إلى حالة الزوج وحالة الزوجة ليكون المتاع معروفاً ومناسباً لها ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾.

٦- أن الهدية يجب أن تكون ممّا ينتفع به لأنها متاع، والنتع هو النفع المادّي، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ أنه قال: «إن الرجل الموسر يمتع العبد أو الأمة، ويمتّع الفقير بالحنطة والزبيب والثوب والدرهم»^(١)، وهذه أمثلة لتأكيد كون المتاع مادياً.

(١) تفسير العياشي ١: ٤٢٩/١٢٩.

٧- أن تقدّم الهدية من قبل الزوج إليها بأفضل طريقة تسرّها عرفاً ﴿مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ﴾.

٨- أن هذه الهدية تجمع بين الوجوب على الزوج والإحسان منه، وهذا يعني أن الزوجة المطلقة يجب أن تفهم أن الذي وصل إليها هدية من قبل زوجها هو أزيد ما تستحقّه عرفاً ووجداناً؛ لأنّ طبيعة الإحسان تقتضي ذلك ﴿حَقّاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾.

٩- إذا طلقت المرأة في هذه الحالة ليس عليها عدّة فلها الحق أن تتزوج من ساعتها لبيئوتها منه.

١٠- لو حصل هذا النوع من الطلاق بعد المضاجعة والدخول تستحقّ الزوجة فيه مهر المثل.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في أن فرض الله هدية الزوج الذي لم يسمّ مهراً ولم يدخل بزوجته؟

ج:

١- لجبران ما انكسر من المرأة معنوياً، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ...﴾ الآية أنه قال: «...فإنهن يرجعن بكآبة ووحشة وهو عظيم، وشماتة من أعدائهن، وأن الله كريم يستحي ويحب أهل الحياء، إن أكرمكم أشدكم إكراماً لحلاتهم»^(١).

٢- أن السماح بعدم تعيين المهر عند عقد النكاح لا يعني إلغاء لأصل الاستحقاق، فإنّ الهدية والمتاع بديل له.

٢- أن هذا المتاع يعني للآخرين أن سبب الطلاق لم يكن لوجود عيب في المرأة، لأنه لو كان فيها عيب يوجب الطلاق لم تستحق به المرأة المتاع والهدية.

٤- يقلل ظاهرة استسهال الطلاق من قبل البعض عندما يرون أن من ورائهم ضريبة مالية يجب أن تدفع في هذه الحالة.

٥- أن النكاح والطلاق هو تعامل الرجل مع إنسانة لها كرامتها وحقوقها فهي ليست سلعة بهذا الرخص بحيث الرجل يعقد ويطلق بدون ضوابط وحساب.

٦- أن هذا المتاع يطفى الغضب والحقد والعداوة والبغضاء الذي قد ينتجه الطلاق.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ ... بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرَةً؟﴾

ج:

١- هذا الخطاب جاء لعلاج حالة من حالات الطلاق وهي عندما يحصل الطلاق بين الزوجين بعد أن اتفقا على المهر في عقد النكاح وسمياه في العقد أو بعده وقبل الدخول بالزوجة ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾.

٢- إذا حصل الطلاق في هذه الحالة فيجب على الزوج أن يدفع لزوجته المطلقة نصف الفرض والمهر المسمى الذي اتفقا عليه بالتعيين ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾.

٣- أن الأخذ والعطاء متروك لأن يراعي أحدهما ظرف الآخر من الناحية المعاشية وهذه المراعاة هي جزء من الأخلاق التي يحث عليها الإسلام؛ لأنها تعكس الرحمة والعطف، فبالإمكان أن تعفو المرأة وتتنازل عن كل حقها أو جزء منه عندما يكون هناك تفاوت بينها وبين زوجها فهي موسعة وهو مقتر ﴿إِلَّا أَنْ يَغْفُونَ﴾، وبالإمكان الزوج أن يعفو عن النصف الآخر بحيث يصبح لزوجته

المطلقة كل المهر أو أكثر من نصفه إذا كان هو موسعاً وهي مقتررة، وقد دفع كل المهر إليها سابقاً فلا يطالب به بالعفو عنه، أو يأخذ بعضه ويعفو عن الباقي ﴿أَوْ يَغْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾، وكذلك هم أولياء الزوجة الذين بيدهم عقدة النكاح أن يقوموا بالعفو.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن قوله تعالى: ﴿الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ أنه قال: «الولي الذي يأخذ بعضاً ويترك بعضاً وليس له أن يدع كله»^(١)، وحتى إذا لم يكن هناك تفاوت بين الطرفين في المستوى المعاشي فالعفو مطلوب بينهما سواء من الناحية المادية أو المعنوية بأن يعفو كل واحد منهما عن صاحبه لما صدر منه من خطأ، فإن العمل بالعفو هو صفة المؤمنين وأنه يقرب الإنسان إلى تقوى الله وإلى الله باعتبار أن الله هو العفو الغفور ﴿وَأَنْ تَغْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾.

٤- على الزوجين أن ينظر كل واحد منهما إلى النقاط الحسنة التي كانت قد أثرت أثرها في صاحبه وأن ينطلق منها في التعامل، فإن ذلك يجعل عملية الافتراق بالطلاق بين الزوجين عملية لم تترك أثر الكراهية والحقد والعداوة والبغضاء، وإذا غفل أحدهما عن هذا اللحاظ وأخذ يتذكر المساوي فقط ولم يفتش عنها ولم يذكر من صاحبه إلا هذه فسوف تثير عنده ما لا يرضاه الطبع والعقل والشرع من الفعل ﴿وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، وهذا الخطاب لم يختص بالطلاق بل هو أسلوب أخلاقي عام يجب أن يلتزم به كل المؤمنين في علاقاتهم مع الآخرين بأن لا ينسوا الفضل بينهم، وإذا نسي البعض ما قدمه

(١) التهذيب ٧: ٣٩٢/١٥٧٢.

الطرف الآخر من الفضل فإنه لم ينس عند الله وحاشا الله من ذلك، بل هو مكتوب عنده وسيجزى عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

س: لماذا فرض الله نصف المهر ثم أوصى بالعفو؟ اذكر المحتمل في ذلك.

ج:

من أجل أن يعرفنا الله أن هناك قانوناً وهناك أخلاقية القانون، وكل القوانين الإلهية تحمل إلى جانبها أخلاق القانون، فبعض الحالات يكون تطبيق القانون والوقوف عليه وإن كان حقاً إلا أنه يعبر عن حالة غير إنسانية يرفضها الطبع الإنساني والسجية الأخلاقية العامة التي جاء القانون من أجل تثبيتها، مثل أن يتورط الرجل لسبب من الأسباب بامرأة موسعة وهو فقير محتاج معيل لأبيه وأمه الكبارين وأخواته وإخوانه الصغار وعند طلاقها في هذه الحالة المذكورة يكون من الواجب عليه أن يدفع نصف المهر، فالقانون وإن كان إلى جانب المرأة إلا أن أخذه من هذا الرجل وهو في هذه الحالة فيه امتعاض لكل من يسمع أو يشاهد هذه الحالة الخالية عن الرحمة والعطف والوجدان، فالقانون في الإسلام بين التقلص والتمدد والصرامة والعفو، ولم يجمد على نفسه في جميع الحالات ومن دون النظر إلى ما يحيط به من الظروف.

ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «يأتي على الناس زمان عضوض يعض كل امرئ على ما في يديه وينسون الفضل بينهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾»^(١) والعضوض هو شدة الإمساك.

(١) الكافي ٥: ٣١٠/٢٨.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿ (البقرة: ٢٣٨-٢٣٩)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

١- الحفظ: ضبط الشيء في النفس، وهو ما يقابل النسيان.

٢- القانت: الدوام على الأمر الواحد.

٣- الخوف: الفزع والاضطراب من أمر يحذره.

٤- رجالاً: القائمون على الأرجل وقوفاً أو مشياً.

٥- الراكب: المستقر على دابة تسير به.

٦- أمن: ما يقابل الخوف.

س: ما هي المحتملات في تفسير قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾؟

ج:

أولاً: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾

١- حافظوا على الالتزام بها من حيث أدائها ولا يمنعكم مانع عنها.

٢- حافظوا على أوقات الصلاة ولا يشغلكم شاغل عن أول وقتها.

٣- حافظوا على آداب الصلاة من التأنى والخشوع والخضوع ولا ينصرف ذهنكم

إلى ما هو خارج عنها ولا تستخفوا بها.

٤- حافظوا على المعطيات الروحية للصلاة ولا تنسيكم مشاغل الدنيا ما تقدّمه الصلاة لكم من معنى.

٥- حافظوا على ما يترتب على الصلاة من الواجبات من تقوى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦- حافظوا على الصلاة من خلال تعليمها لكلّ الأبناء ولكلّ من لم يؤدّها.

٧- حافظوا على الصلاة كما هي وعلى ما هي عليه وإن اختلف الزمان والمكان واختلفت الطبائع والأفكار والأذواق، فإنّها من العبادات غير القابلة للتغيير والتبديل حتّى نهاية الحياة.

٨- حافظوا على الصلاة وأنتم في حالة الصّحة أو المرض وفي حالة الحرب أو السلم وفي حالة الخوف أو الاطمئنان وفي حالة الفقر أو الغنى، فإنّ الصلاة واجبة على أيّ حال.

٩- حافظوا على الصلاة بالدوام عليها بصورة مستمرة من دون تقطيع.

ثانياً: « وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى »

قد اختلف العلماء في تعيين هذه الصلاة بالذات لاختلاف الروايات الواردة في تعيينها، وللإختلاف في تعيين الشبّهين حتّى يمكن تعيين الوسط بينهما، ولذلك ورد أكثر من ثمانية عشر احتمالاً في ذلك، ونحن نذكر بعضاً منها:

١- صلاة الظهر؛ لأنّها تتوسط النهار، وأنّها تتوسط بين صلاتين نهاريتين، أي بين صلاتي الصبح والعصر؛ ولورود النص الموحّد الوارد عن الأئمة سلام الله عليهم أجمعين، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: « صلاة الظهر، وفيها فرض الله الجمعة، وفيها السّاعة التي لا يوافقها عبد مسلم فيسأل خيراً إلّا

أعطاه الله إِيَّاهُ»^(١).

٢- صلاة العصر؛ لأنها تقع بين صلاتي الليل المغرب والعشاء وبين صلاتي النهار الصبح والظهر، ولورود نص فيها.

٣- صلاة المغرب، لأنها تقع وسطاً في عدد الركعات أي ما بين الركعتين والأربع، ولورود نص فيها.

٤- صلاة الصبح؛ لأنها تقع وسطاً بين الظلام والضياء، أو بين صلاتين نهاراً الظهر والعصر وبين صلاتين ليلاً المغرب والعشاء، ولأن القرآن قد اهتم بإقامة صلاة الفجر، ولورود نص فيها.

٥- صلاة الجمعة، لسبب النزول حيث بعض الرويات تقول: إن الرسول ﷺ كان يصلي الجمعة فنزلت الآية.

٦- كل الصلوات؛ لأنها الواسطة والوسط بين العابد والمعبود.

٧- صلاة الجماعة؛ لأن الوسط هو أفضل الطريق وعدله، وأفضل الصلاة هي الجماعة، ولورود النص بسبب نزولها، أن الرسول ﷺ كان يصلي الظهر جماعة وقد تشتت البعض عنها بسبب الحر الشديد فنزلت الآية.

٨- صلاة واحدة من الخمس غير معيّنة بنفسها؛ لعدم إمكان عطف الشيء على نفسه؛ لأن الواو عاطفة، وأن الله أخفاها كما أخفى ليلة القدر ليهتم الإنسان بجميع الصلاة.

﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾

١- أن تدعو الله في الصلاة وأنت في حالة القيام كما هو القنوت المعروف في

الصلاة، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ أنه قال: «هو الدعاء في الصلاة حال القيام»^(١).

٢- أن يكون المصلي قانتاً خاشعاً متذلاً في أثناء صلاته، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ أنه قال: «إقبال الرجل على صلاته ومحافظة على وقتها حتى لا يلهيه عنها ولا يشغله شيء»^(٢).

٣- اخضعوا لله دائماً بدوام طاعتكم له.

٤- صلوا لله جماعة.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾؟

ج:

أولاً: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾

١- أن هذا الخطاب يشير إلى تشريع صلاة شدة الخوف، ومن باب لطفه أن جعل للمصلين سعة في مثل هذه الحالات.

٢- إذا كنتم في حالة الأمن فحافظوا على الصلوات، فإن خفتهم فصلوا رجلاً أو ركباناً.

٣- إذا خفتهم من لص أو حيوان ولا تتمكنون من أداء الصلاة في حالتها الطبيعية فصلوا حسب الممكن قياماً على أرجلكم وأنتم واقفون أو قياماً على أرجلكم وأنتم تمشون أو تؤدونها وأنتم راكبون على دابّتكم أو مضطجعون، أو في أي

(١) فقه القرآن ١: ١١٥.

(٢) وسائل الشيعة ٤: ٢٣/٤٤١١.

حالة تكونون فيها؛ لأنَّ الصلاة لا تسقط في حال ولو بتكبيرة الإحرام.

٤- إذا ارتفع الخوف وأمتتم فاذكروا الله وصلّوا الصلاة التي علمكم بها.

س: ما هي أقسام صلاة الخوف؟

ج:

تنقسم صلاة الخوف إلى قسمين:

الأول: صلاة الخوف، وهي الصلاة التي تؤدى بصورة خاصة عندما يخاف من العدو ومراقبته سواء قبل الحرب أو في أثناء الحرب، وسوف يأتي شرح كيفيتها إن شاء الله في سورة النساء آية ١٠٢.

الثاني: صلاة شدة الخوف وتسمى بصلاة المطاردة، وهي الصلاة التي يكون فيها المصلّي في حالة التقاء السيوف في الحرب أو في حالة الخوف من لص أو سبع أو أي حيوان وحشي بحيث لا يمكن معه أداء الصلاة، والآية التي بين أيدينا تحكي عن هذه الحالة.

س: هل لصلاة المطاردة كيفية خاصة؟

ج:

لا توجد كيفية خاصة، بل هي تؤدى بالترتب من الفرد الكامل للصلاة إلى الأقل ثم الأقل حتى تصل إلى الإيماء لجزء منها فقط، فهي متروكة لحال المصلّي وتمكينه من الصلاة، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا التقوا فاقتتلوا فإنما الصلاة حينئذٍ بالتكبير، فإذا كانوا وقوفاً فالصلاة إيماء»^(١)، وعنه أيضاً: «صلاة الزحف على الظهر

(١) التهذيب ٣/٣٠٠:٩١٦.

إيماء برأسك وتكبير، والمسايقة تكبير بغير إيماء، والمطاردة يصلي كل رجل على
حياله»^(١)، ومن أراد التفصيل فليراجع كتب الفقه.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى
الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ
مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ • وَالْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
الْمُتَّقِينَ • كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٠-٢٤٢).

س: ما هي الاحتمالات في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ
... مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؟

ج:

أولاً: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى
الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

مركز تحقيقات كميونير علوم إسلامي

يوجد احتمالان في هذه الآية:

الأول: إذا قلنا بوجود الوصية لمدة الحول، وإن الحول هو عدة الوفاة بحيث لا
يحق للورثة أو أولياء الزوج خروجها من بيت زوجها في هذه المدة، فتكون الآية
منسوخة بالآية التي حددت عدة الوفاة وهي أربعة أشهر وعشرة أيام، ومنسوخة
بالآية التي عيّنت سهمها بالميراث حيث لا يجب لها أكثر من ذلك، وعلى هذا يكون
هذا الخطاب جاء كعلاج مؤقت لحالة كانت في الجاهلية وهي أن تبقى المرأة في
حداد على زوجها لمدة سنة لا تخرج من بيتها، وربما تُترك من دون نفقة، فأوجب
الله الوصية من قبل الزوج قبل وفاته بأن يوصي بمقدار من المال ما يكفيها هذه
المدة، وهذا ما عليه أكثر المفسرين.

الثاني: قد يكون هذا الخطاب يريد أن يعالج حالة خاصة وهي حالة فيما إذا كان الزوج يريد بقاء زوجته في بيته لمدة عام بعد وفاته لسبب ضروري أو إحسان منه إليها، وليس البقاء ناظراً إلى خروجها أو عدمه ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾، فهنا من الراجح أن يوصي بذلك حتى يعلم الورثة بمقدار النفقة وحتى لا تكثره على الإخراج، وهذا كله يتم بالاتفاق ورضا الطرفين، والزوجة حرّة فيما بعد الأربعة أشهر والعشرة أيام فيما إذا أرادت أن تخرج أين ما تشاء مادام خروجها بالمعروف ولم يجلب لبيت زوجها ما يوجب إهانتها لتصرف من تصرفات الزوجة، وعلى هذا الاحتمال لا تكون الآية منسوخة، وهذا هو الأرجح للأمر التالية:

١- لم يقيد الخطاب ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ﴾ (البقرة: ٢٣٤)، كما هو لسان الآية السابقة، وهذا يعني أن الحول لم يكن واجباً على الزوجة حتى النهاية، والحول لم يكن عدّة وإنما هو رغبة الزوج في ذلك، إطلاق الخطاب يدلّ على أن الخروج متروك لمشيئتها. *كمبيوتر علوم راسدي*

٢- أن الوصية بالمتاع معلقة على بقاء الزوجة في بيت زوجها ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾، وهذا يعني أن المتاع حقّ للزوجة إن شاءت التزمت به، وإن شاءت تنازلت عنه قبل السنة وخرجت للزواج بالغير أو لغير ذلك ممّا هو معروف، فهو ليس حكماً إلزامياً عليها.

ثانياً: ﴿وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَمِّينَ﴾

قد مرّ الحديث عنه سابقاً، ولعلّ تكرار الآية بالمعنى هنا لأجل زرع الاطمئنان في نفوس النساء بأنّ لهنّ حقوقاً وواجبات على الأزواج عند أيّ حالة طارئة تؤدي بها إلى الافتراق عن زوجها.

﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

وهذه الآية هي الأخرى قد مر ذكرها سابقاً، ولعل تكرارها هنا لأجل بيان الدقة في التدخل الإلهي في التشريع، أو لأجل بيان ما يوهم التشابه بين هذه الآية وسابقتها، والله سبحانه وتعالى قد بين آياته من أجل أن يتدبر الإنسان فيها لمعرفة دقائق المعنى ليكتشف المراد الإلهي فهو كتاب الله وليس كتاب بشر.

س: قرأنا آيات الطلاق وشهدنا أن هناك تأكيداً واضحاً على المصطلحات التالية: (التقوى) (الإصلاح) (العفو) (المعروف) (الإحسان)، اذكر السبب المحتمل لذلك.

ج:

أن الطلاق هو افتراق بين زوجين، فهو مشكلة من أمتهات المشاكل الاجتماعية التي نادراً ما يبتدئ بإنصاف وينتهي بإنصاف، ونادراً ما ينتهي بالتفاهم بين نفس الزوجين، فدائرة الاختلاف بين الزوجين تبتدئ من أنفسهما ثم تتوسع إلى أهل الزوج والزوجة ثم إلى الأقارب والعشيرة ثم إلى المحاكم وقانون الدولة، فعندما أكد الإسلام من خلال كتابه على هذه المصطلحات المذكورة وأمثالها يريد أن يحقق الأمور التالية:

١- أن يحجم أصل حصول الطلاق بين الزوجين وتقليل نسبة إيقاعه في المجتمع الإسلامي.

٢- أن يجعل الطلاق في نظر المسلم أنه ليس من الأمور التي يستسهلها الإنسان ليطلق كما يعجبه بل هي مسؤولية لها آثارها السلبية في الدنيا والآخرة.

٣- أن يحجم دائرة الاختلاف في أن يجعلها من الأضيق إلى الأوسع، فليس من

الصحيح أن تنتقل المشكلة الزوجية من دائرتها إلى دائرة المحاكم وقانون الدولة حتى لو كان حصول الطلاق الفعلي بينهما، فلو كانت كل مشكلة تحال إلى المحاكم هذا يعني سوف يشغل كاهل المحاكم بملايين من الملفات شهرياً، وهذا ممّا يشغل الدولة الإسلامية عمّا هو أهمّ من ذلك، فمادامت هناك دوائر تساهم في حلّ المشكلة قبل وصولها إلى الدولة وقانونها فالإسلام يشجّع على تلك الدوائر الاصلاحية.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ • وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ • مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٣-٢٤٥)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:

- ١- ألم: أداة استفهام للتعجب أو للإنكار.
- ٢- الفضل: الزيادة الممدوحة على حد الاستحقاق أو الاقتصاد.
- ٣- القرض: القطع، والمقرض يقطع من ماله.
- ٤- يضاعف: أداء المثل.
- ٥- القبض: القتر والضييق.
- ٦- البسط: السعة والعطاء.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾؟

ج:

أن هذه الآية مملوءة بالاحتمالات، وعلى الرغم من عدد الاحتمالات الموجودة فيها فإنها على قصرها ووضوحها الإجمالي تعطي للسامع المعنى الكامل

وتوصل هدفها بصورة تامة إلى قارئها، وهذا من جملة إعجاز القرآن الذي يتفرد به أسلوبه ومقدرته على ذلك، ومن جملة الاحتمالات منها:

أولاً: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ ﴾

- ١- (ألم) هنا استفهام للتعجب وليست للاستنكار لكون المخاطب النبي ﷺ وحاشا للرسول ﷺ أن يفعل شيئاً حتى يحتاج إلى الاستنكار عليه من قبل الله.
- ٢- (ألم تر) أي ألم تعلم بالذين، فهذا أنزل الله المؤمن منزلة المتيقن سابقاً لإيمانه وتصديقه.

- ٣- (ألم تر) أي ألم تبصر إلى الذين، فهذا تنزيل المخاطب منزلة الذي يرى ببصره لليقين الذي يحمله الخطاب وللصورة الجميلة في النقل بحيث تجعلك كأنك ترى الحدث ببصرك.

ثانياً: ﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ ﴾

- ١- القوم من الأقوام السابقة، قد يكونون قبل بني إسرائيل، أو قوم من بني إسرائيل، أو هم قوم النبي حزقيل وقد يكونون غيرهم.
- ٢- البلاد، خرجوا من بيوتهم وبلداتهم (داوران) في شرق واسط أو هي قرية من قرى الشام.

- ٣- الألو، خرجوا وهم في حالة جمع من الألو وألفة لا متفرقين بحيث كان خروجهم ممّا يثير الدهشة لكثرة عددهم وكيفية خروجهم والدافع الواحد الذي دفعهم للخروج، وقد يكون الألو لعددهم المختلف فيه، وقد يكون أكثر من عشرة آلاف نسمة، لمقتضى لفظ الألو.

- ٤- وذكر هذا العدد قد يكون لأجل أن يقول: إنهم كانوا يمثلون الأغلب والأكثر من

الذين بقوا في قربتهم، وقد يكون الخروج لجميعهم وهم أوف.

٥- سبب خروجهم دون غيرهم، قد يكون لقدرتهم وعدم قدرة الذين بقوا، أو لجبنهم وشجاعة الذين بقوا.

الفصل: ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾

بيان سبب خروجهم هو الحذر والخوف من الموت، وفي سبب الموت يوجد احتمالات:

- ١- مرض الطاعون الذي ألمَّ بهم وانتشر بينهم.
- ٢- الفرار من الزحف والجهاد بهجوم العدو عليهم.
- ٣- استيلاء المستكبرين منهم والحاكمين على البلاد بالظلم والجور والاستعباد والفقير.



رابعاً: ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾.

- ١- قول الله أي إرادته التكوينية وقدرته، وهذا لا ينافي الموت بواسطة أمر طبيعي.
- ٢- يحتمل أنهم ماتوا قبل آجالهم أو بآجالهم، وفي الحالتين هو من الله، ولكن الأول أظهر لانسجامه مع الحدث وغايته.
- ٣- عندما أماتهم الله قد يكون بالمباشرة أو بواسطة الطاعون الذي فرّوا منه أو الفرق أو الانحصار أو لدعاء ملكهم الذي أمرهم بالقتال أو أي شيء آخر.
- ٤- عندما أماتهم الله قد يكون دفعة واحدة أم دفعات أو أفراد.
- ٥- قد يكون الموت عقوبة لعدم قبول الله به، وقد لا يكون عقوبة.

خامساً: ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾

- ١- أحياهم بصورة مباشرة.

٢- أحياءهم بواسطة طلب حزقييل الذي مرَّ على قرية أو بواسطة دعائه إذا كانوا قومه.

٣- أن يكون قد أحياءهم الله لمدة قصيرة ثم أماتهم للعبرة، وقد يكون أحياءهم ليعيشوا حتى ماتوا بأجالهم.

سادساً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾

كله فضل، ومنه الفضل لا من غيره، في عطائه ومنعه، وفي إحيائه وإماتته للناس، وفضله محسوس لكل أحد، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان، والله لم يكن محتاجاً لإحساننا ولكنَّ العقل وكلَّ صاحب ذوق أخلاقي يقول بذلك، فهل جازينا الإحسان والفضل الإلهي علينا بما لا يحصى عدده بالشكر؟!!!

الجواب: ولكن أكثر الناس لا يشكرون، وقليل من عبادي الشكور، فقايس أيتها الإنسان الظلوم الجهول بين النازل من الله والصاعد من البشر، فكن من أولئك القلة بعملك وطاعتك لله. مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

س: هل يمكن القول بأنَّ هذا الحدث وهذه القصة أنَّها رمزية وليست حقيقية حيث الموت بمعنى الموت المعنوي لا الحقيقي وهو موت الإرادة والاستعباد والقهر، وأنَّ الحياة بمعنى القوَّة وامتلاك الإرادة والانتصار والحرية... وهكذا؟

ج:

أنَّها قصة حقيقية وواقعية، وذلك للأسباب التالية:

١- أن الهدف والدروس لهذه الآية هو لبيان قدرته سبحانه ولا يصحَّ بيان ذلك بأمر واقعي.

- ٢- مرور النبي حزقيل على هذه القرية.
- ٣- النقل التاريخي الذي يشير إلى واقعيتها وإن اختلف النقل في وحدات الوقوع لا في أصله.
- ٤- ورود الألفاظ التي فيها الدلالة على واقعيتها (ألم تر) و (خرجوا من ديارهم) و(ألوف) و(قال لهم الله).
- ٥- كثرة وجود المحتملات لا يخرجها عن كونها واقعية لورود ما هو أكثر محتملات منها بكثير جداً ولم يخرجها عن واقعيتها، كما ذكرنا ذلك في سورة البقرة آية ١٠٢.

- ٦- لم تكن هذه الآية الوحيدة التي تتحدث عن وقوع الإمامة والإحياء، بل هناك أحداث كثيرة ذكرها القرآن تتحدث عن وقوع الإمامة والإحياء كما هم السبعون رجلاً الذين ذهبوا مع موسى إلى الميقات.
- ٧- الروايات التي وردت والتي تتيقن من إجمالها على واقعيتها القصّة، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أحى الله قوماً خرجوا من أوطانهم هاربين من الطاعون لا يحصى عددهم، فأماتهم الله دهرأ طويلاً حتى بليت عظامهم وتقطعت أوصالهم وصاروا تراباً، فبعث الله في وقت أحب أن يرى خلقه نبياً يقال له: حزقيل، فدعاهم فاجتمعت أبدانهم، ورجعت فيها أرواحهم، وقاموا كهيئة يوم ماتوا، لا يفتقدون في أعدادهم رجلاً، فعاشوا بعد ذلك دهرأ طويلاً»^(١).

س: لماذا أحياهم الله؟

ج:

١- اتماماً للحجّة.

٢- أن يكونوا عبرة للآخرين ومن جملة العبر إمكان الرجعة التي تقول بها.

٣- أن يبين الله عموم قدرته وشمولها لكل الناس.

٤- حباً لحزقيل النبي عندما دعا الله أو أنه طلب منه ذلك لضرورة.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؟

ج:

أمر بالقتال، وقد مرّ الحديث عنه مفصلاً فراجع.

س: اذكر كلمات تعبر عن تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾.

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

ج:

إلهي من أنا حتى تطلب القرض مني؟! إلهي أنت المالك وأنا المملوك، وأنت الغني وأنا الفقير إليك، إلهي اني أعلم أن طلبك هذا من أجل أن تزيد عطاءك بأضعاف مضاعفة كثيرة لتجعله ذخيرة لي في وقت حاجتي وفاقتي إليك، إلهي اني أعلم أنك تعطي ولا تأخذ لغناك المطلق، إلهي لم يكن هذا النوع من العطاء غريباً عليّ لأنني أعلم أنك أكرم الأكرمين، وأعلم أنك المالك الحقيقي لكل شيء فييدك القبض وييدك البسط، وأعلم أنك عندما تريد القرض مني تريد أن تزرع الهمة والنشاط في نفسي من أجل أن أعودها على الإنفاق في كل ما هو خير، إلهي وانني أعلم عندما أنزلت نفسك منزلة المستقرض لتعلمني من أخلاقك الربانية من

التواضع والجدود والجدية والإخلاص، فأنت رب العالمين، وأنت المبدأ لكل شيء وأنت المنتهى الذي يرجع إليه كل شيء.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لما نزلت آية ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ قال رسول الله: ربّ زدني، فأنزل الله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾، فقال رسول الله: ربّ زدني، فأنزل الله سبحانه: ﴿فِيضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، والكثير عند الله لا يحصى»^(١)، وسيأتي المزيد في مبحث القرض والدّين إن شاء الله في آخر السورة.



﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ هُمْ
 ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا
 تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا
 وَأَبْنَانِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ •
 وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ
 عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ
 عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
 وَاسِعٌ عَلِيمٌ • وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ
 مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي
 ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ • فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ
 مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ
 اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ
 آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ
 أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
 الصَّابِرِينَ • وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
 وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ • فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ
 دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ
 النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ •

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْزَلُهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿البقرة: ٢٤٦-٢٥٢﴾

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:

- ١- الملك: القائد والحاكم للبلاد.
- ٢- عسيتم: أ- الترجي. ب- الإشفاق.
- ٣- الاصطفاء: الاختيار الخالص.
- ٤- بسطة: السعة والقدرة.
- ٥- الجسم: الضخامة.
- ٦- التابوت: أ- الصندوق. ب- الرجوع؛ لأنَّ التابوت من التوب والإنسان يرجع إليه رجوعاً بعد رجوع.
- ٧- البقيّة: الآثار التي يتركها الآخرون.  *جامعة المدينة العالمية*
- ٨- فصل: قطع وفارق بين شيئين.
- ٩- يطعمه: يذقه.
- ١٠- الغرف: رفع الشيء وتناوله.
- ١١- جاوز: اجتاز.
- ١٢- الطاقة: القوّة.
- ١٣- الفئة: المجموعة من الناس التي تربطهم رابطة واحدة.
- ١٤- الجند: الأرض الوعرة.
- ١٥- برزوا: ظهوروا.

١٦- أفرغ: أصيب.

١٧- الهزيمة: الفرار والمغلوبة.

١٨- الثبت: الثبات والاستقرار.

١٩- الدفع: التنحية والإزالة والتسليط.

● طالوت وتجربة الانتصار بعد الهجرة

س: وضّح القصة التي تحكي عنها هذه الآيات بصورة إجمالية.

ج:

قوم من بني إسرائيل بعد النبي موسى بفترة زمنية، وفي بلاد الشام إذ كانوا متفرّقين وقد انشغلوا بجزئيات الأمور الدنيوية حتى ابتعدوا عن الالتزام بالدين وأهملوا الكتاب وحملته من العلماء الصالحين، وكان الملك الذي يحكم بلادهم رجل اسمه جالوت، وكان هذا الملك لا يعرف إلا مصالحه الشخصية ولا يرى رأياً إلا ما يراه ولا يعرف ديناً ولا يعترف بالمتدينين، وأن ابتعاد بني إسرائيل عن دينهم وانشغالهم بديناهم قد وُلد الضعف في الإرادة وفرقة في الصف وتعدّداً في الرأي ممّا فتح المجال للحاكم أن يستبدّ أكثر ويستضعف رعيته أكثر وأصبح لا يفهم إلا لغة القتل والتعذيب والتشريد مع معارضيه ممّا سبّب الهجرة إلى الكثيرين من أبناء شعبه، حيث هرب الكثيرون بأنفسهم تاركين وراءهم الأهل والأبناء والديار، وبعد مرور السنين أصبحوا تجمّعاً ضخماً يملأ العيون كثرة، وقد جمعهم همّ واحد وهو الرغبة في العودة إلى بلادهم، وبقي الخلاف يملأ ساحة المعارضة باعتبار أنّهم مجتمع لا يملكون الرؤية الموحدة ولا القناعة بالدين، فإنّ فيهم المتدينين وفيهم غير ذلك، ومرّت هذه الحالة من الاختلاف وعدم الانسجام حتّى وصل الأمر أن يعتقدوا

مؤتمراً موحداً بينهم نتج عنه البيان الختامي الذي يمثل الرأي والقرار الموحد للجميع بدون استثناء، وأهم ما يحمله هذا البيان من البنود هي:

الأول: اعتراف الجميع بضرورة الالتزام بالدين وأن لا حل لمشكلتهم إلا من خلال الدين.

الثاني: ضرورة القتال وأن يكون في سبيل الله.

الثالث: تعيين الشخصية القائدة التي تكون مرجعاً للجميع.

ويدؤوا فعلاً بتنفيذ هذه البنود حيث عيّنوا اللجنة التي تمثلهم للملاقة مع نبي لهم وكان يعيش من بينهم يحمل رسالة السماء بسلوكه وعلمه ووعيه في جميع ما يحمله الكتاب والتي منها وجوب قتال الأعداء، فهو لم يكن من أولئك القاعدين الذين لا يفهمون الساحة السياسية وما يدور بها، ولم يكن من المنعزلين الذين لا هم لهم بما تهتم به الأمة، بل كان هو الآخر من عارض سياسة جالوت فكان من المهاجرين، وانضم الجميع تحت هذه الشخصية النبوية وحصلت اللقاءات المستمرة بين القائد السماوي وشعبه وجميع القوى المعارضة، وكان من بين اللقاءات أن طلبوا منه تعيين قائد عسكري لهم ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير بالجنود والنبي يقيم له أمره وينبئه بالخبر من عند ربه»^(١).

وأراد النبي القائد أن يكشف مدى استعدادهم لهذه المهمة والقرار الصعب الذي اتخذوه على أنفسهم ومدى صدقهم وإخلاصهم فيه، وأنه يعرفهم ويعرف مستوى مشاركتهم وكثرة ادعائهم؛ لأنه يعيش بينهم وهو القائد الميداني، وأراد بعلمه الذي

(١) تفسير العياشي ١/١٣٢:٤٣٧.

هو علم الأنبياء أن يؤكد على نفس قرار القتال الذي قرروه لا على نفس طلب القائد العسكري فإن القيادة العسكرية تأتي بالمرتبة الثانية، فما قيمة القيادة العسكرية إن لم يكن هناك قرار وقناعة جماهيرية بالقتال مسبقاً، ولهذا أراد أن يكشف حرصهم وجديتهم بالقرار، فقال لهم: هل رجاءكم من قرار القتال قد وصل إلى المستوى المطلوب بحيث لو فرض عليكم القتال لم تجبنوا ولم تتخلوا عنه وأنكم تقفون على ما قررتم عليه؟ ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾، فأجابوه بالاستعداد الكامل للقتال من خلال طرح أهم أسبابه وهو وجود الحاكم الظالم الذي لم يحصر ظلمه في زاوية من زوايا حياته الخاصة، بل كان ظاهرة عملية يومية سبب لهم الإخراج القهري من بلادهم وديارهم وأبنائهم وهذا يكفي في كتابة القتال في سبيل الله حسب ما يعلمونه من كتابهم السماوي وهو التوراة.

هذا هو القرار وهذا هو الاستعداد وهذا هو العهد بالوفاء الذي طرحوه أمام نبيهم، ولكن بما أنهم خليط من المعارضين ففهم المخلص لدينه وفيهم ما هو دون ذلك ومنهم الطامع ومنهم ما هو دون ذلك ومنهم ما تجده قوياً فيما يقرره ضعيفاً في التطبيق العملي، وهذه ظاهرة متوقعة في كل عمل جماهيري، وعليه في مثل هذا النموذج تجد من الطبيعي أن يكون هناك تفاوت كبير بين الاستعداد وبين التطبيق العملي وبالتالي تكون النتيجة أن الحمل الثقيل لا يحمله إلا أهله وهذه ظاهرة عامة ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾.

ففي الدنيا تختلط الموازين ويظهر الحماس من قبل الجميع والجميع يدعو إلى الوحدة والجهاد في سبيل الله وغير ذلك من الشعارات التي يرفعها الكل، ولكن الله لم تخف عليه خافية لا في الأرض ولا في السماء، وربما تحسب البعض مجاهداً

في الأرض ولكنّه عند الله من الظالمين؛ لأنه وحده المطلع على الغايات والدوافع التي يحملها كل فرد ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

وهذه الحقيقة العامة من البقاء القليل عند العمل والتمحيص ستجدونها واضحة في هذا الحدث، بعد أن ألقى بنو إسرائيل الحجّة الظاهرية على نبيهم ورأى منهم الاستعداد على القتال وأنه في سبيل الله، هنا عيّن النبي القائد العسكري لهم وصرّح باسمه وهو طالوت وكلّهم يعرفونه ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾.

إنّ المعارضة مهما كان مستواها فهي لم تخلُ من قائد عسكري، فالقائد العسكري موجود عندهم ولكنهم إمّا قد اختلفوا عليه كلّ يقول: إنّ القيادة العسكريّة تكون لي لحساسية مركزها وخطورتها، فإنّ القائد العسكري ستكون سيطرة البلاد تحت يده، أو أن تكون القيادة العسكريّة متوفّرة عندهم إلاّ أنّه لا توجد قناعة في كفاءتهم وإلاّ هم أكثرهم من المحارّبين ولبعضهم ممارسات عملية في القتال مع جنود جالوت، فعندما عيّن النبي طالوت ملكاً أخذهم الاستغراب في مثل هذا التعيين؛ لأنّ طالوت لم يكن له تجربة في الممارك حسب علمهم، ولم يكن معروفاً أنّه من المعارضين، بل هو خارج عن دائرة المعارضة ولا يمثل إلاّ شخصه.

هذا مع أنّ أهله لم يكونوا من أهل القيادة والإمارة، حيث الإمارة مختصة من أولاد سبط معين كأن يكون يهوذا يتوارثونها من ابن إلى ابن، وطالوت ليس من العائلة المالكة، وشخصيّة القيادة العسكريّة لا بدّ أن تكون منبثقة من داخل المعارضة وأن تمتلك صفّاً معارضاً حتّى تمتلك القدرة المالية من الأفراد المعارضين لتدبير أمورهم القتالية وغيرها ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾،

وطالوت لا يمثل إلا نفسه فهو لم يمتلك القدرة المالية التي تسع احتياجات الشؤون العسكرية وما يحتاجه القتال وإن كان غنياً على قدره، فتكون النتيجة ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ﴾، لخبرتنا القتالية، ونحن الذين نمثل المعارضة، ونحن الذين نمثل الأفراد المقاتلين، ونحن الذين نمثل القدرة المالية لسد حاجات الشؤون العسكرية، ونحن من العائلة المالكة وغيرها، فأجابهم النبي:

أولاً: إذا كنتم قد قرّرتم الرجوع إلى الدين وأن يكون هو الفصل بينكم وأنكم تريدون كل ذلك في سبيل الله ومن الله فيها هو الله قد عيّن واختار لكم طالوت ملكاً ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾، وما عليكم إلا التسليم لحكم الله باعتباركم متديّنين مؤمنين وقد قرّرتم الرجوع إليه كما هي بنود بيانكم الختامي.

ثانياً: إذا كنتم لا تعلمون إلا الظاهر وأن طالوت لم يعرف بالمعارك ولم يُعرف أنه من صفوف المعارضة فإنه يمتلك العلم في هذا الشأن القتالي، وعلمه نابع من تجربة، وعدم الإعلان عن عمله لا يعني أنه لم يعمل، بل والأكثر من ذلك أنه يمتلك الزيادة على ما تمتلكه قياداتكم العسكرية من فنون القتال وإدارتها واللياقة البدنية اللذان هما عمادا القتال وعمادا القتال بالسيف ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾، فالله عندما يعين فتعيينه صادر عن علم وحكمة ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَةً مَن يَشَاءُ﴾، وأن الله جنوداً لا نعلمها، ولكن الله يعلمها على حقيقتها ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

ثالثاً: أن الهدف من أنكم تريدون قائداً عسكرياً هو أن يوصلكم إلى النصر وفتح البلاد والقضاء على جالوت وأن تكون الحاكمية بيد الدين وأهل الدين، وأنا أقول لكم: إن طالوت سينجز هذه المهمة ﴿وَإِنَّ آيَةَ مَلِكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

دخلت القناعة إلى قلوبهم وأفكارهم من جواب نبيهم وأخذ طالوت ينظم صفوف المقاتلين وأخذت التدريبات تنتشر في المعسكرات حتى جاء وقت قرار الخروج من مقراتهم فخرجوا كلهم تحت إمرة طالوت وأخذوا يسرون حتى ابتعدوا عن مكان تجمعهم ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾، وأخذ يسير بهم عدة ليالي حتى أوقفهم طالوت قبل أن يصلوا نهراً يعلم به طالوت وهو بإمكان العبور منه إلى الطرف الآخر وكان الجو حاراً وهم عطاشى فأوقفهم وقال لهم: ﴿قَالَ إِنْ لَاحَظْتُمْ مَاءً فَمَا شَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ لَا يَأْتِيَنَّ هَذَا النِّهْرَ وَمَنْ أَشْرَبَ مِنْ شَرْبِ مِيٍّ إِلَّا مَنِ امْتَحَنَ وَلَا يَأْتِيَنَّ هَذَا النِّهْرَ فَمَنْ لَمْ يَمَسَّ يَدًا فَلَيْسَ بِيٍّ إِلَّا مَنْ ابْتَلَاهُ فَمَنْ لَمْ يَمَسَّ يَدًا فَلَيْسَ بِيٍّ إِلَّا مَنْ ابْتَلَاهُ فَمَنْ لَمْ يَمَسَّ يَدًا فَلَيْسَ بِيٍّ إِلَّا مَنْ ابْتَلَاهُ فَمَنْ لَمْ يَمَسَّ يَدًا فَلَيْسَ بِيٍّ إِلَّا مَنْ ابْتَلَاهُ﴾، أي أننا سنمر على هذا النهر وهو محل عبورنا إلى الطرف الآخر وأن هنا امتحاناً لكم لنعلم الصابرين منكم والطائعين لله وأوامره والمخلصين له، فمن تناول منه وشرب حتى ارتوى فسوف يرجع إلى مكانه ولم يلتحق بي ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾، ومن لم يشرب منه أو تساقطت عليه قطرات من الماء على فمه أو هو تناول ليلال بها شفثيه ولسانه بحيث لم يحس بطعم الماء فهو لاء يلتحقون بي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾، ومن أخذ العطش حتى عرف منه غرفة واحدة بيده لم يرتو منها ولم ترفع عطشه فهو كذلك يلتحق بي ﴿إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾، وقد سمع الكل هذا النداء وتفصيلاته وغايته، وهام قد وصلوا النهر وكلهم نزلوا فيه في ذلك الجو الحار وهم على عطشهم وقد ملك اشتها الماء أغلب النفوس، وهذه هي النتيجة ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾.

طرد طالوت كل من شرب منه وأرجعهم إلى مقراتهم، وأبقى القليل الذين لم يتناولوا منه أو تناولوا مقدار الغرفة فقط، وسار طالوت بهم ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾.

وفي أثناء الطريق تحدث بعض الهموم وبيوح البعض عما يفكر به وما تختلج

به نفسه، ومن جملتها: أن البعض الذي قد يكون من الذين اغترفوا غرفة عندما شاهد هذه القلة القليلة الباقية مع طالوت مع معرفته بقوة جالوت وعدد جنوده أخذ الخوف والتلق يراودهم بإمكانيتهم على الفوز والنصر حتى ظهر هذا الشعور على ألسنتهم ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾، فأجابهم أصحاب الدرجات العليا من الإيمان المملوءة قلوبهم وباليقين بوجود اليوم الآخر وأنهم ملاقور ربهم في هذه المعركة وأنهم لا يفصلهم عن لقاء الله إلا هذه المعركة، فكلما اقتربوا منها فإنهم يقتربون إلى الله ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾، وقد يكون هم أولئك الذين لم يأخذوا حتى غرفة واحدة من ذلك النهر، وكان جواباً عظيماً وهم على قلتهم العددية وقرب وصولهم إلى العدو من جبروت جالوت وجنوده، ففي تلك الحالة قالوا: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، مما يبعث أعلى درجات العزيمة والطمأنينة والثبات في قلوب المقاتلين في ذلك الظرف والوقت العصيب الذي يحتاج فيها المقاتل إلى أقل من هذه الكلمات، وكان جوابهم نابعاً من الواقع الذي عرفوه من التأريخ، فهم يستشهدون بفئات إيمانية قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله وليست قضية احتمالية، وهذا ما يجعل السامع لها يؤمن ويدعن من دون شك ويكون أوقع في التأثير في نفوسهم.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «وقال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾، فشرّبوا منه إلا ثلاثمائة وعشر رجلاً، منهم من اغترف، ومنهم من لم يشرب، فلما برزوا لجالوت قال الذين اغترفوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، وقال الذين لم يغترفوا: كم من

فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله»^(١).

سار ذلك القليل من المؤمنين إلى الأمام وفي أثناء سيره مرَّ الركب على راعٍ للأغنام حطّوا إلى جانبه، وكان الراعي (إريشا) شيخاً كبيراً له أولاد كثيرون يبلغون العشرة، وبعد أن عرف ما هم سائرون عليه قدّم لهم الخدمات التي يتمكّن عليها، أحبّ أن يشاركهم القتال ولكنهم أرجعوه لأنّه كان رجلاً كبيراً لا يقدر على المشاركة معهم، فانبرى أصغر أولاده (داود) وكان حدث السنّ ليقول لهم: خذوني معكم فإنّي لديّ مقدّاة ما قذفت بها حيواناً يهجم على غنمي إلّا صرعته، ونصحهم الأب هو الآخر بأن يأخذوه معهم عسى أن ينفعهم، وفعلاً قبلوا بذلك، وفي أثناء سيره معهم تناول ثلاثة أحجار وأدخلها في مخابئه، واقترب الجيش المؤمن وأشرف على بلاده، وحتى التقى الصفان ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾، وهم يتوكلون على الله في قتالهم وألستهم تلجج بالدعاء بطلب أن يفرغ عليهم صبراً لأنهم بأشدّ الحاجة إليه حيث كانوا يتمنون المواجهة وها هي جاءتهم، فلا يريدون أن يدعوا لأنفسهم ولو فرصة واحدة للتراجع فيريدوا من الله أن يفرغ عليهم الصبر إ فراغاً لا يترك فرصة إلّا وقد ملأها عليهم بالثبات دون هزّة في القلوب، وهم يقاتلون بكلّ ثبات وصبر يطلبون النصر منه سبحانه لعلمهم أنّ النصر لا يكون إلّا من عنده ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

اشتبكت السيوف والرماح واختلط الجيشان بمقاتليهم وخيولهم وهاهي القتلى تظهر من الطرفين، وهم يقاتلون، وداود الصغير بين المقاتلين وحصونهم ينتقل من مكان إلى آخر يبحث عن رأس الأفعى والفتنة والشرك حتّى عثر عليه وهو

متحصن بين جلاوزته وحرسه وظاهر جبروته وهو جالس على كرسي مملكته المستقر على الأرض أو على ظهر الفيل تحيط به الزينة من كل جانب وهو يرتدي على رأسه تاج الملوكة المملوء بالدرر الملوثة الثمينة، وداود لم يلتفت إليه أحد لصفه وهو ملتفت إليهم بكل حذقة ليعين ضربته المؤثرة وقد... وقع نظره على تاج جالوت وعلى المنطقة التي تغطي جبهته ليكون هدفه.

انتظر داود حتى نهض جالوت من كرسيه ووقف على حافة العرش أخرج داود حجارة واحدة من مخلايته ووضعها في مقذافته وما هي رمية واحدة أن وقعت على درة تاجه الكبرى فتكسرت في وجهه وأدمت عينيه وأخذ لا يرى طريقه وما هي إلا لحظات حتى سقط جالوت من أعلى شرفته أو من على ظهر الفيل إلى الأرض وسبب هذا السقوط الهزيمة الكبرى للجيش الجالوتي عندما صاحوا قدامات الملك جالوت، وكان الانتصار للإيمان وللمؤمنين ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾.

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

وإنكم إن تستصغروا عمر داود فلا تستصغروا شخصيته فإنه نبي المستقبل وسيكون هو الملك للبلاد ومنه تستقي الناس العلم ﴿ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾.

هذه هي نتيجة القتال، وهذا هو الهدف الذي يتوخاه الله عندما يدفع الناس للقتال ويفرضه عليهم، ولولا هذا النوع من الدفع لبقى الظالمون ولتوسعت رقعتهم في الأرض ولفسدت الأرض من وراء أعمالهم الفاسدة، ولكن الله ذو فضل على العالمين في أنه يريد أن يخلصهم من الظالمين ضمن أسبابه الطبيعية ﴿ وَأُولَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾.

س: لماذا ذهبوا إلى النبي؟

ج:

دليل لجوئهم إلى الله وإلى دينه بعد أن ابتعدوا عنه عملاً وربما فكراً وشاهدوا أن الابتعاد عنه لا يجزئ عليهم إلا الذل والاستعباد وزيادة في ظلم الظالمين، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «أن بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام عملوا المعاصي وغيروا دين الله وعتوا عن أمر ربهم، وكان فيهم نبي يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوه، فسأط الله عليهم جالوت ...»^(١).

س: ماذا نقل التاريخ عن شخصية طالوت؟

ج:

كان أحد الشخصيات المعروفة من بني إسرائيل، من ولد بنيامين بن يعقوب، سمي طالوت لطوله وضخامة جسمه فهو أطولهم من كتفه، كان جميلاً، ويعمل في الدباغة أو السقاية، كان شجاعاً وعالماً، يُدعى المختار لاختيار الله إليه أن يكون ملكاً، اسمه في العبرية شاؤول، وكان ورثاً لأبيه فكان يمتلك المال.

س: ما هو التابوت وما هي قصته ولماذا طرحه النبي كعلامة وآية؟ اذكر المحتمل في ذلك.

ج:

أنه صندوق خشبي صنعه حزقيال النجار لموسى الذي وضعته به أم موسى عندما كان موسى رضيعاً، ولما أخذت امرأة فرعون الرضيع موسى بقي الصندوق

(١) تفسير القمي ٨١:١.

في قصر فرعون إلى أن انتقل إلى بني إسرائيل، وقرب وفاة موسى ﷺ أوصى به إلى يوشع بن نون وسلّمه الصندوق بعد أن وضع فيه رصاص التوراة وبعضاً ممّا كان يختصّ به موسى وهارون من الخاتم والسلاح، وصار هذا الصندوق ذا قيمة معنوية عالية عند بني إسرائيل يتبرّكون به وأنه يذكرهم بعزّهم واستقلالهم والجهود التي بذلها الأنبياء من أجل الله ودينه فهو موضع افتخارهم، وقد شاهدوا فيه الكثير من الكرامات والخير بوجوده معهم فهم يأخذونه معهم في المواقف الصعبة ليزدادوا قوّة ومعنويّة وسكينة، وحتى أعدائهم كانوا يهابونهم مادام الصندوق معهم وموجوداً عندهم، وعندما تسلّط الحكّام الجائرون على بلادهم أخذوا هذا الصندوق واحتفظوا به عندهم ممّا ولد الشعور بالتذمّر عند بني إسرائيل وأنهم يتمنّون رجوعه إليهم، فمادام الصندوق بيد أعدائهم فهم يشعرون بالهزيمة والذلّة والانكسار، ولهذا طرح النبي هذه العلامة ليؤكد النصر على يد طالوت ويبشّرهم برجوع التابوت إليهم، وقد حاول الحكّام الظلمة أن يتجرّؤوا على هذا التابوت ليحرقوه أو يكسروه أو يضيّعوه بعيداً، ولكنهم لم يتمكنوا؛ لأنّه كان بحفظ الله بواسطة ملائكته وهو معنى ﴿تَحْمِيلَةُ الْمَلَائِكَةِ﴾ أي تحفظه.

س: ما هو المحتمل لما هو المراد من السكينة؟

ج:

أنّ السكينة هي كما قلت، فمادام التابوت معهم فهم يسكنون إليه ويزرع في قلوب بني إسرائيل الطمأنينة ويعمّق في قلوبهم الإيمان بالله وهم يشاهدون منه الكرامات، بل وربما المعاجز، وما ورد عن أهل البيت يؤكّد هذا المعنى، ورد عن

الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «السكينة الإيمان»^(١)، ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «السكينة ربح من الجنة لها صورة كصورة الإنسان، وروائح طيبة»^(٢)، ورد عن يونس عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: قلت: جعلت فداك، ما كان تابوت موسى وكم كان سعته؟ قال: «ثلاث أذرع في ذراعين»، قلت: ما كان فيه؟ قال: «عصا موسى والسكينة»، قلت: وما السكينة؟ قال: «روح الله، يتكلم، كانوا إذا اختلفوا في شيء كلمهم وأخبرهم ببيان ما يريدون»^(٣).

س: لماذا النبي وطالوت يستعملون كلمة الله ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

- ١- أن الله يوحى إلى النبي والنبي ينقل ما أوحى إليه إلى طالوت.
- ٢- أن النبي عندما يقرر شيئاً فهو قرار تابع من كتاب الله وضمن الموازين الشرعية وكونه نبياً، فما يصدر منه يمكن أن يسنده إلى الله، وكذلك يمكن لطالوت أن يسنده إلى الله باعتبار أنها أوامر قد أخذها من النبي.
- ٣- أن تصريح النبي وطالوت لهم بأنه من الله حتى يؤكدوا دينية الحركة، وليعمقوا الالتزام بما يصدر منهم في نفوسهم، وليعرفوا قيمة الالتزام بالدين عندما يأتي النصر.

س: متى كان الوعد بأن يأتيهم طالوت بالتابوت؟

(١) الكافي ٢: ٣/١٥.

(٢) الكافي ٣: ٤٧١/٥.

(٣) معاني الأخبار: ٢/٢٨٤.

ج:

بعد أن يدخل المعركة وينتصر فيها ويصبح طالوت في البلاد ملكاً عليها ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ أي عندما يمتلك الحكم ويصبح ملكاً.

س: ما اسم هذا النهر وأين يقع؟ اذكر الاحتمالات في ذلك.

ج:

١- نهر ما بين الأردن وفلسطين.

٢- نهر فلسطين.

س: هل استقر طالوت في الملك؟ اذكر المحتمل في ذلك.

ج:

١- أن طالوت قد استقر في الملك وأصبح هو الملك للبلاد ولما توفي أصبح داود ملكاً عليها.

٢- أن داود الفتى أصبح هو الملك بالانتخاب وأن طالوت قد انزل واستقال لانتهاه مهنته.

س: لماذا ابتلاه الله بالنهر؟

ج:

عندما يكثر المدعون لنصرة دين الله فإن هذه الكثرة لا تخفى على الله وما موجود فيها من الظالمين، فهنا تارة يترك الله حركة السير بهذا النوع من المشتركين لضرورة كما هي بعض غزوات الرسول ﷺ وأن فيهم من المنافقين ويؤجل حسابهم إلى يوم القيامة، وتارة يتدخل الله في الدنيا في تطهير المشتركين من العناصر غير المرغوب بها ويصفي العدد للمؤمنين فقط، وعلة هذا النوع من التدخل له احتمالات

منها:

١- أن المشاركة كانت تمثل دين الله ولا يمثل دينه إلا المؤمنون، فكان لا بد من تصفية العناصر غير المؤمنة.

٢- لكشف زيف المدعين أمام جمهورهم ومؤيديهم حتى يتراجع عنهم المغتر بهم.

٣- حتى يعطي الدرس لنا في ألا نفتتر بكل من رفع صوته إلى جانب المؤمنين وادعى نصره الدين، فإنه حتى الأفراد الذين يصلون إلى ساحة المعركة فيهم من هو خارج عن دائرة الدين والمتدينين ومن الطامعين الذين ينتهزون الفرص.

٤- حتى يعطي الدرس للقادة المتصددين للشؤون العسكرية بأن العدد ليس هو المقياس بقدر نوعية المقاتل، فإن القتال يحتاج إلى صبر وثبات لأهواله الصعبة، ومثل هذه المواقف لا يتحملها إلا المؤمنون الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم، وأن غيرهم معرض للهزيمة التي تهزم المقاتلين روحياً إن حصلت منهم الهزيمة.

٥- حتى يعطي الدرس للمجاهدين في أن يجاهدوا أنفسهم قبل أن يجاهدوا بأسلحتهم، فإن طريق الجهاد المسلح فيه العطش والجوع وفيه هتك الأعراض وفيه سلب أموال الناس، فيجب على كل مجاهد أن يعرف ما تتحمّله نفسه، فإذا كان بالأمس قد قال لهم طالوت وصرح لهم بالابتلاء في ذلك المكان فإن اليوم تصریح القرآن يُسمع كل المجاهدين في العالم بأنكم في كل شبر من الأرض معرضون للابتلاء وعليكم بتقوى الله في كل حركة تتحركونها.

س: لماذا قال: ﴿وَمَنْ لَمْ يُطْعَمْهُ﴾ ولم يقل: (ومن لم يشربه)؟

ج:

ومن لم يطعمه أكثر صدقاً وواقعية ودقة من التعبير الثاني؛ لأن مرورهم عبر النهر يستدعي من غير قصد أن يدخل الماء في فمه نتيجة هرولة الجياد أو نتيجة الحركة غير المنتظمة التي تستدعي السقوط في الماء لكونها حركة في نهر حيث لم توجد جسور عبور آنذاك إلا البسيطة منها، وعليه أنه قد لا يتخلّص المقاتل من دخول الماء في فمه من دون قصد، فعليه أن يلفظه حتى لا يجد طعمه.

س: ماذا تعني قلة المؤمنين في قوله تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ﴾؟

ج:

قلة المؤمنين وعدّتهم قياساً إلى عدد أعدائهم وعدّتهم، وهو من الأمور التي تختلف من حالة إلى أخرى ومن زمان إلى آخر، فإذا كان عدد أفراد الأعداء مثلاً عشر ملايين فيكون عدد المؤمنين الأقل هو خمسة ملايين أو أقل من ذلك قليلاً أو أكثر من خمسة ملايين، ولهذا عندما وصف بنو إسرائيل أنفسهم بالقلة نسبة إلى عدد جنود جالوت وإن كانوا في أنفسهم كثيرين، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا﴾ أنه قال: «كان القليل ستين ألفاً»^(١).

س: لماذا جعل الله قتل جالوت على يدي داود وبواسطة الأحجار؟ اذكر المحتمل في ذلك.

ج:

- ١- لتجري الأمور ضمن القانون الطبيعي لا ضمن قانون المعجزة.
- ٢- الحاكم الظالم مهما أوتي من قوة فهي لا شيء أمام القدرة والقوة الإلهية، وأن

(١) تفسير العياشي ١: ١٣٢/٤٣٨.

المؤمنين لا بد أن يؤمنوا بهذه الحقيقة بكل عمق بحيث تمتزج مع عمق أفكارهم وقلوبهم حتى لا يستسلموا إلى قرارات ووجود إلى ما ظاهره وبما يسمونه بالقوى العظمى في العالم، فمادام النصر من عند الله فعليهم أن يتمسكوا بطريقتهم المثلى في الإيمان والالتزام بما يؤمرون به، وما هذه القوة العظمى إلا بدد أمام قوة الله، وهاهم قلّة المؤمنين من بني إسرائيل وهم يرون قلتهم والقوى العظمى لجالوت، ولكن عندما ثبتوا وصبروا في سبيل الله وتوكلوا عليه بكل إخلاص غير الله الواقع بالاتجاه المعاكس تماماً في تلك اللحظة التي يرى فيها بنو إسرائيل القوة العظمى تنهار بأبّ أعينهم من خلال حجارة عادية وبيد طفل صغير، هكذا تكون القوى العظمى عندما يقرّر الله النصر، وبهذه السرعة تتغير الأمور عندما يقرّر الله نصره، وبهذا المستوى الإيماني يجب أن يتحرك المؤمنون، وبهذه النظرة يجب على المؤمنين أن ينظروا إلى القوى العظمى.

٣- التمهيد لمعرفة داود لما له الدور بعد طالوت.

س: ما هو المحتمل من المراد من قوله تعالى: ﴿بَلِّغْ آيَاتِ اللَّهِ نَتَلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾؟

ج:

أنها كالأخاتمة للقصة التي تلاها الله على الرسول ﷺ في أنها تلاوة حق ونقل صدق وتسليّة له وتذكّرة لكونه من المرسلين فيحتاج إلى مثل هذه التسليّة ومثل هذا الزخم الفكري والطرح التاريخي من الله، ولما نحتاجه نحن من الدروس والعبر ونحن نسلك طريق الله والإيمان به، وفي الآية توطئة للآيات الآتية كذلك، فهي وسط بين السابق واللاحق من الآيات.

س: ما هو نوع الدفع الذي يدفع الله به الناس في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ

الله النَّاسُ؟

ج:

- ١- الدافع التكويني الفطري الذي يدفع الناس إلى جلب النفع ودفع الضرر.
- ٢- الدافع التشريعي الذي يدفع المؤمنين إلى نشر دعوتهم والدفاع عنها كتشريع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ لِيَدْفَعُ بَيْنَ يَصَلِّيٍّ مِنْ شِيعَتِنَا عَمَّنْ لَا يَصَلِّيُّ مِنْ شِيعَتِنَا، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ هَلَكُوا. إِنَّ اللَّهَ لِيَدْفَعُ بَيْنَ يَزْكِيٍّ مِنْ شِيعَتِنَا عَنِ الَّذِي لَا يَزْكِيُّ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى تَرْكِ الزَّكَاةِ هَلَكُوا. وَإِنَّ اللَّهَ لِيَدْفَعُ بَيْنَ حَجٍّ مِنْ شِيعَتِنَا عَمَّنْ لَا يَحُجُّ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى تَرْكِ الْحَجِّ هَلَكُوا...»^(١).



مركز تحقيقات کامپوٲر علوم اسلامی

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (البقرة: ٢٥٣)

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا... وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾؟

ج:

- أولاً: (تلك) اسم إشارة للبعيد، واستعمال البعيد بدلاً من القريب للاحترام والتضخيم، والمشار إليه هنا فيه احتمالات ثلاثة هي:
- ١- مَنْ تَقَدَّمَ ذَكَرَهُمْ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ.
 - ٢- مَنْ تَقَدَّمَ ذَكَرَهُمْ فِي جَمِيعِ الْقُرْآنِ.
 - ٣- كُلِّ مَنْ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ كَرْسَلًا.

ثانياً: (الرسُل) الرسل جمع رسول، والرسول هو النبي الذي يحمل الرسالة من السماء كإبراهيم وموسى وعيسى ورسولنا الأكرم ﷺ، والمشار إليه هنا هو جميع الرسل.

ثالثاً: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾

عملية التفضيل: هي عملية تمييز أحد الطرفين عن الآخر بالأرجحية، وهي قد تجري بلحاظ جهة واحدة فقط من دون النظر إلى الجهات الأخرى، كأن يكون

أحدهما أقوى من الثاني فقط، وقد تجري بلحاظ عدّة جهات كأن يكون أحدهما أقوى وأعلم وأكثر نشاطاً وأكثر صحّة وعبادة من الثاني، وعملية التفضيل قد تجري بين الأفراد ولكن لا تجري إلا بلحاظ الصنف؛ لأنّ كلّ فارق بين فردين لا يرجع إلى ذاتهما لأنّ الذات واحدة في الجميع، فمرجع التفاضل لا بدّ أن يرجع إلى الصنف كأن يكون أحدهما مريضاً والآخر صحيحاً أو أحدهما عالماً والآخر جاهلاً أو أحدهما فقيراً والآخر غنياً ... وهكذا، فإنّ كلّ فقرة من هذه الفقرات ترجع إلى صنف من أصناف الناس هو أفضل من الصنف الآخر. وقد يجري التفاضل بين فردين بلحاظ الصنف الواحد كأن يكون الاثنان علماء ولكن أحدهما أفضل من الثاني لكونه أكثر علماً من الآخر، وقد يجري التفاضل بين نوعين كأفضلية الإنسان على الحيوان، وقد يجري التفاضل بين جنسين كأفضلية الحيوان على النبات. والتفضيل بين الرسل هو من النوع الثاني أي هم كلّهم من صنف واحد وهو صنف الرسل ولكن التمايز بينهما من ناحية الأكثر فقط، وهذه الأكثرية التي كانوا عليها في الدنيا لها عدّة احتمالات منها:

- ١- أن يكون أحدهما أفضل من الآخر بلحاظ الناحية العلمية.
- ٢- أن يكون أحدهما أفضل من الآخر بلحاظ الاستعداد والقبول والتحمّل الأكثر لما يأتيه من الله.
- ٣- أن يكون أحدهما أفضل من الآخر بلحاظ قد خصّه الله بالتكليم دون غيره أو بتأييده بروح القدس دون غيره أو جعله إماماً دون غيره.
- ٤- أن يكون أحدهما أفضل من الآخر بلحاظ تحمّله الأكثر للأذى الذي يتلقاه من الناس.

٥- أن يكون أحدهما أفضل من الآخر بلحاظ الصلاحيات الأكثر المناطة له من قبل الله.

٦- أن يكون أحدهما أفضل من الآخر بلحاظ نوع الرسالة التي يحملها بما فيها ومدّة تأثيرها ومدى تأثيرها.

٧- أن يكون أحدهما أفضل من الآخر بلحاظ نوع التابعين له.

٨- أن يكون أحدهما أفضل من الآخر بلحاظ فهمه لله.

٩- أن يكون أحدهما أفضل من الآخر بلحاظ رتبة ارتباطه بالله.

١٠- أن يكون أحدهما أفضل من الآخر بلحاظ بقاء التأثير في الحياة إلى ما بعد الموت.

رابعاً: ﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾

التكليم: هي عملية إيصال مراد المتكلم إلى المخاطب وتفهمه عن طريق النطق بالألفاظ وتلقى الألفاظ على المخاطب عن طريق حاشية السمع، وقد تكون بالمباشرة من قبل المتكلم وقد تكون بواسطة متكلم آخر كالوحي، وفي خطاب الآية هذه تميّزت الأفضلية بلحاظ التكلم لكون المتكلم مع الرسول هو الله وهي ميزة ما أعظم أفضليتها لعظمة المتكلم، وأن أفضلية التكلم من قبل الله تميّز عن غيره عندما يكون التكلم بالمباشرة؛ لأن غير المباشرة يشترك فيه جميع الرسل وحتى الأنبياء، والذي اختص بالتكلم المباشر هو موسى عليه السلام، والرسول محمد عليه السلام عند المعراج ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى • فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ (النجم: ٨-٩)، ولا يعني بالمباشرة من قبل الله هو التجلي الذاتي، بل هو نوع من تجلي القدرة الذاتية التي هي صورة من صورها أن تظهر في الكلام الذي هو من صفات فعله لا ذاته الذي لا يعلم نوعه إلا الله،

فقدرته لم تنحصر بنوع واحد من التكلم بحيث ليس لها إلا طريق واحد، بل قدرته سبحانه وتعالى مطلقة ومتعددة والتي منها أن كلم الله موسى بصورة مباشرة دون أن تتجلى ذاته.

خامساً: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾

١- هذه الرفعة من الدرجة إما عند الله أو في الآخرة في الجنة، حيث لازم التفضيل ببعض ما ذكرناه في النقطة الثالثة أن تكون هناك درجات بين الرسل من حيث الأقرب عند الله أو من حيث علو الدرجات في الجنة، ﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٦٣).

٢- أن يراد بها خصوص الرسول ﷺ ورسالته باعتبارهما يمثلان أرفع الدرجات لكونه خاتم الرسل ولكون رسالته خاتمة الرسالات وأكملها.

سادساً: ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾

١- من مختصات عيسى ﷺ البيئات والدلالات الواضحات والمعاجز الظاهرات منها، إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وخلق الطير، ونزول المائدة من السماء.

٢- من مختصات عيسى ﷺ قد أيده الله وقواه ونصره بروح القدس الذي هو جبرئيل أو ما هو أعظم منه.

٣- أن ذكر هذه المختصات لبيان بعض المفردات التي ميّزته بالأفضلية عن غيره من الرسل.

سابعاً: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَيَنْهَمُ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾

١- الاختلاف الحاصل بين الرسل هو في درجة الفضيلة العليا التي لا يصل إليها إلا المعصوم، فلا اختلاف بينهم لو اجتمعوا جميعاً لعصمتهم، ولا يختلفون في نظرهم لأي واقعة من وقائع الحياة؛ لأنهم يحكمون على الواقع وأنهم يرون حكمه الواقعي المكشوف لديهم بما هو عند الله، وعلى هذا فهم لم يتركوا للناس خطأ لا في الرسالة باعتبارها من الله وأنهم أمناء الوحي، ولا في شرح الرسالة؛ لأنهم مطلعين على واقعها بما ألهمهم الله من العلم، ولا في أجوبتهم على السؤال من الأحكام؛ لأنهم مطلعين على الأحكام الواقعية، ولا ينقلون خطأ في الفعل والسلوك لأنهم معصومون، ولما لم يتركوا خطأ في هذه الاتجاهات معناه لم يتركوا ما يسبب الاختلاف بين الناس سواء للمعاصرين

لعصر الرسالة والرسول أو للغائبين عنه.

٢- الاختلاف يحصل عند الناس غير المعصومين، وهذا الاختلاف على نوعين: الاختلاف السلبي والذي ^{يحتل حيزاً انحرافية قد تسبب إلى أن يصل} المختلفون إلى القتل والقتال، وسبب هذا النوع من الاختلاف هم الناس أنفسهم سواء كان في عصر الرسالة والرسول أو فيما بعدهما، حيث نجد ما من مجتمع إلا وهو ينقسم إلى قسمين «فِيْنَهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ»، وكل من سبب هذا النوع من الاختلاف ليس له عذر؛ لأن اختلافه حاصل بعد ما جاءتهم البينات والدلائل الواضحات والحجج البالغات فلا معذرية له أمام الله.

والنوع الآخر: الاختلاف الإيجابي والذي لا يعبر عن حالة مرضية وإن كان في بعض الأحيان تكون نتيجته سلبية، وهذه الحالة سببها الناس من أصحاب القسم الأول الذين لعبوا في التأريخ وشوهوا الحقائق وحرّفوا الكلم عن

مواضعه ممّا جعل بعض التشويش في بعض الحقائق، والإنسان مأمور بالظاهر وبما وصلت إليه من الحجج، وغير مطلع على الواقع كما هو المعصوم، فنشأ الاختلاف في هذا البعض، فهو اختلاف يستند على حجة إلا أنها حجة ظاهرية، ولهذا يكون معذوراً أمام الله إن حصل الخطأ في النتيجة، وهذه الحجة الظاهرية تنقطع بوجود المعصوم لإمكان أخذ الحكم الواقعي منه، وتبقى سارية المفعول مع انقطاعه.

ومن كلّ ما مرّ نعرف لماذا الاختلاف من بعد الرسل ومن بعد ما جاءتهم البينات ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾.

٣- أن الاختلاف الحاصل قد جاء بعد مجيء البينات وأن سببه الناس أنفسهم، وهذا يعني أن سببه هو بمحض اختيارهم ولا دخل لله فيه فلا جبر عليهم.

ثامناً: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾

- ١- ولو شاء الله أن يجعل الناس كلهم معصومون على مستوى الرسل ما اقتتلوا.
- ٢- ولو شاء الله أن يجعل القابلية التكوينية للطاعة كما هي مفردات الكون ما اقتتلوا.
- ٣- ولو شاء الله أن يتدخل مباشرة في أن يمنع الذي يسبب الاختلاف لقدرته بنوع من المنع المناسب ولم يبق إلا طرف واحد وهو الطرف الموافق ما اقتتلوا.
- ٤- ولكن شاء الله أن تجري الأمور ضمن أسبابها الطبيعية المنسجمة مع كون الإنسان يحمل الفجور والتقوى ليمتيز الخبيث من الطيب، وشاء الله أن يمهل الجميع في الدنيا إلى حساب الآخرة، وهذا هو الذي يريد الله من الإنسان، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾؛ لأنه سبحانه وتعالى لو تدخلت قدرته الخاصة في كلّ شيء لتجمدت الحياة.

س: لماذا صرّح الله باسم عيسى ﷺ ولم يصرّح بأسماء الرسل في هذه الآية؟ اذكر المحتمل في ذلك.

ج:

- ١- أن يكون ردّاً على اليهود الذين لا يؤمنون بنبوة عيسى ﷺ ولم يحترموا ذكره.
- ٢- أن يكون ردّاً على النصارى الذي يدّعي البعض منهم بالوهيته.

س: لماذا ذكر الله موسى وعيسى ومحمداً ﷺ تصرّيحاً وتلميحاً دون غيرهم من الرسل؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

- ١- ذكرهم على سبيل المثال لا الحصر.
- ٢- لبقاء التابعين لهم من اليهود والنصارى والمسلمين دون غيرهم، وأنّ صراع الأديان والافتتال جارٍ ومنحصر بين هذه الفئات الثلاثة.
- ٣- لوضوح المعاجز التي حصلت على أيديهم والتي لها دلالات لا تقبل الشك كوجود عالم الغيب وبيان قدرته وارتباطهم بالله.
- ٤- أنّ عنصر الغلو والتأليه قد دخل إلى التابعين لهؤلاء، فإله ذكرهم ليؤكد ارتباطهم بالله وأنّ كلّ ما يصدر منهم هو منه سبحانه، وبهذا يؤكد إنسانيتهم.

س: لماذا تكلم الله عن موسى بضمير الغائب ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ﴾، بينما تكلمه عن عيسى بضمير المخاطب ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى﴾، ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

أولاً: ضمير الغائب في مثل هذه المواقع يكون أبلغ وأوقع للنفس، فهذه العبارة تشعر بالفخامة والعظمة والشرف الرفيع حيث ﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾ فهي أكثر تأثيراً وعلواً من و ﴿ كَلَّمْنَا مُوسَى ﴾ مثلاً.

ثانياً: ضمير المخاطب لعيسى فيه دلالات وفوائد منها:

- ١- الضمير عائد للإيتاء الذي فيه دلالة عظيمة المؤتي به؛ لأن الله أسنده إلى نفسه.
- ٢- لبيان أن كل ما أوتي به عيسى هو من عند الله، فلا تقفوا في الغلو فيه أيها النصارى.
- ٣- تأكيد نبوته من قبل الله، فلا تتكروها أيها اليهود.

س: في أثناء تفسيرك لمقاطع الآية وفي النقطة الخامسة في توضيح قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾، حيث جعلت الاحتمال الثاني أن يكون هذا الخطاب مختصاً بالرسول ﷺ، وضح ذلك مع بيان الأدلة على ذلك.

ج:

أن وضع الرسول ﷺ كمصداق لهذا المقطع من الخطاب شيء حتمي؛ لأن التعبير بالدرجات لا يخلو عن أقسام ثلاثة: أعلى، وأوسط، وأدنى، وأن الرتب أو المساواة تقع ضمن الأقسام الثلاثة، فإذا كانت مجموعة قد دخلت في الأعلى مثلاً، فإما أن يكون بينهما رتب أو مساواة، وفي اعتقادنا كمسلمين أن الرسول محمد ﷺ قد حاز على القسم الأول من الدرجات وعلى أعلى الرتب من بين الأنبياء والرسل فلا يساويه أحد من الأنبياء والرسل، وهذا ما نستنتجه من الأمور التالية:

- ١- جعله الله خاتم الأنبياء، وهذه الميزة جعلها الله ميزة فخر واعتزاز اختص بها

- الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤٠).
- ٢- جعل معجزته هي الخالدة وهي التي تبقى دون معاجز غيره، وأنها من نوع العلم المفتوح على كل الناس ولا تنحصر بالمشاهدين والمعاصرين.
- ٣- جعله الله رحمة للعالمين التي تستلزم أفضليته على العالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.
- ٤- قرن الله الرسول ﷺ بنفسه في أمهات الأمور، منها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ (الفتح: ١٠)، ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠)، ﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ (المنافقون: ٨)، ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ (التوبة: ٦٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ (الأنفال: ٢٤).
- ٥- جعل دينه خاتم الأديان، فهو ناسخ لما قبله، وهذا يعني أن يتبع الناس جميعاً إلى يوم نهاية الحياة دين الرسول ﷺ وأقواله وأفعاله وتقريره، وأما العلاقة مع من سبقه من الأنبياء والرسل هو الإيمان بهم فحسب.
- ٦- أقرار الرسول ﷺ في أنه سيد الأنبياء والرسل، وقد وردت روايات كثيرة عنه في ذلك منها: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»^(١)، «أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أوّل شافع وأوّل مشفع ولا فخر»^(٢)، «أنا أوّل الوافدين على العزيز الجبار يوم القيامة»^(٣)، «إن كان إبراهيم خليله فأنا حبيبه»^(٤)، «إني كنت أوّل من آمن بربي وأوّل من أجاب حيث أخذ الله ميثاق

(١) إرشاد القلوب ٢: ٢٣١.

(٢) كنز العمال ١١: ٤٠٤/٣١٨٨٣.

(٣) الكافي ٢: ٦/٦٠٠.

(٤) الاحتجاج ٥٦.

- النَّبِيِّينَ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ، كُنْتُ أَنَا أَوَّلَ نَبِيٍّ»^(١).
- ٧- جعل أمته خير الأمم، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠).
- ٨- منحه الله المقام المحمود، ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ (الإسراء: ٧٩).
- ٩- صلاة الله الدائمة وصلاة ملائكته وأمر المؤمنين أن يصلوا عليه أين ما كانوا وأين ما حلوا، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ (الأحزاب: ٥٦).
- ١٠- شهادة الأئمة المعصومين بذلك، وفي ذلك كثير، منه ما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا عليه السلام نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ، وَمَهِيماً عَلَى الْمُرْسَلِينَ»^(٢).

س: لماذا كرر الله هذه الجملة في هذه الآية ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ﴾ و
﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمَا﴾؟ اذكر الاحتمالات في ذلك.

ج:

- ١- ألا يكون بينهما فرق، فالاثنتان يتحدثان عن القضاء الحتمي، أي لو أراد الله حتماً لفعل، ولكن اقتضت إرادته في أن يكونوا على هذه الحالة الطبيعية من الاختلاف، وما التكرار إلا لتأكيد قدرته، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً﴾ (يونس: ٩٩).
- ٢- أن تكون الإشاعة الأولى تكوينية والإشاعة الثانية تشريعية، أي لو شاء الله ما اقتتلوا، بل منعهم من ذلك تكويناً، ولو شاء الله لما شرع القتال ولكن شرعه من أجل نشر دينه والدعوة إليه. وقد يكون العكس أي الأولى تشريعية والثانية

(١) الكافي ٢: ١/١٠.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٦٢/١١٨.

تكوينية.

ورد عن الأصبع بن نباتة أنه قال: كنت واقفاً مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يوم الجمل فجاء رجل حتى وقف بين يديه فقال: يا أمير المؤمنين، كبر القوم وكبرنا، وهلل القوم وهللنا، وصلى القوم وصلينا، فعلام تقاتلهم؟ فتلا أمير المؤمنين قوله تعالى: «﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَبُهِتُوا مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا»، فقال الرجل: كفر القوم وربّ الكعبة. ثمّ حمل فقاتل حتى قتل رحمه الله»^(١).

٣- لبيان أن مشيئة الله داخله في كلّ شيء وأن قضاءه وقدره لم يخلو عن شيء أبداً.

س: لماذا ذكر الله الاقتتال ولم يقف عند حد الاختلاف؟ اذكر الاحتمالات في ذلك.

ج:

- ١- إشارة إلى أعلى المراحل التي يتوصّل إليها الاختلاف وهو القتال.
- ٢- إشارة إلى أن الحجّة مهما كانت واضحة فإنها لا تنفع مع كلّ الناس إن لم يرافقتها قتال.

(١) تفسير العياشي ١/١٣٦:٤٤٨.

٣- إشارة إلى أهمية القتال في سبيل الله وتأکید دوره في قوّة الأمة الإسلاميّة التي أراد منها أن تكون واعية على الشرّ الآتي كوعياها على عطائها للخير.

٤- إشارة إلى واقع ساحة الأرض الذي يتمسك بها المختلفون بحيث لا يفهمون إلا لغة السلاح والقوّة للجاجتهم وعنادهم وبغيهم وطغيانهم واستكبارهم، والتأريخ والحاضر يشهدان بهذا الواقع المرّ الذي لا يرتضيه الله ولكنّه وجود للواقع.

س: إذا كان هناك تفاضل بين الأنبياء فلماذا نهى الرسول ﷺ عن المفاضلة بين الأنبياء في روايات بالسنة مختلفة بأن لا تفاوت بين الأنبياء ولا تفاضل بينهم، ومنها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا تخاير بين الأنبياء»^(١)؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

لا تستخرج ميزة منك تراها في نبيّ دون غيره فتجعلها ميزة فضل على النبيّ الآخر، فلا بدّ من التوقف على ما بيّنه الله في كتابه من الميزات التي جعلها الله علامة فضل دون غيرها، فلا يجوز أن تجعل نبياً أفضل من نبيّ آخر لكون الأوّل متزوجاً والآخر مات ولم يتزوج مثلاً، فإنّ هذه الميزة لم يجعلها الله من مميّزات التفضيل، ولهذا قال تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (الإسراء: ٢١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٤)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

الخلَّة: خالص المودَّة.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا ... وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾؟

ج:

خطاب إلى المؤمنين به سبحانه يحمل التشويق والتحذير، تشويق إلى الإنفاق الذي يمثل الجانب العملي للإيمان، وباعتبار أن الإسلام جاء لأجل الناس والاهتمام بمشاكلهم المادية والمعنوية ولأجل الإسلام ووحداته ومؤسساته المرتبطة به، فكان الإنفاق هو التعبير الطبيعي عن هذا الاهتمام سواء في مجال الواجب منه أو المستحب منه، والإنفاق هو من الكلمات الجامعة لحركة الإنسان في الحياة القائمة على الأخذ والعطاء والترابط، ولم يسير الأخذ والعطاء من قبل الإنسان في الاتجاه الواحد وعلى مرضاة الله، بل يسير في الاتجاه المعاكس ومما حرّمه الله كذلك، والمطلوب من الإنسان أن ينفق من الحلال الطيب ومن الكلمة الحسنة والفكرة المتصلة بالسماء ومن المال الذي كسب من الطريق الشرعي له. وبهذا نعرف أن الإسلام ليس هو اهتمام بطقوس عبادية كهنوتية، بل هو حركة في الحياة تسير بصورة متوازنة بين الله بعبادته والاهتمام بالمؤسسات الدينية التي لها

ارتباط بدينه وبين الناس والاهتمام بحل مشاكلهم.

والتحذير هو أن ينفق الإنسان ليرك الأثر الطيب ليكون له ذخيرة في عالم ينقطع فيه العمل والذي يختلف قانونه عن قانون الحياة في الأرض حيث تنقطع فيه الأسباب التي كانت جارية في دنيا الحياة سواء كانت الأسباب الطبيعية المادية أو الأسباب العاطفية التي كانت تربط الناس بعضهم ببعض من الصداقة والأخوة والأبوة والبنوة وصلة الرحم والجار والبيع والشراء والكفالة والضمانة وجميع الروابط النسبية والسببية، فعلى الإنسان ألا تفوت عليه الفرصة وأن يقدم لآخرته من دنياه، فإن الدنيا مزرعة الآخرة وأن بداية الآخرة من بداية موت الإنسان، والذي لا يسير بهذا الاتجاه يعني قد سار بالاتجاه المقابل لحركة الإيمان والمؤمنين، وهي حركة الكفر والعصيان وحركة الذين ظلموا الغير بمنعهم الإنفاق عليهم، وحركة الذين ظلموا أنفسهم بوقوعها بمعصية الله وورودها إلى النار، وقد مرّ الحديث سابقاً عن الإنفاق والشفاعة فراجع كتاب *مؤثر علوم راسدي*

﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في
السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه
السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ (البقرة: ٢٥٥)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

- ١- الحي: ما يقابل الموت.
- ٢- القيوم: أ- المحافظ المعطي للشيء بما فيه قوامه. ب- الانتصاب
- ٣- تأخذه: تتناوله.
- ٤- سنة: الفتور الذي يسبب النعاس ثم النوم.
- ٥- نوم: استرخاء البدن بحيث يفقد عنده السمع والبصر.
- ٦- الكرسي: الجمع والمجتمع.
- ٧- يؤده: المشقة والتعب.
- ٨- الحفظ: أ- الاعتناء والمراقبة والتحرز من التلف. ب- ما يقابل النسيان.

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو ... وهو العلي العظيم﴾؟

ج:

أولاً: ﴿الله لا إله إلا هو﴾

- ١- مرء عند شرح البسملة ذكر بعض معاني اسم الله، فالله من الأسماء الذاتية له

سبحانه، وهو رأس الأسماء من دون تفاضل، وهو الاسم الأعظم المستجمع لجميع الصفات الإلهية الدالة على ذاته الأحادية، والإله ليس له مصداق إلا الله فهو المتفرد بالألوهية، والله نفس هوئته الذاتية التي ولهت بها قلوب العاشقين وتدور حولها مناسك العابدين من دون شيء زائد على ذاته.

٢- الله، اسم لم يمتلكه أحد إلا هو، ولا يتَّصف بها ذات إلا هو، ولا ذات استحقت الوله بها حتى صارت تستحق أن تعبد إلا هو، ولا ذات تحيَّرت في معرفتها العقول إلا هو، ولم يتَّصف أحد بالكمال المطلق إلا هو، فهو الواحد بالذات والصفات والأفعال، وهو الواحد بما هو واحد بعين وجوده لا شيء يتَّصف بأنه واحد، وليس الذي (ليس كمثلته شيء) إلا هو، ولا إله موجود كوجوده الثابت الذي لا يطرأ عليه التغيير إلا هو.

ورد عن بريدة أنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فقال: «والذي نفسي بيده لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»^(١).

الحياء: ﴿الحي﴾

الحي اسم من الأسماء الذاتية لله، حي لا مبدأ لحياته ولا منتهى لها، حي والحياة لها لوازم من الإدراك والفعل والعلم والحيوية في الحركة وغير ذلك وهي جميعاً لا تشبه لوازم حياتنا؛ لأنه ليس كمثلته شيء، حي يفيض للآخرين كل أنواع الحياة، حي بالحياة الحقيقية وغيره اعتباراً.

(١) سنن الترمذي ٥: ٣٥٤٢/١٧٨.

الخامس: ﴿الْقِيَوْمُ﴾

القيوم اسم من الأسماء الذاتية لله، وهي من الأسماء الإضافية كالخالق والرازق، فهو القائم على ذاته بذاته، فلا شيء فوقه حتى يحتاج إليه فيكون قيماً عليه، وهو القائم بالأمر كل الأمر، وهو المتعهد بالتدبير والحفظ والمراقبة عن علم تام وحكمة كاملة وعدل دقيق ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٨)، كل شيء متقوم بوجوده به، وهو قيوم على كل ذي ذات ﴿أَفَنُ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (الرعد: ٣٣)، والقيوم مبالغة في القيمومية لأنها صادرة من الأعلى والأقدر والأعلم ولكونه متفرداً بها، فهو دائم الحياة والقيمومية بصورة مستقيمة في وجوده؛ لأنه لا يعتره التغيير والتحول، ومادام وحده يمتلك هاتين الصفتين من الاستقامة في الحياة والتدبير فهو وحده المستحق للعبادة، فهو المعبود لا أحد سواه.

وابعاً: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾

لا يأخذه أي شيء، بل هو الذي يأخذها، فلا يأخذه الفتور والنعاس ولو لحظة ولا نوم من باب الأولى؛ لعدم وجود المقتضي لهما من الفتور والتعب التي هي من شؤون الافتقار الذاتي للممكنات، وأنها من مقدمات النوم التي هي السنة والنعاس قبل النوم، إن من لوازم القيمومية ألا تأخذه السنة ولا النوم لاحتياج الخلق كله إليه في قيموميته الذي يستدعي منه ذلك، فإنه لو أخذته السنة لحظة لاختل نظام الحياة والكون بما فيه بأجمعه، فهو في قيمومية دائمة ومستمرة ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.

خامساً: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

١- التفرد بالخالقية والقيمومية يستدعي سابقاً التفرد بالملك الحقيقي لكل شيء،

والملك حقيقة لا اعتباراً، وقد مرّ الحديث عن الملكية الحقيقية لله، ومادام هو المالك الحقيقي فالعبودية تكون منحصرة له لا لغيره، ولا يجري في الكون شيء إلا بإذنه.

٢- كيف تأخذه السنة والنوم وهو المالك لكل شيء بالملك الحقيقي الذي يستدعي منه قيام كل شيء على الوجه الأكمل المناسب لقيوميته للكون، ولو حصل العكس لسبب نقصاً وحاشا لله من ذلك.

سادساً: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

استفهام استنكاري، لما كان متفرداً بالخلق والحياة والقيومة والملك فلا شفيع له من الأمور التكوينية أو التشريعية، ولا مؤثر عليه، ولا متصرف في الكون غيره، ولا مشرع غيره، ليس لأحد التدخل في أي شيء يخصه من أن يغفر الذنوب أو يرفع درجات في الدنيا والآخرة إلا ما قام بإذنه وبمقدار ما منحه لغيره، فلا اقتضاء ذاتي إلا إليه، وقد مرّ الحديث تفصيلاً عن الشفاعة فراجع.

سابعاً: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا

بِمَا شَاءَ﴾

١- العالم من الأسماء الذاتية لله، فهو العالم المطلق من كل جهة، وهو العالم لكل جهة من جهات الخلق فهو يعلم الظاهر والباطن من دون تفاوت، وهو العالم قبل حصول الشيء وعند حصوله وما بعد حصوله، وهو العالم المطلق وغيره المحدود والمحدود لا يحيط بالمطلق علماً ومن كل جهة إلا بقدر ما أعطاه الله من العلم للآخرين ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (المائدة: ١١٦)، وهو العالم بالعلم الحضورى لحضور كل شيء لديه.

٢- أن علم الله بالأشياء وما يحيط بها من الثوابت والمتغيرات على عدد لحظاتها لهو دليل على استمرار قيموميته التي لا تأخذها سنة ولا نوم.

ثامناً: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

١- وسع كرسيه أي قدرته وقيموميته وملكه وإدارته واقتداره وعظمته وعلمه وكبرياؤه وتدييره وسلطته وإشرافه وحاكميته على كل شيء يوجد في السماوات والأرض، ومحيط بها إحاطة تامة نافذة، وأن كل شيء في السماوات والأرض مظهر من مظاهر مجموع صفاته، وأن النظام في الحياة بهذا التناسق الجميل مظهر من مظاهر استمرار قيموميته ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (الرحمن: ٢٩)، يجري كل ذلك من دون أن يشقه أو يتعبه أو يملّه وإن كان الحفظ على الشيء وإدامة قيموميته يحتاج إلى بذل جهد أكثر من إيجاده لأنه العلي العظيم في كل ما يتصوره الذهن أو يفرضه العقل فهو سبحانه وتعالى أجل وأعلى وأعظم، فهو المفيض على الأشياء أموراً متعبّة من دون أن يجعلها تشعره بالتعب ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١)، وفعل الملائكة ﴿لَا يَقْتُرُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٠)، يراجع بحث الملائكة... وهو العلي بلا شيء فوقه ولا شيء تحته، بل سبحانه ربّي الأعلى بذاته بلا مكان ولا نسبة، وهو العظيم بلا حدود فسبحان ربّي العظيم.

٢- وسع كرسيه الذي هو سبب من أسبابه وخلق من خلقه بحيث من سعته يستوعب السماوات والأرض ووعاء لها، يؤدّي دوره بحفظ السماوات والأرض من دون أن يؤدّي ذلك إلى حصول تعب أو عطل أو نقصان فيه، حيث يمكن إعادة الضمير في (يؤده) على الكرسي فيكون الكرسي مظهراً من مظاهر

قدرته سبحانه.

س: لماذا رتب الله خطابه بهذا الترتيب من ذكر الأسماء ﴿الله لا إله إلا هو الحى القيوم﴾؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

١- أن يكون النظر إلى ترتيب الأسماء حسب الشرفية الاعتبارية، فأسماءه جميعاً هي عين ذاته الواحدة، فأسماء الذات (الله) وأسماء الصفات (الحى) وأسماء الأفعال (القيوم).

٢- أن يكون النظر إلى ترتيب العلم المتعلق به سبحانه فعلم الذات وعلم الصفات وعلم الأفعال، فهو ترتيب إلينا لا له سبحانه.

٣- أن يكون النظر في وجوب توحيد الله من حيث الذات والصفات والأفعال فهو واحد بسيط في الجميع.

٤- أن يكون النظر إلى أفضل وأعلى السلوك العقائدي للإنسان عندما يبتدئ وينطلق الاعتقاد بوجود الله وزيادة في معرفته من الذات ثم الصفات ثم الأفعال.

س: لماذا قدم الخطاب السنة على النوم في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

أولاً: أن يكون متعلق السنة والنوم بالنظر إلى ما يحصل للإنسان، ومن المتفق عليه أن السنة هي حالة الفتور قبل النوم، فهنا تأتي الاحتمالات التالية:

١- أن الذي لا يمكن للقوي أن يأخذه فمن باب أولى ألا يقدر على أخذه الضعيف،

فالذي لا يمكنه أن تأخذه السِنَّة لا يمكنه أن يأخذه النوم، هذا إذا قلنا أن السِنَّة أقوى من النَّوم لكونها سبباً له.

٢- أن الذي لا تحصل عنده لوازم النوم ومقدماته وهي السِنَّة لا يحصل عنده النوم لتوقف حصول النوم على حصول السِنَّة.

٣- أن ذاته المقدَّسة لا تقبل السِنَّة والنوم لعدم وجود المقتضي لهما أصلاً، فلا يأخذ شيئاً منها ولا تأخذ منه شيئاً.

قال: أن يكون متعلق السِنَّة غير متعلق النوم، أي هناك من تأخذه السِنَّة فقط من الممكنات كالملائكة، وهناك من الممكنات من يأخذه النوم دون السِنَّة كبعض الحيوانات، وهناك من الممكنات من تأخذه السِنَّة والنوم كالإنسان، ولما كان الله واجباً بالذات وليس كمثل شيء فلا تأخذه ما يأخذ الممكنات الحيَّة ذات النفس التي لا تخرج عن هذه الحالات الثلاث.

قال: أن تكون السِنَّة هي النَّوْمَةُ القَصِيرَةُ زمنياً، قاله بهذا الخطاب يريد أن يثبت عدم النوم لذاته قصيراً كان أو طويلاً.

وابتداء: لم تكن السِنَّة والنَّوم مقصودين في الخطاب بما هما بل كناية عن عدم غفلة الله بأيِّ لحاظ كما تأخذ الغفلة الإنسان وهو في سِنَّة أو نوم التي يصبح الإنسان فيها فاقداً للشعور والعلم والإحساس بما يحيط به.

س: ماذا قالت الروايات عن معنى الكرسي؟

ج:

١- ورد عن الفضيل أنه قال: سألت أبا عبد الله عن قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾؟ فقال: «يا فضيل، كلُّ شيء في الكرسي السماوات

والأرض، وكلُّ شيء في الكرسي»^(١).

٢- ورد عن زرارة أنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ السماوات والأرض وسعن الكرسي أو الكرسي وسع السماوات والأرض؟ قال: «إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْكُرْسِيِّ»^(٢).

٣- ورد عن المفضل بن عمر أنه قال: سألت أبا عبد الله عن العرش والكرسي، ما هما؟ فقال: «العرش بوجه: هو جملة الخلق، والكرسي وعاؤه. وفي وجه آخر: العرش هو العلم الذي اطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه، والكرسي: هو العلم الذي لم يطلع الله عليه أحداً من أنبيائه ورسله وحججه عليهم السلام»^(٣).

س: ما هو المحتمل في الفرق بين الكرسي والعرش؟

ج:

من الروايات التي مرَّ ذكرها حول معنى الكرسي يمكن أن نستنتج الأمور التالية:



أولاً: أن يكون العرش والكرسي لا فرق بينهما بالتأويل، حيث كلٌّ منهما يعبر عن أمر الله وسلطنته وكبريائه وقيومته ومالكيته وعلمه وقدرته وغير ذلك ممَّا ورد وممَّا تستنتجه من مفهوم الكرسي والعرش.

ثانياً: أن يكون العرش والكرسي مخلوقين لله يغلفان الكون وكلَّ المخلوقات، فهنا نستنتج من الروايات الأمور التالية:

(١) الكافي ١/١٣٢:٣.

(٢) التوحيد: ٥/٣٢٨.

(٣) معاني الأخبار: ١/٢٩.

١- أن الكرسي أوسع من العرش؛ لأن كل شيء في الكرسي بينما في العرش جملة وبعض الخلق.

٢- أن يكون الكرسي والعرش غلافين للكون والحياة التابع لمجموع السماوات السبع والأرضين السبع الذي هو تكوين عالمنا بحيث يكون العرش غلافاً داخلياً أولياً والكرسي غلافاً خارجياً.

٣- أن يكون العرش غلافاً لعالمنا والكرسي غلافاً للعوالم الأخرى ولعالمنا، ورد عن زرارة أنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ» السماوات والأرض وسع الكرسي أم الكرسي وسع السماوات والأرض؟ قال: «لا، بل الكرسي وسع السماوات والأرض، والعرش وكل شيء خلقه الله في الكرسي»^(١).

٤- أن ما موجود من العلوم والحقائق المتعلقة بالعرش قد أطلع الله أنبياءه عليه دون العلوم والحقائق المتعلقة بالكرسي. *كامبيوتر علوم رسولي*

س: ما هي أهمية آية الكرسي في الروايات؟

ج:

- ١- ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «آية الكرسي سيد آي القرآن»^(٢).
- ٢- ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «سمعت نبيكم على أعواد المنبر يقول: مَنْ قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه عن دخول الجنة الموت»^(٣).

(١) تفسير العياشي ١/١٣٧:٤٥٧.

(٢) كنز العمال ٢/٣٠١:٤٠٥٧.

(٣) مكارم الأخلاق: ٢٨٨.

٣- تذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: «أين أنتم عن آية الكرسي؟». ثم قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، سيد البشر وسيد العرب محمد ولا فخر، وسيد الكلام القرآن، وسيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسي. يا علي أن فيها خمسين كلمة، في كل كلمة خمسون بركة»^(١).

٤- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لكل شيء ذروة وذروة القرآن آية الكرسي»^(٢).

٥- ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «من قرأ آية الكرسي مرة صرف الله عنه ألف مكروه من مكاره الدنيا وألف مكروه من مكاره الآخرة، أيسر مكروه الدنيا الفقر، وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر»^(٣).

٦- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قال أبو ذر: يا رسول الله، ما أفضل ما أنزل عليك؟ قال: آية الكرسي، ما السماوات السبع والأرضون السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض تلاقح»^(٤).

٧- ورد عن أبي أمامة أنه قال: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «ما أرى رجلاً أدرك عقله الإسلام ودلّه في الإسلام بيت ليلته في سوادها». قلت: وما سوادها؟ قال: «جميعها حتى يقرأ هذه الآية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾، - فقرأ الآية إلى - ﴿وَلَا يُؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾، ثم قال: «لو تعلمون ما فيها ما تركتموها على حال. أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أعطيت آية الكرسي من كنز

(١) كنز العمال ٢: ٣٠٢/٤٠٦٠.

(٢) وسائل الشيعة ١١: ٣٩٦/١٥٠٩٨.

(٣) المستدرک ٤: ٣٣٧/٤٨٢٧.

(٤) تفسير العياشي ١: ١٣٧/٤٥٥.

تحت العرش، ولم يؤتها نبيّ كان قبلي». قال عليّ عليه السلام: «لما بت ليلة قط منذ سمعتها من رسول ﷺ حقّ أقرأها»^(١).

٨- ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «يا أبا المنذر، آية آية في كتاب الله أعظم؟» قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، قال: فضرب في صدري ثم قال: «لبيحك العلم»^(٢).

س: لماذا هذا الاهتمام بآية الكرسي في الروايات؟ اذكر المحتملات في ذلك.
ج:

- ١- أنها تجسد التوحيد الخالص الذي يعيشه الإنسان المؤمن في وجدانه.
- ٢- أنها تجيب عن التساؤلات التي قد يثيرها فكر الإنسان.
- ٣- أنها تذكرنا بالوظيفة التي يقوم بها الله والتي تمرّ بنا من دون إحساس منا لتعمق الصفات الإلهية فينا ورعايته لنا حتى ننهض بالواجب علينا.
- ٤- أنها تظهر صفات خاصّة كالحيّة والقيومة والإحاطة والعلم وغيرها التي تزيد في استسلام الإنسان له لشعوره بالتساؤل أمام هذه العظمة الإلهية، وأمام هذا النوع من الخدمات التي تقدّم لنا، ولتعميق شعوره بالعجز حيث لا مدخلية له في كلّ هذه الأمور وأنها من مختصّات الله سبحانه وتعالى.
- ٥- لا حواجز تمنع الله عن الرؤية والعلم، فلا سر يكتمه ولا عمل يخفيه ولا خطأ يستره الإنسان على الله؛ لأنه يحيط بكلّ شيء.
- ٦- أنها آية تجمع بين ذكر الصفات والمهمّات الناتجة عنها.

(١) الأملالي للطوسي: ١١٩٢/٥٠٨.

(٢) المستدرک ٤: ٤٨٢٦/٣٣٧.

٧- أنها آية تحمل كل أصول الدين تصريحاً وتلويحاً، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كل شيء في الكرسي»^(١).

٨- أنها آية تكشف بعض أسرار الكون كوجود الكرسي الذي قد لا يتوصل الإنسان إلى كشفها.



﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ • اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥٦-٢٥٧)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

١- الإكراه: حمل الطرف على ما يكره.



٢- تبين: توضيح.

٣- الرشده: إصابة الخير.

مركز تحقيقات كامتور علوم اسلامی

٤- الغي: الضلال بما فيه الهلاك وهو ما يقابل الرشده.

٥- الطاغوت: الخروج المفرط والزيادة والتعدي عن الحد.

٦- استمسك: تشبث به.

٧- العروة: أ- الحلقة المتعلقة بالشيء وهي محل التشبث بها. ب- كل نبات له أصل

ثابت.

٨- الوثقى: المحكمة.

٩- الانفصام: القطع والفصل بين شيئين.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ... أَوْلَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾؟

ج:

أولاً: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

١- أن يطلق الدين على ما يؤمن به الإنسان، فيكون الدين عبارة أخرى عن كل ما يؤمن به سواء الإيمان بالله أو غير ذلك، والإيمان بما هو إيمان فإنه من الأمور القلبية التي لا تخضع للإكراه؛ لأن مورد الإكراه يأتي على الأمور والحركات الخارجية، وبهذا يكون ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ إخباراً عن حقيقة طبيعية يمتلكها البشر هي أنه يمكن للبشر أن يكره على كل شيء إلا بما يؤمن به، فإنه لا يمكنكم إكراهه على المخالف، لأن الإيمان من الأمور القلبية ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (النحل: ١٠٦)، ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩). *تحقيقاً في أصول علوم إسلامية*

٢- أن يطلق الدين على مجموعة الأحكام والفروع العملية التي تحملها الرسالة السماوية كالدين الإسلامي واليهودي والمسيحي، وهذا المعنى ينسجم خصوصاً إذا لاحظنا ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، أي لا إكراه في الدين بعد أن تبين الرشد من الغي بما في الأديان وبعد أن تمّ الوضوح في كل شيء، فإن الإسلام هو دين الرشد والرشاد وبقية الأديان وبعد ظهور التحريف فيها وما لحقها من الاعتقادات المنحرفة التي لم يأت الله بها هي من الغي، فهنا ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ يكون إنشاءً وتشريعاً بأنه لا إكراه في أصل اختيار الدين، أي أيها الرسول ﷺ ويا أيها المؤمنون؛ لا تكرهوا الناس على أن يختاروا الإسلام

كدين لهم ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ (آل عمران: ٢٠).

نعم، الإكراه والإلزام يأتي بعد اختيار الدين، فهو على غرار القول (الزموهم بما ألزموا به أنفسهم)، فالذي اختار الإسلام كدين تجري عليه أحكام الإسلام ويلزم بها ويكره إن خالف، فلا يكره المسيحي على اتخاذ الإسلام ديناً ولا يكره اليهودي على اتخاذ الإسلام ديناً ولكن نلزمهم بما يلزمهم دينهم به.

٣- أن يطلق الدين على الدعوة التي يدعو لها الإنسان بما يؤمن به، فتكون الآية إنشاءً وتشريعاً بالنهي بعدم استعمال الإكراه وأنتم تدعون الناس بما تؤمنون به، بل عليكم أن تبيتوا الرشد من الغي بعد أن وصل لكم وأصبح واضحاً بتمامه لديكم ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿ (الغاشية: ٢١-٢٢)، ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ (الكهف: ٢٩).

تأنيهاً: ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾

قد توضح كل شيء متعلق بمسألة الدين بعد وصول وحداته الأساسية التكوينية من وجود الآيات الكونية وآيات النفس والعقل والفطرة، ووحداته التشريعية من إرسال الأنبياء والأئمة والكتب والأحاديث بحيث أصبحت نظرية كاملة من ناحيتها الفكرية وما تدعو إليه من العمل، وواضحة في كل معانيها وانسجامها مع الكون والحياة.

﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا

انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

١- فمادام الحق بهذا الوضوح، ومادام الحق يحمل روح المعاني العالية، ومادام

الحق تبحث عنه فطرة الإنسان وعقله، ومادام الحق يرفع بالإنسان إلى إنسانيته ويجعلها تستقر في محلها المناسب، فليس من حق الإنسان الصحيح والمستقيم أن يختار غيره، وعليه فلا وجود أمامه إلا اختياره، واختياره لا تعددية فيه، بل هو طريق واحد يبدأ من تطهير قلبه وتجريده من أي شيء يحاول أن يتعدى ويطغى في تعديه ليحل في قلبه؛ لأن القلب وعاء خالص لله فلا تسمح للغير أن يشغل قلبك في زاوية من زواياه ولا تترك فراغاً في قلبك يشغله غير الله، فبقدر ما تخرج وتطرد من قلبك غير الله يكون الله بديلاً عنه، فتكون نفس عملية انشغالك بكفر الطاغوت هي عملية انشغال بالإيمان بالله، والعكس صحيح كلما اقترب قلبك لغير الله فقد طردت الله من قلبك بتلك النسبة التي تقربت إليها إلى غير الله.

مكتوب في التوراة نقلاً عن بهاء الدين أنه قال: «لا يجتمع حب الدنيا وحب في قلب واحد أبداً» (١) كالمؤيد علوم راسدي

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل عن قلب عاشق لشخص؟ أنه قال: «تلك قلوب خلت عن ذكر الله فأذاقها بحب غيره» (٢).

وورد عن النبي داود أنه قال: «اللَّهُمَّ لكلّ ملك خزانة فأين خزانتك؟ فقال عز وجل: لي خزانة أعظم من العرش، وأوسع من الكرسي، وأطيب من الجنة ... ألا وهي القلب» (٣).

(١) الكشكول ٧٩:٣.

(٢) أمالي الصدوق: ١٠٢٩/٧٦٥.

(٣) البحار ٣٧/٥٩:٦٧.

فالقلب خزانة الله، فالذي يسلك هذا الطريق فقد فاز واستمسك بالعروة الوثقى التي لا تتكسر ولا تهتر ولا تتصدع ولا انفصام لها، والذي يسلك هذا الطريق فقد استمسك بالإيمان الواقعي الصحيح؛ لأن العروة الوثقى هي الإيمان بالله وكل ما يرجع إليه سبحانه.

٢- لا يعني القول بأن القلب وعاء الله أي نفس ذاته، بل كما أن الكفر بالطاغوت هو كفر بكل شيء يبغضه الله فإن الإيمان بالله هو مجموع ما يحبه الله، فعندما تشغل قلبك بحب العبادة لله وامتنال أو امره والطاعة له سبحانه أو بحب الرسول ﷺ أو بحب أهل البيت عليهم السلام، فمجموع العمل بما يحبه الله هو حب الله وهو الإيمان بالله وهو الاستمسك بالعروة الوثقى.

ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْتَمْسِكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انفصام لها فليستمسك بولاية أخي ووصي علي بن أبي طالب، فإنه لا يهلك مَنْ أَحَبَّهُ وَتَوَلَّاهُ، وَلَا يَنْجُو مِنْ أَبْغَضِهِ وَعَادَاهُ»^(١) حيث إن حب أمير المؤمنين ﷺ مصداق من مصاديق أوامر الله وامتنال طاعته.

٣- أن هذا الطريق وهذا المسلك يجب أن يكون على الدوام وبحالة مستمرة للإنسان المؤمن، فالإنسان المؤمن في حركة دائمة بين الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، وهذا المعنى نستنتجه من الأفعال المضارعة التي يستعملها الخطاب التي تدل على الاستمرار والمداومة.

٤- أن اختيار غير هذا المسلك يعدّ حالة انحرافية يستحق صاحبها العقاب؛ لأنه إكراه للفترة السليمة وللعقل السليم اللذان هما قوام الإنسان، وسير بهما إلى

(١) البحار ٦٤: ١٣٢/١.

غير غايتها، وإعمال لهما على غير وظيفتهما، وهذا ما تستيقن به كل نفس وهي تبتعد عن طريق الإيمان والحق وإن جحدوا بها.

٥- الكفر بالطاغوت هو تعبير آخر عن العمل؛ لأن مطلق العمل إما في مجال الخير أو الشر، والحقيقتان في حالة تصارع دائم فلا يأتي عمل خير إلا من بعد كفر ومحاربة طاغوت، فحقيقة عمل الخير الصادر من المؤمن قائم على الكفر بالطاغوت. ومن هنا يمكن أن يقال: إن ﴿فَن يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ﴾ أي يعمل صالحاً ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى.

وبعبارة أخرى: أن الذي يريد أن يحكم إيمانه وإسلامه وقرآنه عليه أن يوازن بين العمل والإيمان، فلا عمل من دون إيمان ولا إيمان من دون عمل.

وابعد: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

١- أن بعض معنى الاستمسك بالعروة الوثقى هو الاستسلام لله ولأنبيائه ولكتبه، بمعنى أنه قد جعل أموره بيد الله وتحت ولايته، فيكون الله وليه، كما أن الاستمسك بعروة الطاغوت تعني الاستسلام للطاغوت وجعل أمره بيد الطاغوت.

وبعبارة أخرى: جعل الطاغوت ولياً له فيكون الطاغوت وليه؛ لأن الولاية إما تكوينية وهذا لعامة الخلق، وإما ولاية تشريعية، وهذه لعامة الناس وكافتهم ولكنها متروكة لاختيار المكلف ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنِ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (الكهف: ٢٩)، واللزوم بالطرف الواحد من الاختيار هو لزوم عقلي

وفطري وتأيد شرعي، ولهذا من كفر بالطاغوت وآمن بالله فقد استمسك
بالاختيار الصحيح والوثيق وهو دخوله ضمن ولاية الله التشريعية وقد جعل الله
له ولياً.

٢- أن الاستمسك بولاية الله التشريعية له آثاره ولوازمه التكوينية والتشريعية التي
تقتضي على الله من باب لطفه من رفده بالتشريع والمناصرة والتأييد والتسديد
والتحصين والتربية والرعاية ورفع المكاره والمخاوف ودخول الجنة. وبعبارة
أخرى: يخرجهم من الظلمات إلى النور.

كما أن الاستمسك بولاية الطاغوت له آثاره ولوازمه التكوينية والتشريعية من
إماتة الفطرة وتجميد العقل واقتراف الجريمة والضلال الفكري والتيه القانوني
ودخول النار. وبعبارة أخرى: يخرجهم الطاغوت من النور إلى الظلمات، وكل
ما يصدر من هذا وذاك فهو تحت الرقابة والقيمومة الإلهية، والله سميع عليم.

٣- أن ولاية الله سواء كانت التكوينية منها أو التشريعية فهي عامة لكل الناس،
ولكن بما أن المؤمنين آمنوا بهذه الولاية واستسلموا لها فأثارها لا يحس بها
إلا هم ولا يقتطف ثمارها إلا هم، كما أن فعلية الولاية تراها متجسدة فيهم،
ولهذا تجد الله ينسب ولايته للمؤمنين دون بقية الناس ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَآمَنُوا﴾.

٤- النور والظلمات لم تكن نسبتها إلى ما يشاهدها الإنسان ببصره سواء كان ذلك
في الأمور التكوينية أو التشريعية، فإن الإنسان لا يمكنه إدراك ذلك ببصره إلا
ظاهر ما حوله، فرب ما تشاهده من ظلمات القبر هو نور لأهله ولكن لا نبصر
ذلك، وربما تشاهد مختلف الأضواء وهي تتسلط على قاعة من قاعات

الاحتفال أو على شخصية من الشخصيات وهي مليئة بظلمات الحقد والجريمة والظلم والأنانية والمعاصي، وربما تشاهد النور ممّا يشرّعه الإنسان حتّى تنبهر بأشعتها وبعد مرور فترة تجد ما رأيته نوراً كان هو ظلاماً وظلمات كمجيء الفكر الماركسي.

فإذن الظلمات والنور لم تكن من الأمور الخاضعة لنظر الإنسان وبصره، بل لنظر الله الذي هو حدّد النور وما غيره إلا الظلام، فالله نور والحق نور والأنبياء نور والقرآن نور والإيمان نور والهدى نور والعلم نور والعقل نور والدين نور والطاعة لله نور وكلّ أصول الدين وفروعه نور.

وبعبارة جامعة: كلّ ما يصدر من الله وكلّ موصل إلى الله ومتّصل به فهو نور وغيره هو الظلام من الشيطان والكفر والمعاصي والجهل والأمراض الأخلاقية المنحرفة. وبعبارة أخرى: كلّ ما يصدر من الشيطان وكلّ موصل إليه متصل به فهو ظلام، ومن هذه المقدمّة أصبح الأمر واضحاً في معنى يخرجهم الله من الظلمات إلى النور، ومعنى يخرجونهم من النور إلى الظلمات.

س: لقد ذكرت في مبحث القتال وتأکید الله عليه وأنها مسؤولية المؤمنين ليكون الدين كنهه الله وليكون الإسلام هو دين الأرض، أفلا يعني هذا إكراه الناس على الدين والدخول إلى الإسلام عن طريق الإكراه؟

ج:

١- أن هدف القتال هو رفع الفتنة، أي هو حالة مفروضة ضدّ الظلم والطغيان والانحراف والشرك وجميع وجوه الباطل لا إثبات للحق وإن لم يكن هناك محارب يحارب المؤمنين، ونحن قلنا سابقاً: إنّ القتال في الإسلام شرع لأجل

اعتداء أعداء الإسلام وقتالهم للمسلمين لا لأجل كفر الناس.

٢- أن تثبيت الحق عن طريق قتال من يرفع السيف بوجه أهل الحق هو إكراه لأصحاب الحق على القتال؛ لأن البدء بالقتال من دون مبرر لا يعدّ البادئون به أصحاب حق، والإسلاميون لا يرون القتال إلا دفاعاً أو تحريراً.

٣- لو فرضنا وجود حالة سلمية عامة، فهنا كذلك لا بد من أن يأخذ الحق طريقه إلى أعلى مراتب الوصول؛ لأنه حق، ففيه الكمال والرقي والنور وإن كان يعتبر إكراهاً على الذي كره الحق وبغضه عناداً وإصراراً أو جهلاً، فهؤلاء هم الذين أكرهوا أنفسهم؛ لأن فطرة الإنسان وعقله قائمتان على قبول الحق واتخاذهما سبيلاً، فالحق يجب أن يثبت كحق عام للإنسانية، وأما ما تعلق بالحق من حيث الإيمان والاعتقاد به فلا إكراه في ذلك، فهو كضرورة إقامة الحكومة الإسلامية؛ لأنها حق عام وأن الإسلام دين الإنسانية، ولكن إذا أقيمت فليبق اليهودي على يهوديته وليبق المسيحي على مسيحيته؛ لأنه يمثل حقاً خاصاً لمجموعة من الناس ويلزمون بما ألزموا به أنفسهم.

٤- أن إقامة الحق العام بإقامة الحكومة الإسلامية سواء كان على مستوى رقعة من الأرض أو على جميع الأرض فليس بيد كل المؤمنين، ولا يفهم من ضرورة إقامة الدولة الإسلامية ألا تقوم إلا بقتال، فنحن قلنا: إن القاعدة الثابتة للقتال في الإسلام لا تكون إلا من بعد إعلان القتال من قبل أعداء الإسلام، وإن في جميع الأحوال إذا كان ذلك لا يقوم إلا بقتال فإنه بيد شريحة من المؤمنين لا جميعهم، وهم أصحاب الاختصاص وقادة المؤمنين من المعصوم أو العالم الرباني في حالة غيبة المعصوم، أو أن يكون هناك يقين بشمول العنوان العام له

وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل حتى في هذا العنوان العام للعالم الرباني حق التدخل من منع القتال أو استمراره أو بدئه، فإن الإسلام أكثر المجالات التي يأمر بها بالدقة والاحتياط هي مسألة الدماء، فإن الإسلام جاء من أجل أن يحيي القلوب وأجساد الناس لا يبادتهم ورخص دمائهم.

س: ماذا تقولون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ألم يعتبر حالة إكراه الآخرين على الالتزام والاعتقاد بشيء معين؟ اذكر الاحتمالات للجواب على ذلك.

ج:

١- إذا كان المقصود من الآخرين هم المسلمون فهنا إكراه بعد اختيار الدين، فالذي يختار الدين الإسلامي يلزم نفسه بالالتزام بكل ما جاء به، ومن جملة ما جاء به هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيجب على المسلم أن يأمر بالمعروف ويأتمر به وأن ينهي عن المنكر وينزجر عنه.

٢- إذا كان المقصود من الآخرين هم الخارجون عن دائرة الإسلام، فنقول: إننا عندما قلنا بضرورة ثبوت الحق في حالتي السلم والحرب لأنه حق عام، هذا لا يعني أن نثبت الحق ونجعل الناس يتفرجون عليه، بل هو واقع ميداني عملي يجب عقلاً ووجداناً من باب الحرص على الآخرين والحب الذي ترتبط من خلاله مع الآخرين أن تهديهم إلى الحق عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يطبق من قبل المسلم في الهواء الطلق ويخضع للمشتبهات، بل له شروطه المتعلقة به وبالموضوع الخارجي حتى

يأتي بما هو المناسب بين الموضوع وحكمه، فالذي يراجع شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يشتمّ فيها رائحة الإكراه إلا في حالة واحدة، وهي أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حقاً عاماً، وهذا هو الآخر له شروطه فيرجع إلى الحالة السابقة التي ذكرناها في جواب السؤال السابق.

س: إذا كان لا إكراه بأصل الدين فلماذا يقتل المرتد في الإسلام، والمرتد هو من يختار ديناً آخر؟

ج:

أولاً: أن الإسلام لا يحكم بقتل من ينتقل من دين إلى آخر، بل هو حكم مختصّ بالمسلمين، وعلى من يختار الإسلام أن يعلم بوجود مثل هذا القانون فيلزم نفسه به، حيث قلنا: إن بعد اختيار الدين يكره على أحكامه إذا خالفها.

ثانياً: أن الإسلام دين الحق ويمثل ذروة الكمال والنور واختيار غيره معناه اختيار ما ينزل به إلى أيّ درجة من النزول، ومعناه تجميد للعقل الذي يبحث عن الحق ولا يرضى بتركه، فالذي ينزل بإنسانيته ويتنازل عن الحق حالة لا يقبلها عاقل وحالة تعبر عن تحدّي لكلّ مشاعره ووجدانه وفطرته حتّى جمّد جميع إنسانيته بمستوى يكون قد قتل إنسانيته فيستحقّ عليها القتل، لكن هذا مع العلم والإصرار بالعناد، أمّا مع الشبهة أو الاغترار أو الجهل بالإسلام فلا يكون حكمه القتل ويكون أمره راجعاً إلى الحاكم الشرعي لا لكلّ أحد من المسلمين.

س: إذا كان لا إكراه في أصل الدين وأنّ الاختيار موجود فيه كما قلتم وفسّرتهم ﴿لَا إِكْرَاهَ﴾، فلماذا عندما يختار الإنسان دين اليهود أو النصراني يكون محاسباً ومستحقاً للعقاب على اختياره هذا؟

ج:

من ميزة الحياة الدنيا أن يكون الاختيار موجوداً للإنسان وهو يعيش فيها، وأصل الاختيار موجود في كل صغيرة وكبيرة، ولكن الله قيد الاختيار بالحق وللحق ولم يجعله يتحرك بحرية وإلا لاختل النظام الاجتماعي ونظام الحياة كلياً ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣)، فالله عندما وفر عناصر الهداية التكوينية الخاصة والتشريعية الخاصة من أجل أن يختار الأصح والنور وكل ما يمثل الحق صغيراً كان أو كبيراً، وأنه سبحانه توعد الذين يخالفون كما وعد الذين يلتزمون.

إذا عرفت ذلك نقول: إن أصل الاختيار قائم على اختيار الأصل والحق لا أنه قائم على الحرية وإن كان في الباطل والضلال، بل إن حرية مثل هذا الاختيار مما يرفضه العقل والشرع، فعلى هذا الأساس يقوم الحساب، فاختيار غير الإسلام يعني اختيار فيما هو الضلال والباطل الذي يكون الإنسان محاسباً عليه ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران: ٧٠).

س: لقد جعلت الطاغوت رمزاً لكل شر ولم تحصره بشخصية الطاغوت المعروفة كما هو المنصرف من كلمة الطاغوت عند إطلاق لفظه؟

ج:

لورود الروايات وكلمات العلماء التي لم تحصره في معنى معين، بل كلها تعد أمثلة للطاغوت وتذكر مصاديق له، فمن جملة تلك المعاني للطاغوت هي: الشيطان، الكاهن، الساحر، حب الدنيا، هوى النفس، مردة الجن والإنس، الأصنام، الاهتمام بالنفس.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ • أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ • وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٥٨-٢٦٠)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات هذه الآيات؟

ج:

١- حاج: قصد مبادلة الحجّة لأجل الغلبة، وهي المجادلة.

٢- بهت: تحير بانقطاعه عن الكلام.

٣- خاوية: خالية.

٤- عروشها: السقف مع أركانه وأعمدته التي يستقر عليها.

٥- أتى: أداة استفهام تسأل عن الزمان أو الحال، أي مشترك بين متى وكيف.

٦- اللبث: البقاء والمكث.

٧- يتسنه: يتغير بمرور السنين.

٨- العظم: القوة والعظمة؛ لأن العظم أقوى وأعظم شيء في الإنسان.

٩- النشز: الظهور والارتفاع والجمع.

١٠- كيف: أداة استفهام تسأل عن الحال.

١١- فصرهن: الضم والجمع.

١٢- ادعهن: المناداة.

١٣- سعياً: سرعة السير.

س: لماذا جمعت هذه الآيات في محل واحد؟ ولماذا جاءت هذه الآيات

مترتبة التدوين في القرآن؟

مركز تحقيقات كامبوتر علوم اسلامی

ج:

١- لأن موضوعها واحد وهو اختصاص الحياة والإماتة لله التي كان يعلمها إبراهيم

أنها من مختصات وأدعائها نمرود لنفسه، والذي سأل حزقيال النبي عن كيفية

نشوتها في الأشياء القابلة للحياة والموت، والتي طلب إبراهيم إمكان أن يتعلم

كيفية الموت والحياة على يديه.

٢- أنها تمثل ثلاثة شواهد عملية يطرحها الله ليسند قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ

آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، حيث أخرج إبراهيم من ظلمات

الخرج مع نمرود إلى النور من خلال هدايته إلى الحقبة والدليل، وأخرج الناس

بحزقيال من ظلمات شبهة الإحياء والبعث المتعلقة بالأشياء إلى النور من خلال

معايشته الإماتة والإحياء، وأخرج إبراهيم من شبهة إمكان أن يطلع غير الله على كيفية الحياة والموت إلى التور من خلال ما عرّفه أن الحياة والموت تبقى من اختصاص الله ولا يطلع عليها أحد.

س: ما هو التفسير المحتمل لمقاطع قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّبُ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُخَيِّبُ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾؟

ج:

أولاً: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾

١- ألم تعلم بالذي حاج إبراهيم ﷺ، ألم تلتفت عجباً إلى تلك المحااجة وإلى غرور الذي حاج إبراهيم.

٢- أن الذي حاج إبراهيم ﷺ هو نمرود بن كنعان الملك الذي عاصر إبراهيم، والذي سيأتي تفصيل ذكره عند سرد قصة إبراهيم في محلها إن شاء الله.

ثانياً: ﴿فِي رَبِّهِ﴾

الضمير في (رَبِّهِ) قد يرجع إلى نمرود، فيكون موضوع المحااجة هو الصنم، ويمكن أن يكون ضمير (رَبِّهِ) يرجع إلى إبراهيم، فيكون موضوع المحااجة هو الله، وعليه يكون موضوع المحااجة هو الرب، وكلّ يدلي بحجته لإثبات ربّه وينفي ربّ الطرف الآخر، ولكن عندما ننظر إلى أصل القضية نجد أن إبراهيم ﷺ هو الذي تحرّش بالأصنام، وجيء إلى نمرود ليسألوه عن الربّ الجديد الذي يدعوا إليه إبراهيم وقد سأل نمرود عنه فأجابه إبراهيم حين قال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّبُ﴾ ... الآية،

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «خالف إبراهيم قومه وعاب آلهتهم حتى أدخل على نمرود فخاصمهم»^(١).

ثالثاً: ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾

١- أن يكون معنى الملك هو الملك المعنوي أي النبوة، فيكون مرجع الضمير في ﴿آتَاهُ﴾ إبراهيم، وأن النبوة تعيين من الله.

٢- أن يكون معنى الملك هو السلطة والحكم، فيكون مرجع الضمير في ﴿آتَاهُ﴾ نمرود، فيكون من باب إسناد الفعل إلى مسببه، أي أن الأسباب الطبيعية كلها من جعل الله وصنعه وقد سار عليها نمرود فحصل من خلال التوسل بها على السلطة والمملكة.

رابعاً: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾

عندما سأل نمرود إبراهيم عن الرب الجديد الذي يدعو إليه إبراهيم أجاب إبراهيم عليه السلام بأقوى الحجج وأوضحها وهي مسألة الإمامة والإحياء التي يعجز عنها البشر إلى يومك هذا، بل إلى يوم يبعثون لأنها من مختصات الله، ولا يعرف أحد كيفيتها وليس لأحد مدخلية فيها ولم يكشف الله العلم المختص بهما إلى الناس عامتهم وخاصتهم وأنهما مظهر من مظاهر قدرة الله وعلمه، هذه الحجّة والتي يعيش حقيقتها كل إنسان بحيث لا يمكنه دفع الموت عن نفسه ولا يمكنه إفاضة الحياة على من مات من غيره، وعلى الرغم من بدهة هذه الحقيقة أجاب نمرود بالإمكان وقد أرجع السؤال إلى سببه المشترك بين الله وبين غيره جهلاً أو حيلة أو غروراً واعتزازاً بنفسه التي ولدها حب السلطة حيث قال: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ كيف تحي

(١) تفسير العياشي ١: ١٣٩/٤٦٤.

وتميت يا نمرود؟! هل تقوم بعملية الإحياء أي بمعنى أنك تخلق الروح وتبعثها بالجزء الميت فتحييه؟! وهل تقوم بعملية قبض روح الجزء الحي وتسيطر عليها فتفصلها عنه ليموت الحي؟! القرآن سكت عن هذا الجواب التفصيلي؛ لأن كل مدعٍ للقيام بمثل هذه العملية فهو كاذب فيكون جوابه نوعاً من الخوض في اللغو؛ لأن أصل الحياة والموت قائم على الروح والعلم بحقيقة الروح وصنعها والسيطرة عليها، وهذا ما لم يعطه الله لأي إنسان ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥).

وهذا هو مقصود إبراهيم من هذه الحجة وهذا هو المقصود الذي يلتفت إليه كل عاقل وهو يسمع بمثل هذه الحجة، والتأريخ يكشف جواب نمرود حين نقل بأن نمرود قد أمر بإحضار سجينين محكومين بالإعدام فأطلق سراح أحدهما ونفذ حكم الإعدام بالآخر وقال: ﴿أَنَا أُخِي وَأُمِّيْتُ﴾ فقد أحييت الأول حيث أنقذته من الإعدام وأمت الآخر بتنفيذ حكم الإعدام عليه، ولو أردنا نحن أن نجيب على ما طرحه نمرود من دليله الواهي فنقول:

أولاً: أنك يا نمرود لم تقم بنفس عملية الإحياء والموت التي ذكرنا معناها.

ثانياً: أن الذي أحييته بإطلاق سراحه هو حي.

ثالثاً: أن الذي حكمت عليه بالإعدام أي وفرت أحد أسباب الموت ولم تقم

بعملية الموت التي هي قبض الروح وفصلها عن جسده، وأسباب الموت تشترك فيها حتى الجمادات.

رابعاً: أنك قد استعملت موضوعين بينما المطلوب أن تتبادل الحياة والموت

على موضوع واحد أن تميت الحي ثم تحييه.

خامساً: أن من معنى الموت والحياة عندما تنسب إلى الله تعني الإيجاد والخلق من الوجود والعدم، ولكن إبراهيم عليه السلام لم يجبه على أي شيء من ذلك ولم يرده على جوابه ولم يُتر أي إشكال على جوابه، وقد يرجع سبب عدم جواب إبراهيم إلى أحد الأسباب التالية:

١- أن إبراهيم عليه السلام رأى نمرود متأثراً بالحس المادي وأن أي دليل له جنبه معنوية لا يعترف بها نمرود.

٢- أن إبراهيم عليه السلام رأى نمرود إنساناً سفسطائياً بحيث يناقش في البديهيات.

٣- أن إبراهيم عليه السلام رأى نمرود جاهلاً بدرجة لا يفهم المعاني التي يتداولها والتي تحيط حوله إلا بقدر ألفاظها والمعنى السطحي لها.

٤- أن إبراهيم عليه السلام رأى نمرود يعلم السؤال ويفهم ما يقول ولكن غروره وجبروته واعترازه بنفسه وكبره يمنعه من الخضوع للحق وللحقيقة وإن كانت تمثل الله.

٥- أن إبراهيم عليه السلام رأى نمرود يعلم السؤال ويفهم ما يقول وفهم أنه استخفاف نمرود بعقول الناس وبعد قهر إرادتهم بحيث يسكتون عن أخطاء الحاكم الظالم حتى لو تعلق الخطأ بأوضح الواضحات، ولهذا بجوابه هذا يكون قد استخف بقومه ويعلم أنهم يطيعوه على كل شيء، وهذه هي طبيعة كل الحكام الظلمة عندما يصلون إلى مرحلة الاستكبار، وقد يكون جوابه هذا استخفافاً حتى بإبراهيم لتطبعه على الاستخفاف بغيره مهما يكن ذلك الغير ظاناً أن إبراهيم حاله حال الآخرين في أنه لم يجبه.

٦- أن إبراهيم عليه السلام رأى نمرود يعلم السؤال ويفهم ما يقول، وأن إبراهيم فهم من نمرود الجواب الشافي والكافي في أن نمرود يريد أن يدعي الربوبية لنفسه

والإلوهية، فإبراهيم يحتاج في هذه الحالة إلى دليل أولي وجديد ويقصد جديد، ولهذا أتى بالحجة والدليل الثاني ليبطل ربوبية والوهية نمرود التي ادّعاها لنفسه لا لإثبات رب العالمين، ولهذا بهت؛ لأنّ الدليل الثاني يتعلق بالقدرة الحسيّة وقد علّقها إبراهيم به ﴿قَاتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾، ليسقط إلهيته التي ادّعاها نمرود لنفسه.

خامساً: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ نحن طرحنا خمسة احتمالات لسبب سكوت إبراهيم ﷺ عن جواب نمرود، وهنا نقول:

١- على الاحتمالات الأربعة الأولى تكون هذه الحجة وهذا الدليل دليلاً ثانياً يسكت نمرود من جهة ويبعد إبراهيم عن اللفظ والجدال من جهة أخرى؛ لأنّ مثل إبراهيم لا يريد الغلبة على الخصم بقدر ما يريد أن يوضح له الحقيقة ليؤثر فيه عسى أن يتذكّر أو يخشى، وبهذه الحجة الثانية أغلق الطريق على نمرود الذي أراد الخوض في العناد واللجاجة والابتعاد عن الحقيقة.

٢- على الاحتمال الخامس والأخير تكون هذه الحجة وهذا الدليل دليلاً أولاً وليس ثانياً، ولهذا كان يتميّز هذا الدليل بالأمر التالية: أنّه دليل ماديّ صرف، يتعلق بالقدرة الحسيّة، قد علّقها إبراهيم بنفس نمرود، قد حوّل إبراهيم اللفظ من (ربّي) إلى لفظ (الله) لاختصاص هذا الاسم به سبحانه، وقد علّقه بما هو موجود في السماء وهي الشمس ليثبت عجزه تماماً من دون لفّ ولا دوران.

سادساً: ﴿قَبِيْطَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّٰهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ﴾

١- بهت وسكت وظلّ متحيراً ماذا يجيب نمرود إبراهيم حيث لا قدرة له على ذلك.

٢- بهت لأنه فهم من دليل إبراهيم ﷺ الحقيقة التالية وهي: أن القادر على ذلك هو واحد له قدرة لا توصف وبما هي أكبر من الشمس وبما هو أكبر من المشرق والمغرب وبما هو فوق الكل ليتمكن من تحويل الشمس من المشرق إلى المغرب ولا يكون إلا الذي يدعو إليه إبراهيم وهو الله.

٣- بهت في الجواب لكونه ظل متحيراً بين أن يستجيب لدليل إبراهيم أم لا، ولكنه لا يريد أن يستجيب لكبريائه وعناده وحبّه للسلطة، بل يريد أن يبقى بهذا ليحافظ على ما هو عليه من الكفر، والذي يريد أن يبقى على كفره فالله لا يمدّ له العون والهداية، فتكون النتيجة أنه يبقى على كفره وظلمه لنفسه ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

٤- أن قوله تعالى: ﴿الَّذِي كَفَرَ﴾ ليست إخباراً عن كفر نمرود القديم فحسب وإلا كان بالإمكان أن يقول: (فبهت الكافر) ولم يتغير المعنى، فمجيء قوله تعالى: ﴿الَّذِي كَفَرَ﴾ زيادة في التأكيد في كفره على الرغم من مجيء هذه الحالة العلمية والأدلة الساطعة التي جاء بها إبراهيم ﷺ الكاشفة عن أن كفر نمرود لم يكن عن حالة استغفال أو جهل عن دليل؛ لأنه لو كان كذلك لاستجاب لما طرحه إبراهيم وأنه قد بهت، فـ ﴿الَّذِي كَفَرَ﴾ تأكيد إصرار على الكفر وعلم به، فلا يعذر أحد كفر نمرود ويعتقد بأنه جاهل بالأدلة لعدم توفرها له سابقاً على إبراهيم ﷺ، ونفس السبب والتعليل نذكره في عدم ذكر اسمه صريحاً من قبل الله تعالى.

س: لماذا سكت نمرود ولم يردّ دليل إبراهيم عليه بأن يقول مثلاً فليأت

ربك الذي تدعو إليه بأن يأتي بالشمس من المغرب؟ اذكر المحتملات
من الجواب.

ج:

١- أن نمرود جاهل بحيث لا يمكنه أن يفكر في أن يردّ عليه هذا الرد الذي يفرضه
السؤال.

٢- أن نمرود يعرف الله وقدرته بالفطرة التي يحسّ بها كلّ إنسان أو من خلال
الشعور الواقعي بوجود قوّة عظمى مؤثّرة عليه، ولكن من باب (جحدوا بها
واستيقنتها أنفسهم) وبهت لأنّه تحيّر هل يستمرّ في المجادلة أو يسد باب
الفضيحة عليه؛ لأنّه يعلم بنفسه أنّه ليس إلهاً وأنّه أعجز من أن يدفع الضرر عن
نفسه فأبى دليل مضاد سوف يدحضه، فلا يمكنه أن يثبت نفسه إلهاً ولا يمكنه
نفي إلهية الله.

٣- أن نمرود أحس من خلال رؤية شخصيّة إبراهيم ﷺ أنّها شخصيّة غير عاديّة في
صدقها وثباتها وقوتها وبقينها وأنّها مستعدّة لأن تفعل كلّ شيء يطلبه، فهو
استقرأ وقيّم الشخصيّة ورأى أنّه لو طلب منها ما هو المفترض بالسؤال لفعل
إبراهيم من دون تردّد بأن يطلب من ربّه فعل تحويل الشمس، ولكن ماذا تكون
نتيجته أمام الملأ العام غير الهزيمة الكبرى لنمرود وهذا ما لا يريده نمرود.

٤- أن الذي بهت نمرود هو الله، وأنّ الذي أفحم نمرود هو الله، وأنّ الذي
جعله لا يهتدي إلى الجواب والردّ على إبراهيم هو الله لظلمه واستكباره والله
لا يهدي القوم الظالمين على طرق الفوز والنجاح.

س: كيف نجح نمرود في أن يجعل نفسه إلهاً أمام جمهوره؟ اذكر

المحتملات من الجواب.

ج:

١- أن الجمهور الواصل إلى قمة التحجير الفكري في أن يقبل أن يكون الصنم إلهاً له فمن باب أولى أن يتقبل لأن يكون نمرود الإنسان الملك إلهاً له.

٢- أن الإلوهية لم تكن لها فكرة متبلورة في أذهان الناس سابقاً وقبل إبراهيم وإنما تبلورت على يد إبراهيم الذي أسس الحنيفية وبلور فكرة التوحيد لله سبحانه وتعالى، وعليه فأي إعلام شيطاني ذكي بإمكانه أن يحرف الرأي العام وخصوصاً إذا لاحظنا أن السلطة بيد نمرود ويده الإعلام وغيره فبإمكانه أن يشغف الناس على إلهيته باستغلال ضعف الناس وبساطتهم وتحجيرهم الفكري.

٣- أن تكون الإلوهية حالة جديدة قد استحدثت عند نمرود وأمام إبراهيم من باب العناد مع إبراهيم ولجاجة منه أو استخفافاً به أو أخذته العزة بالإثم وغيرها من الدوافع التي ذكرناها سابقاً، وهذا الاحتمال قد يقوى عندما نرى إبراهيم عليه السلام وحديثه ومواقفه مع آزر لم يتحرش بنمرود، فلو كان نمرود يدعي الإلوهية سابقاً على المحاجة لكان من الأولى أن يصب إبراهيم معارضته منذ البداية ضد نمرود لا ضد الأصنام كما فعل موسى بفرعون.

س: لقد ذكرت فرعون أخيراً، ما هو الفرق بين نمرود وفرعون من حيث دعوتهم الإلوهية لأنفسهم؟ اذكر المحتملات من الجواب.

ج:

١- ادعاء الإلوهية عند نمرود جاءت قبل بلورة فكرة التوحيد بينما جاء ادعاء

فرعون بعد بلورة فكرة التوحيد فيكون ادعاء الثاني أكثر شقاوة.

- ٢- اهتمام نمرود بالوهيته أخف بكثير من فرعون حيث اهتم نمرود بالأصنام أكثر من الاهتمام بالوهيته، بينما نجد فرعون قد اهتم بالوهيته أكثر من اهتمامه بالأصنام، وأن اهتمام فرعون بنوع من تصنيع الأصنام الضخمة جداً والبناء الضخم جداً ليؤكد هيمنة شخصيته والوهيته في نفوس الناس.
- ٣- أن فرعون قد صرح على ربوبيته والوهيته بأكثر من موقع وموقف وأمام جمهوره، ولم نجد نمرود قد صرح بذلك إلا في موقف الحاجة.

س: لقد طرحنا في أثناء حديثك وطرحك للمحتملات أن إلهية نمرود مستحدثة وليس لها انتشار بين الناس، كيف اكتشفها إبراهيم ﷺ؟
اذكر المحتملات لذلك.



ج:

قال نمرود: ﴿أَنَا أُخِي وَأُمِّي﴾ فاستنسخ إبراهيم من هذه الكلمة الأمور التالية:

١- أن الحياة والموت من شؤون الإلهية لا من شؤون الربوبية لله، واستعمل إبراهيم (رَبِّي) بمعناها العام الشامل.

٢- أن نمرود قال: (أنا) ولم يقل: (وأنا) مثلاً ليدل على الأقل المشاركة مع الله بل حصرها بنفسه.

٣- أن إبراهيم ﷺ قد بدّل لفظ (رَبِّي) إلى (الله) ليبعد السامع عن كل مغالطة وما له دخل في هذا المعنى ليكشف أن نمرود قد ادعى الإلهية، ولهذا جاء بكلمة الإلهية (الله) على الرغم من أن دليله الآخر وهو إتيان الشمس من المغرب من مختصات الربوبية لا الإلهية، فالله لكونه رباً جعل النظام الكوني بهذا الشكل المناسب.

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾؟

ج:

أولاً: ﴿أَوْ كَالَّذِي﴾ عطف على الآية السابقة، ولكن هل هو عطف اللفظ أم عطف المعنى؟ فإذا قلنا: إنه عطف اللفظ ستكون بداية الآية هكذا: ألم تر كالذي مرَّ على قرية، أو ألم تر الذي مرَّ على قرية، هنا إذا قلنا بأن الكاف في (كالذي) زائدة. وإذا قلنا إن (أو) عطف المعنى سواء على الآية السابقة أو التي قبل السابقة فهو إما قد عطف الشواهد الثلاث **كَيْفَانٍ مِتَعَدَّةٍ لِلخُرُوجِ** من الظلمات إلى النور أو مشاهد ثلاث لا ارتباط فُهِم الإنسان بالحياة والموت يعرضها الله للرسول ﷺ ولجميع المخاطبين.

ثانياً: نبي من الأنبياء مع حمار له وعليه متاعه الذي يدل أنه خرج من بيته قاصداً مسافة بعيدة ، مرَّ هذا النبي على مدينة من المدن أو قرية من القرى ولم يكن قاصداً لها، بل صار طريق مروره عليها، شاهد البلاد وهي عبارة عن أطلال لم يُر منها إلا بعض السقوف الساقطة على الأرض خاوية على عروشها تحوي على آلاف القطع من عظام البشر وغير البشر والذي يدل وصف المدينة على هذه الحالة أنها قد مرّت عليها سنون طويلة وهي على هذه الحالة من الخواء.

أخذ النبي يتقرب من العظام وهو ينظر إليها ببصيرته وفكره وأخذه التعمق كثيراً في التفكير وهو يراها قد تغيرت نتيجة مرور السنين عليها، يرى مادتها وهي منتثرة رذاذاً على الأرض، يراها وقد أخذ الهواء الكثير منها حتى صارت لا تميّز بين مواد الأرض، ويأخذ عمق التفكير والتأمل بها حتى قال مع نفسه منبهراً كيف يحيي الله هذه العظام وكيف تدب الحياة فيها بعد أن أصبحت ميتة متناثرة الأجزاء لا حياة فيها، وهو في عمق الانبهار بقدرة الله بهذا الشأن الإلهي العظيم أماته الله بفصل روحه عن جسده لمدة مائة عام وأمات حماره كذلك، ثم بعثه الله من موته بعد مائة عام مرة على موته، فسأله الله تكليماً أو عن طريق الوحي: كم لبثت؟ وهذا السؤال نابع من شعور النبي لا على الواقع ولهذا قال: كم لبثت، ولم يقل له: كم مدة مضت على موتك مثلاً، قال النبي - وهو لم يستغرب بقائل القول، وهذا يدل أن عملية التكليم حالة طبيعية مع هذا النبي وهذا يدل على عظمة هذه الشخصية النبوية ﴿لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ أي أن النبي كان يشعر أنه في لبث كما قال صاحب السؤال وليس في حالة موت، بل إن لبثه في نظر النبي لم يكن طويلاً بحيث كان متردداً هل كمل اليوم عليه في اللبث أم لم يكمل، وهذا يعني أن النبي كان نائماً وكان الموت والحياة بهذه المدة جعلها الله بالنسبة إليه نوماً وانتباهاً، فجاء الرد بأن الذي كنت تشعر به من اللبث في يوم أو بعض يوم كان لبثاً مدته مائة عام وانظر إلى طعامك وشرابك فإنه لم يتسنه ولم يتأثر بالظروف البيئية من التعفن والاضمحلال، وانظر إلى حمارك فإنه هيكل عظمي كما هي العظام التي شاهدها انظر كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً.

ونظر النبي إلى حماره كيف تدب فيه الحياة وكيف رجع إلى حياته الطبيعية،

وبعد إكمال العملية وعرف المقصود منها وأن كل ما كان يفكر به قد أجيب عليه عملياً، قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير، أي لم يتغير إيماني وبقيني بقدرة الله سواء قبل هذه العملية أو بعدها، فإنه إيمان مستمر بنفس القوة العالية بقدرة البعث.

س: من قال إن الذي مرَّ على قرية كان نبياً؟

ج:

١- التكليم الذي جرى بينه وبين ربّه، وهذا النوع من التكليم سواء كان من دون واسطة أو بواسطة الوحي فلا يكون إلا لنبي.

٢- الروايات هي الأخرى تؤيد نبوة هذه الشخصية ومتفقاً أنه نبي وإن اختلفت في من هو النبي، عزير أو الخضر أو أرمياء، ولا معين ولا مرجح لأحدهما لاشتراك الجميع في الضعف.

٣- خاتمة الآية التي تدل على كونه نبياً كما ستري.

س: قد يكون مقصود النبي في قوله تعالى: ﴿أَنْتَى يُخْبِي هَذِهِ اللهُ بَعْدَ﴾ هي

القرية وأن إحياءها يعني عمارتها، فما هو جوابكم على ذلك؟

ج:

١- أن عمارة البلاد قد ترك الله مسؤوليتها على الإنسان.

٢- أن استعمال الحياة لإعمار القرية مجازي وليس بحقيقي، وأن الاستعمال الحقيقي للحالة المفترضة يكون بمثل القول: أنى يعمر هذه.

٣- وهل تجد أن إعمار القرية سؤال مهم وأنه يستحق مثل هذا الجواب بحيث يدون كآية من آيات الله؟!.

- ٤- أن موضوع الآيات الثلاث - كما قلنا - هو الموت والحياة المتعلقة بالبشر.
- ٥- لو كان المراد إعمار القرية لكان جواب الله وهذه العملية الإلهية في غير محلها لاختلاف موضوع السؤال والجواب، وحاشا الله من اللغو.
- ٦- أن مرور النبي كان على القرية ولم يكن قاصداً لها كما قلنا سابقاً، وهذا يعني أن العظام ظاهرة على السطح، فيكون موضوع السؤال يدور حول العظام لا غير.

س: لماذا سأل الله النبي: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ مع أنه يمكن أن يقول له مباشرة: **إِنَّكَ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ وَالنَّبِيُّ سَوْفَ لَنْ يَكْذِبَ الْخَبْرَ الْوَارِدَ مِنَ اللَّهِ؟** اذكر الاحتمالات في ذلك.



ج: ١- ليسحب الله الاعتراف والإقرار من نفس النبي ممّا يكون أوقع في التأثير والإذعان.

- ٢- أن لازم الإقرار هذا أن النبي ليس له دخل في الإمامة والإحياء.
- ٣- ليعرفنا أن الزمن ليس له حساب في ذات قدرة الله، فإن الله إذا أراد أن يفعل شيئاً من دون حساب لزمن أن يقول له: كن فيكون، وليس الزمن من الحالات الثابتة فيما جعله الله لعالم غير عالم الدنيا في إحساس البشر بالزمن، بل لكلّ عالم له خصوصيته وعالمه الزمني، ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾، ﴿وَيَوْمَ تَكُونُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (الروم: ٥٥).

س: ما هو سبب تردد النبي بين اليوم أو بعضه؟ اذكر الاحتمالات لذلك.

ج:

- ١- قد يكون التردد راجعاً إلى رؤية الوقت، حيث أماته في وقت غير وقت الإحياء ، فهل تخلل بين هذا الوقت ليلة أم لم يتخلل فيكون الشك في اليوم وبعض اليوم، كأن يكون موته في أول طرف النهار وإحياءه في آخر طرف النهار.
- ٢- قد يكون التردد راجع إلى إحساسه بمدّة نومه حيث نام نومة عميقة تعادل يوم أو بعض يوم، وهنا أخذه هذا الشعور سواء كانت إمامته وإحياءه في نفس الوقت أم كان مختلفاً بلا فرق.

س: كيف تثبت أن مودة النبي من قبل الله كانت مودة حقيقية لا عملية أخرى كالإغماء أو فقد الإحساس فقط كالسبات الذي حصل لأصحاب الكهف مثلاً؟



ج:

- ١- التبادر عند الإطلاق وهو علامة الحقيقة، وغيره يحتاج إلى قرينة ولا قرينة في البين في هذه الآية لتصرف الإمامة والإحياء إلى غير معناهما الحقيقي.
- ٢- لو قلنا: إن هذه الآية كشاهد على إثبات قدرة الله في الإمامة والإحياء فإجراء عملية غير الإمامة لا تكون شاهداً تاماً، لأن المطلوب هو الإمامة والإحياء المعهودان حقيقة لا شيئاً آخر.

٣- أن القرائن التي تحملها الآية تؤكد المعنى الحقيقي للإمامة والإحياء، ﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ و ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾.

س: لماذا قال النبي: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ولم تظهر منه كلمات التوبة مثلاً؟

ج:

١- ليعرف الجميع أن ما كان يفكر به وينبهر به لم يخرج عن دائرة الله، وأنها قد تكون حالة طبيعية يفكر بها كل إنسان عاقل وتأتي على تصوّره باختيار أو من دون اختيار، فإن الإنسان فطر على التفكير ومرور الصور الذهنية المختلفة عليه.

٢- وأعلم أنك عالم بكل شيء كما أنك قادر على كل شيء حيث كل ما خطر ببالي وتفكيري والصور الذهنية التي خطرت على ذهني كله محفوظ عندك، وقد تبين لي كل ذلك عملياً من خلال إجراء هذه العملية التي لم ترد على إيماني وبقيني بك إلا إيماناً وبقيناً ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

س: لماذا أمت الله النبي مع أن الجواب يمكن أن يأتيه بموت حماره فقط أو بموت النبي فقط؟ ولماذا الطعام والشراب؟



ج:

أن جواب هذا السؤال متعلق بانتهار النبي واستظامه لقدرة الله ﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ﴾، وقد ذكرنا سابقاً أن النبي في عمق من التفكير والصور الذهنية التي تأتيه في طول المدة وبجمع المختلف ووجود المؤثرات وحدوث المتغيرات، فإذا عرفنا ذلك سوف يتضح لنا جواب الله بأنه جواب على كل الحالات التي استعظمها النبي، وهي كالتالي:

١- إذا كنت قد استعظمت المدة هأنت قد مت مائة عام وقد بُعثت مرة أخرى، وإذا نظرت إلى هيبتك الخارجية ورأيها محفوظة كما هي من دون أن يطرأ عليها التغيير فلا تستغرب ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾، وإذا تريد أن تتيقن من مدة المائة عام ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ وهو ميت وانظر ما تبقى منه ممّا

فيه دلالة على مرور المائة عام على إمامته.

٢- إذا كنت قد استعظمت حالة جمع المتناثر في الأطراف البعيدة من الأماكن ﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ حيث لم يبقَ منه إلا الشيء القليل وأنَّ بقية أجزائه متناثرة بين ما هو على سطح الأرض وبين ما هو تحتها نتيجة مرور هذه المدة الطويلة على موته، فتجمعت أجزاؤه الكاملة وبث فيه الروح حتى رجع الحمار كما هو بحيث عرفه حماره (حمارك) وجميع علاماته أرجعت كما هي.

٣- إذا كنت قد استعظمت حفظ الشيء مع وجود المتغيرات والمؤثرات الطبيعية فانظر إلى طعامك وشرابك التي هي من المواد التي يسرع لها التغيير وتتأثر تفتسخاً واضمحلالاً بصورة أسرع من غيرها من المواد، إلا أنها لم تتأثر بالعوامل المؤثرة ولم تتغير على الرغم من طول المدة والجو المتغير والمكان الواحد.

٤- إذا كان كل استعظامك وانبهارك ناظراً إلى يوم البعث وكيف يخرجون من الأجداث أحياء فانظر إلى العظام كيف نجمها ننشزها ونكسوها لحماً إلى أن يرجع الكائن الحي إلى حالته الطبيعية وعلى ما كان عليه.

س: كيف عرف النبي أنه كان قد مات وليس بنوم كما كان يشعر؟

ج:

١- أن انبهار النبي بقدرة الله وتفكيره كان حول الموت والحياة.

٢- أمره الله بالنظر إلى ما حوله، أي كان حاله كحالهم من جهة الموت، ولم يذكر

موت الحمار وسكت عنه من باب الأدب الرباني الذي يريد أن يبعد وجه

المقارنة والمثل بين النبي والحمار حتى لو كانت من جهة الموت.

٣- ذكر المائة عام مع هذه القرائن المتعددة لازمه الموت لا غير.

٤- أن هذه الحادثة ليست هي الوحيدة التي تنقل حصول الإمامة والإحياء حتى نحتاج إلى تأويلها، بل كل ما حوله يحكي عن الموت السابق كما هو تبدل المجتمع الذي كان يعيشه النبي آنذاك.

س: ما هو المعنى المحتمل في قوله تعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾؟

ج:

هو بيان هدف العملية التي أجراها الله حيث لم يكن لها غرض متعلق بالنبي؛ لأن النبي كان على يقين واحد ما قبل العملية وما بعدها، وكان جل تفكير النبي بعظمة الخالق واستعظام قدرته على الإمامة والإحياء وانبهاره بها من دون أن يدخله أقل درجات الريب والجهل في ذلك ولم يسأل الله شيئاً، وإنما قوله: ﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ما هي إلا تساؤلات يفرضها التصور العقلي والذهني وهو يرى أغلب الأحداث التي فيها موت وأثار الموتى من عظام وغيرها وخصوصاً إذا كان المشاهد من المؤمنين فينتقل ذهنه إلى عالم البعث وكيفية الإحياء، فإنها حركة الفكر الطبيعية.

نعم، الله أجرى هذه العملية على النبي ليكون جواباً شافياً لكل من شك أو تصور أو يريد جواباً بما كان النبي متيقناً به في جميع ما تعطي العملية من دروس وعبر ومواعظ ودلائل، فهو جعل للناس ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾.

س: في قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ هل هذه عظام الحمار أو عظام أموات القرية؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

١- يمكن أن تكون عظام الحمار؛ لأنه عندما قال الله: انظر إلى حمارك فنظر النبي إليه وهو عظام متناثرة متآكلة نخرة، ثم نظر إليه كيف نشز الله عظامه بحيث جمعها وركبها ورفع بعضها فوق بعض، وكيف كساها لحماً حتى رجع إلى حالته الطبيعيّة.

٢- أن يكون الحمار باقياً على حياته ولم يصبه شيء من دون طعام ولا شراب، وإنما نشز الله عظام أموات أهل القرية وكساها لحماً دون أن يحييهم لينظر النبي كيف تدب الحياة من جديد في الأشياء الميتة التي لا حياة فيها، وأن موادها قد تناثرت في الأرض وقد مرّ عليها عشرات السنين.

س: قيل: إن قوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ أن الله قد أحى أهل القرية والنبي ينظر ذلك، ما هو المحتمل في الجواب على ذلك؟

مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

ج:

لا ينافي هذا الاحتمال قوله: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾؛ لأن النبي هو محور القصة ومصبّ الشاهد لتركيز واقعتها، فذكر هذا الخطاب لا ينافي التكملة المتعلقة بالقصة سواء بعظام الحمار أو بعظام غيره من الأموات، فيبقى النبي هو بطل القصة وهو الآية التي يتحدّث عنها القرآن ويستشهد بها للناس، إلا أن هذا القول لا يؤخذ به للأمر التالية:

- ١- فيه تعدّد على ظاهر الكتاب الذي وقف ذكره على جمع العظام وكسوها لحماً.
- ٢- أن نشز العظام وكسوها لحماً فقط يكفي للغرض الذي استعظمه النبي في كيفية أن تدب الحياة وتنتشر في هذه الأجزاء والعظام الميتة على الرغم من تطاول

السنين وحدوث المتغيرات.

٣- لم يوجد نص يعتبر أصحاب هذه القرية ممن أماتهم الله وأحياهم.

س: ما هو المحتمل في التفسير الإجمالي لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيَظْمِنُنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾؟

ج:

سأل إبراهيم عليه السلام ربه عن كيفية إحياء الموتى، وأراد أن يتعلم إبراهيم نفس عملية الإحياء وأن تجري على يديه ويشاهدها ببصره، فسأله الله حين قال له: أولم تؤمن؟ ليأخذ الله الإقرار منه؛ لأن مثل هذا السؤال ذو صيغة مشتركة فيمكن أن يخرج من المؤمن وغيره، وأخذ الإقرار ليبين حقيقة سؤال إبراهيم للناس لا له سبحانه العالم بكل شيء، فقال إبراهيم عليه السلام: بلى، أي بل لا، أي إني مؤمن - لأن نفي النفي إثبات - بأن الإحياء والإماتة هي من اختصاصك، ولكن سألت هذا السؤال ليدخل الاطمئنان في قلبي واليقين من خلال الحصول على الجواب في أن هذا الاختصاص يبقى منحصرًا بك، أم بالإمكان أن يترشح إلى الغير؟

أجابه الله عز وجل حينما قال له: خذ يا إبراهيم أربعة من الطير وضعها واجمعها إليك مدة حتى يتعودن عليك ويستأنسن بك ويتعودن على صوتك حتى عندما تدعوهن يأتين إليك، وبعدها اذبحهن وقطعهن بحيث تجعلهن أجزاء صغيرة واخلط بعضها ببعض حتى ينمحي التمييز بين أجزائها، ثم اذهب بهذا الخليط الذي حصل لديك من أجزاء هذه الطيور إلى عدة من الجبال وضع على رأس كل جبل شيئاً من

هذا الخليط إلى أن يتم توزيعه على الجبال العشرة حسبما ورد هذا العدد في الروايات ، ثم ارجع إلى مكانك، ثم ناديهن وأنت على هذا البعد سوف يأتينك سعياً كما كانت وبنفسها من دون تغيير. وفعل إبراهيم ﷺ كما أمره الله، ووقع كما قال الله، فكان جواباً تاماً شافياً اطمأن من خلاله قلب إبراهيم ﷺ وعلم أن الله عزيز حكيم. س: لماذا أبهم القرآن الأسماء عند عرض الشواهد في الآية السابقة إلا ذكر إبراهيم فاعنه قد صرح باسمه؟ اذكر المحتملات في الجواب.

ج:

- ١- عدم ذكر الأسماء وعدم الاهتمام بها بقدر ما يهتم القرآن بالحدث وإبراز ما يريد فائدته إلى الناس وتسليط الضوء عليه هي الصفة المميّزة للقرآن، فعدم ذكر الأسماء في الآية السابقة ليس غريباً حتى نسأل عنه، فلا نسبة بين العدد الواقعي للأنبياء وعدد ما ذكر القرآن أسماءهم.
- ٢- أن ذكر إبراهيم ﷺ في هذه الآية له دور كبير جداً، حيث هناك ضرورة لمعرفة نوع الطلب، فإن في الشاهد الأول الذي ادّعاه نمرود يمكن أن يدّعيه كل فاجر على سبيل العناد والمجادلة، والشاهد الثاني للنبي الذي مرّ على قرية يمكن أن يطرأ كصورة وفكرة على ذهن كل مؤمن، وأما الشاهد الثالث فهو طلب خاص ولولا أن ذكر الله اسمه لم نعرف نوع الطلب فيكون طلباً عادياً ضعيفاً أو غير ذلك من الأسباب كما سيأتي ذلك إن شاء الله عند تحليل سؤال إبراهيم ﷺ.

س: ما هو جوهر طلب إبراهيم ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّبُ الْمَوْتَى﴾؟ اذكر المحتمل في ذلك.

ج:

في جواب هذا السؤال تظهر قيمة بروز اسم إبراهيم ﷺ وأنه لا بد أن تضع صفاته من أنه نبي الله ورسوله وخليله وأنه من أولي العزم، وبعبارة ملخصة عالية: أنه بلغ أعلى درجات الفكر والإيمان بعد رسول الله ﷺ، مع ملاحظة وهي أن وقت سؤال إبراهيم كان فيه نبياً ورسولاً وخليلاً وبعد رجوعه من الهجرة الأولى التي وضع فيها إسماعيل الرضيع مع أمه في ذلك الوادي وهو في الطريق ما بين مكة والشام، عندما رجع لوحده انبرى عنده هذا السؤال لسبب ذاتي أو بواسطة ما أثارته من السؤال رؤية السباع وهي تأكل بعض الطيور وهو يتنقل بين الصحاري والوديان ويقطعها منفرداً على ما تتقل بعض الروايات، إذا عرفنا ذلك فهنا نقول:

أولاً: أن سؤال إبراهيم ﷺ لم يكن بمستوى السؤال عن كيفية أن تدب الحياة في الأجزاء الميتة ولا عن إمكان البعث أو كيفية حصوله ولا غير ذلك ممّا تصوّره النبي الذي مرّ على قرية ولم يسأل الله به، بل كان قد أجاب بنفسه عليه كما قلنا ذلك سابقاً، فإبراهيم ﷺ لا بد أن يكون قد تجاوز كل هذه المراحل من الأسئلة والتفكير لمستوى إبراهيم العالي كما هو واضح.

ثانياً: أن إبراهيم قد أراه الله ملكوت السماوات والأرض ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأنعام: ٧٥)، وملكوت السماوات والأرض هو من مختصات الله؛ لأن ملكوت كل شيء بيده سبحانه ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي فِي يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (يس: ٨٣)، وقد اطلع عليه إبراهيم، وربما أن يكون من جملة الملكوت خلق الأشياء، فالذي يكون مطلقاً على الملكوت هل يُعقل منه أن يسأل عن البعث وكيفية رجوع الحياة إلى الأجزاء الميتة ليطمئن قلبه بذلك؟!!

ثالثاً: لو كان سؤال إبراهيم ﷺ عن البعث أو عن كيفية أن تدب الحياة وتنتشر

في الأجزاء الميتة لكان الجواب ضعيفاً بالنسبة إلى الجواب الذي أُعطي للناس من خلال إمامة النبي الذي مرَّ على القرية الذي فيه القوة ما لا يتناسب مع هذا الجواب الذي أُعطي لإبراهيم. هذا مع أنَّ النبي الذي مرَّ على القرية ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، حيث لم تزد عملية الإمامة مائة مائة عام شيئاً على إيمانه ونريد من إبراهيم أن يكون قد طرح بنفسه الموضوع وليطمئن قلبه وهو من أولي العزم! بل هو جواب لا يناسب السؤال أصلاً؛ لأنه سبحانه كان بالإمكان أن يأتي بطير واحد لا أربعة بالتحديد أو أي حيوان أو يريه إنساناً واحداً وهو الأنسب ليوم البعث ويخفي أجزاءه بما لا ينظر إليها إبراهيم لا أن يذهب به إلى الجبال العشرة والله أعلم كم كان البعد بين جبل وجبل ولم يكن هناك داعٍ أن يجعل العملية بين يديه.

رابعاً: ومن هنا نعرف أنَّ جوهر السؤال هو أنَّ إبراهيم عليه السلام كان يعلم ويؤمن أنَّ الإمامة والإحياء من مختصات الله، ولا تعطى للظالمين من الناس كأمثال نمرود، ولا تعطى لعامة الناس، لأنها من اختصاصه سبحانه، ولكن هل يمكن أن يمنحها لخصوص بعض أوليائه بحيث يطلع على أصل الإمامة والإحياء التي يجريها الله على الأموات وخصوصاً أنَّ إبراهيم خليل الله وبينه وبين الله من القرب والأنس ما ليس لأحد سواه بعد الرسول ﷺ.

وبهذا نعرف أنَّ السؤال كان على مستوى عالٍ من الطلب يتناسب مع إبراهيم عليه السلام ويحتاج إلى جواب غير ما طرحه للناس من الآية السابقة، بل ويكفي فيه الجواب النظري بأن يقول الله له: لا يمكن ذلك أو يمكن ذلك، ولكن حوله الله إلى جواب عملي؛ لأنَّ طلب إبراهيم عليه السلام هو طلب رؤية الإشراف والممارسة بعلم، وشواهد هذا الرأي بالإضافة إلى ما مرَّ هي:

- ١- ﴿رَبِّ﴾ التي فيها عملية استعطاف وإشفاق وتوسل بالله لجلب ما فيه منفعة له، فاستعمل لفظ الربّ لجلب إليه ما يريد من الله باعتباره ربّاً له.
- ٢- ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي﴾ أي أريد أن أتعلّم الكيفية من خلال ممارسة عملية أراها، فهو يريد إمكان أن يتعلّم سرّ عمليّة الإحياء والإماتة التي تمكّنه من أن يُرجع الروح أو بانفصالها عن الجسم الحي بصورة مستقلة كما علّم سليمان منطق الطير من دون الحاجة إلى أخذ إذنه في التطبيق أو بإذنه التكويني، فنظر إبراهيم عليه السلام إلى نفس عملية الإحياء لا إلى الأحياء من الناس ولا إلى موتاهم ولا إلى غيرهم، ولهذا جاء بالتعبير إضافة إلى الكيفية بأن قال: ﴿تُحْيِي﴾ بضم التاء، أي الإحياء، أي أنت كيف تحيي، وعن الصفة الفعلية التي يتّصف بها سبحانه وتعالى، لا (تحيي) بفتح التاء التي تعني النظر إلى حياة الغير.
- ٣- ﴿الْمَوْتَى﴾ حيث أطلقها إبراهيم عليه السلام ولم يقيدّها بقيد يشير من خلاله إلى الإنسان الذي هو المقصود الرئيسي بالبعث والموت والحياة، فهناك فرق واضح بين قوله تعالى: ﴿تُحْيِي الْمَوْتَى﴾، المطلق الذي لم ينظر فيه إلى شيء بل إلى نفس العملية، وبين قوله في الآية السابقة: ﴿أَنْ تُحْيِي هَذِهِ﴾، التي فيها الإشارة الواضحة إلى الشيء الخارجي وبعد النظر إليه.
- ٤- ﴿لِيُطْمِئِنُّ قَلْبِي﴾، بإمكانك أن تعطي هذا النوع من العلم لخاصّة أوليائك وبالخصوص لخليلك، أم يبقى مختصّاً بك، وفي الحالتين سوف يطمئن قلبي بالنفي أو الإيجاب، ولأعرف أنّ موقع الخلّة والقرب هل له تأثير على ترشيح عملية الإحياء والإماتة منك إليّ، أم لها حدود؟ وهذا المعنى - أي (ليطمئن قلبي على خلّة) - نُقل عن الإمام الرضا عليه السلام، وعند ذلك أعرف ويعرف الناس

أنه ليس كل صفة ربانية يمنحها الله للعباد بل بعضها تبقى مختصة بالله ولا يمنحها حتى للأقرب منهم إليه.

٥- جريان العملية على يدي إبراهيم عليه السلام وهو حي لا من خلال إمامته وإحيائه ولا من خلال رؤية إحياء وإماتة من الخارج، ونعرف هذا من خلال جواب الله لإبراهيم، (خذ) و(فصرهن إليك) و(اجعل) و(ادعهن)، وهذه من مميزات تعليم سر العملية على يدي إبراهيم عليه السلام كما هو طلبه من الله ذلك.

٦- جريان العملية على الطيور يؤكد طلب إبراهيم عليه السلام لعملية الإحياء من دون النظر إلى من يحيي، فلو كان نظره إلى يوم البعث أو غير ذلك ممّا قيل لكان من المناسب أن يأخذ بشراً لا طيراً ولا أي حيوان آخر، وأخذ الطير وإن كان فيه دلالة على البعث إلا أنها ستكون أضعف من السؤال لو كان طلب إبراهيم ذلك كما هو ظاهر.

٧- اختتام الآية ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فلو كان نظر إبراهيم عليه السلام إلى البعث وكيفية أن تدب الحياة في الجزء الميت أو كيفية جمع المتناثر من الأجزاء وغير ذلك ممّا ذكر في هذا الاتجاه والذي يرجع محصله إلى تعلق القدرة بالإحياء بعد الموت لكان الأنسب أن تختتم الآية واعلم أن الله على كل شيء قدير لمناسبة الموضوع المطروح في السؤال والجواب، بينما نجد أن اختتام الآية بالعزير الحكيم هو الجواب المناسب والمحافظة على وحدة موضوع السؤال والجواب عندما نقول: إن طلب إبراهيم عليه السلام هو نفس العملية، وسيأتي مزيد من التوضيح حول هذه النقطة إن شاء الله.

س: ماذا فهم إبراهيم عليه السلام من جواب الله على سؤاله النفى أم الإثبات؟ أي هل

فهم أنه بإمكانه أن يتعلم كيفية الإحياء للأموات أم بقي اختصاصه بالله ولم يعطه لأي أحد؟

ج:

يوجد احتمالان في فهم إبراهيم ﷺ من جواب الله من هذا العملية حسبما يعطينا ظاهر الآية هو بين النفي والإيجاب، أي قد تكون عملية الإحياء والإماتة تبقى بيده ومن اختصاصه سبحانه وتعالى ولم يفش سرها حتى لإبراهيم وهو معنى النفي، أو قد يكون الله قد منحها لإبراهيم ﷺ وهو معنى الإيجاب، ولمعرفة الاحتمالين لابد أن نضع جواب الله لإبراهيم أمام أعيننا لنرى ماذا يمكن الاستنتاج منه ﴿فَخَذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرَّهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾:

الأقول: شواهد الاحتمال الأول (النفي) من هذا الجواب هي:

١- ﴿فَخَذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرَّهُنَّ إِلَيْكَ﴾ علوم رسي

أولاً: لم يُجب الله نظرياً بل عملياً؛ لأن إبراهيم طلب الرؤية والتعليم العملي.
ثانياً: استعمال الطير بالذات، لأن نظر إبراهيم إلى العملية وأما الموتى فهو مطلق يصدق على الطيور وغيرها.

ثالثاً: أن العدد أربعة مع الطيور ليس له مدخلية في جوهر العملية إلا لأجل تحقق الصنف المختلف من الطيور كما عليه بعض الروايات، أو لأجل سهولة سيطرة إبراهيم على معرفة الطيور، أو سهولة تربيتهم ودعوتهم على إبراهيم، أو أن يكون أمر الله بأخذ الطيور من باب النموذج والعينة ليس إلا، فإبراهيم لو أخذ أقل أو أكثر أو غير الطيور فلا يؤثر شيئاً على الجواب وفهم إبراهيم.

٢- ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾

١- أن إبراهيم لم يشرف على عملية الموت بل على سببه الذي هو الذبح والتقطيع وخلط الأجزاء بعضها ببعض كما يشرف عليها أي أحد من البشر.

٢- جعل كل جزء من الخليط على جبل مع تعدد الجبال العشرة على ما ورد في الروايات ووقوفه بعيداً عن الجبال (ثم ادعهن) المناداة التي هي حالة طبيعية للبعد لوضع الجزء على الجبال، وهذا معناه قد منع الله إبراهيم حتى من رؤية عملية الإحياء تماماً.

٣- ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا بُرَيْحَةَ يَا ثَمْرَةَ يَا زَيْنَبَ يَا رَحِيلَةَ يَا لَيْلَىٰ يَا هَارِيَةَ يَا ثَمْرَةَ يَا زَيْنَبَ يَا رَحِيلَةَ يَا لَيْلَىٰ يَا هَارِيَةَ﴾

قد نادى إبراهيم ﷺ الطيور وقد جاءته سريعاً من تلك الجبال البعيدة المتعددة، وهاهي قد حضرت أمامه وبنفسها وكما هي عليها، وهذا ليس فيه دلالة إلا على أوليات الإيمان بقدرة الله وعلى الأوليات من الإيمان بالمعاد التي قد تجاوزها إبراهيم الخليل كما قلنا سابقاً، فهذا لم يكن جواباً على سؤال إبراهيم على كيفية الإحياء وعن رؤيته، حيث إنه لم ير شيئاً لا ابتداءً ولا نهاية، وبهذا فهم إبراهيم ﷺ أن الإماتة والإحياء لم يمنحها الله له، وإذا كان قلب إبراهيم بعد لم يكن مطمئناً بما فهمه من عدم المنح فقد جاءه جواب الله ﴿وَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

أي اعلم يا إبراهيم، أنه يبقى الله وحده هو المتفرد بالإحياء والإماتة فلا يعطيها لغيره، وأنه القاهر لعباده بالموت والحياة ليظهر عجزهم، وليبقى المميز بين الله وبين غيره بالمختصات التي اختصها لنفسه ولم يمنحها لغيره، وأن عملية الإماتة والإحياء ليس كغيرها من صفات الفعل حتى يمكن منحها، وأنه هو

الحكيم فيما يمنع وفيما يعطي حتى لأولياته والمقرّبين عنده، وبهذا قد اطمأن قلب إبراهيم عليه السلام بأن عملية الإحياء لا تُعطى ولا تُمنح لأحد بصورة مستقلة، ولا تُمنح لأحد على أي مستوى من الإحياء والإماتة سواء بالطير أو ما هو أقل من الطير أو ما هو أعلى منه روحاً وتكويناً.

الثاني: شواهد الاحتمال الثاني (الإثبات) هي:

١- ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾

أن عدد الأربعة والطيور لهما دخل في جوهر العملية، حيث لسهولة تكوينها وروحها البسيطة نسبة إلى الإنسان حتى يتمكن إبراهيم من السيطرة عليها ومعرفتها جيداً.

٢- ﴿فَصُرَّهُنَّ إِلَيْكَ﴾

أي اجمعهن واطمئنن إليك فترة من الزمن حتى تنظر إليهن بنظرتك الخاصة للأشياء حتى تندمج روحك مع أرواحهن لتكون عملية التربية والتفاعل معهن على أساس روحي على عملية إشراف من الخارج.

٣- ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾

ثم اذبحهن وقطعهن وأنت ترى كيف تنفصل الروح عن الجسد برؤية ثاقبة خاصة نضيفها لك، ثم اجعل الخليط على أبعد النقاط المختلفة بأن توزع الخليط على عدّة من الجبال، وليس عليك إلا تحديد الجبال وتعيينها عند النظر إليها لنريك أن البعد المكاني أو الزمني ليس له تأثير في عملية الإحياء، كما نريك أن تناثر الأجزاء أو تفسخها وتغييرها لا يؤثر على عملية الإحياء؛ لأن وضعها على عشرة جبال يعني هذا أن الخليط لم يبق على حاله مع وجود

الفترة الزمنية بين وضع الأجزاء ودعوتهن حيث توجد ثم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ فيه دلالة على التراخي، أي هناك زمن بين الذبح وبين الدعوة .
 ٤- ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا تَيْنَكَ سَعِيًّا﴾

يا إبراهيم عندما تنتهي من عملية التوزيع، وصرت لا تنظر إلا إلى الجبال التي يتوزع عليها الخليط ادعهن، وبدعوتك سوف نرشدك بالعملية وهي تترشح على روحك وكل كيائك لتقوم بعملية الإحياء بنفسك؛ لأن الأمر بادعهن هنا أمر تكويني الذي يصير المخاطب إبراهيم فيه جزءاً من الأمر والخطاب، وأن خطابك لهن هو الإيجاد لهن، بدأ إبراهيم ﷺ يدعو الطيور بدعوة القريب أي من غير مناداة البعيد وهو ينظر إلى الجبال العشرة نظرة المتمركز على الشيء بصرًا وبصيرة وروحاً التي من خلالها سيطر إبراهيم سيطرة بقوة إلهية تكوينية منحها الله له، بحيث جعلت أرواح الطيور بين يديه، والتي من خلالها سيطر على الأجزاء فتركبت بعضها على بعض وتشكل بعضه ببعض حتى التحق كل جزء بمركبه وصار كل طير على هيئته وجاءت إليه الطيور سعياً وسريعة.

٥- ﴿وَاعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

انتهت العملية واطمأن قلب إبراهيم ﷺ بما رآه وبما شاهده وتعلمه من فعل الله على يديه بهذا المقدار وحينما أطلع سبحانه وتعالى إبراهيم على عملية الإمامة والإحياء، واطمأن إبراهيم حينما أطلع على حقيقة العزة والحكمة التي تجري في هذا الاختصاص.

س: من شواهد الاحتمال الثاني ذكرت البعد بأن يضع الخليط على الجبال، ما هو علاقته بالعملية؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

أن الكائن الحي من الحيوان متكوّن من البدن والروح وأن الروح أهم من البدن فإذا تمت السيطرة على الروح فتذوب أمامه كل الموانع والحواجز التي تحجزه عن البدن لتبعية البدن المطلقة للروح، فالروح هي التي تجمع المتشابه المنسجم معها وتنتزعه من بين المختلط كما تنتزع وتجمع قوّة المغناطيس قطع الحديد من بين الأجسام الغريبة المختلطة مع تلك القطع، فعندما أعطى الله الأرواح الأربعة للطيور بين يدي إبراهيم، وقد عرف إبراهيم روح كل طير مسبقاً من خلال ﴿قَصُرُهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أخذ يوجه كل روح إلى أجزائه وبدنه الخاص به.

س: على الاحتمال الثاني هل تعلم إبراهيم عملية الإماتة والإحياء؟ اذكر المحتملات في ذلك.



ج:

الأول: أن إبراهيم عليه السلام قد تعلم العملية ولكن على مستوى الطيور الأربعة فحسب وذلك للأسباب التالية:

١- قد يكون لقدرة إبراهيم على ذلك دون الأصعب والأكثر.

٢- القدر المتيقن من ذكر العدد والطيور لا مطلقاً.

٣- أن أرواح الطيور تختلف عن غيرها من ذوات الروح.

الثاني: أن إبراهيم عليه السلام قد تعلم العملية لمطلق الإحياء والإماتة، وذلك للأسباب

التالية:

١- أن عدد الأربعة من الطيور ما هو إلا نموذج لكبرى العمليات، كما تجرى اليوم

التجارب على الضفادع والطيور والفئران فلا تصل النوبة إلى الإنسان، بل يكفي

جريان التجارب على الحيوان، فما حصل عليه إبراهيم من التجربة على الطيور بإمكانه أن يجريه على غيره.

٢- لا اختلاف في الأرواح بين الطيور وغيرها.

الثالث: أن إبراهيم قد تعلم العملية ولم تبقى مستمرة عنده، بل قد سلبت منه بعد ذلك ﴿وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الذي يستفاد منه أن الله يبقى هو المتفرد بذلك، وأن إبراهيم لم يطلب من الله بقاءها وديمومتها عنده.

الرابع: أن الله قد أجرى العملية على يدي إبراهيم ﷺ من دون معرفة سرّها، أي ما كان دور إبراهيم إلا أن وضع يده على أزرار الآلة دون معرفة كنه عملها؛ لأن ما أجراه الله على يدي إبراهيم كان كافياً في الجواب.

س: لو قلنا: إن الله منح أو منع إجراء عملية الإحياء والإماتة على يدي إبراهيم ماذا يمكن أن نستفيد من ذلك؟ اذكر المحتمل من الجواب.

مركز تحقيقات كميّة علوم إسلاميّة

ج:

في حالتي المنح والمنع يمتنع الغلو في الشخصية وتأليهها، حيث في حالة المنح نعرف أن ما حصل على يدي عيسى ﷺ وغيره هو من الله وليست الشخصية إلا وعاء العملية، وفي حالة المنع نثبت عجز الشخصية أمام الله وأن ليس لها أي دخل في عملية الإماتة والإحياء حتى على مستوى أن يكون وعاء العملية، بل هي عملية مباشرة من الله لضرورة كما حصل لعيسى ﷺ حيث هي إحدى معاجزه وليس له دور إلا أن يضع يده على الميت ولا علم له بغير ذلك، أو لكرامة له عند الله كما إذا دعا الله المعصوم في موقف من المواقف لإحياء ميت أو إماتة حي، ففي الحالتين يمتنع الغلو.

وبهذا قد بين إبراهيم من خلال سؤاله وجواب الله له أن المعصوم مهما بلغ قربه

من الله فهو لا تختلف بشريته عن بقية البشر وأنه عبد الله لا يمتلك إلا ما ملكه الله نتيجة ما يمتلكه المعصوم من القوة الروحية والقرب لله التي اكتسبها من فكره وعمله وإيمانه العميق الذي لا يصل إليه عامة الناس.

س: أي من الاحتمالين أقوى في نظرك، أي أن الله هل منح الإحياء لإبراهيم أم لا؟

ج:

إذا ثبت بالحجة القاطعة أن تربية إبراهيم عليه السلام للطيور كانت من أجل التمازج الروحي، وأن الله قد رشح الإمامة والحياة على يدي إبراهيم عليه السلام تكويناً بدعوته للطيور فيكون الاحتمال الثاني هو الأقوى، ولكن من أين ثبت ذلك ظاهراً؟!



مركز تحقيقات کامپویر علوم اسلامی

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦١)

● الإنفاق

(١) الإنفاق كسب مضاعف

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

- ١- الحَبَّة: اسم جنس لما يقتاتة.
- ٢- أنبتت: نبتت وأخرجت نباتاً.
- ٣- سنبله: كل ما على الحبة من زرعها بحيث يسترها.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾؟

ج:

يشبه الله عطاءه بمثال حسيّ للذي ينفق في سبيله، المثال هو حبة نباتية قد زُرعت في أرض خصبة وسقيت حتى أخرجت منها سبع سنابل تحمل كل سنبله مائة حبة فأصبحت الحبة الواحدة سبعمائة حبة، بالإضافة إلى أن هذا العدد - أعني: السبعمائة - لا يقف عند هذا الحد، بل الله يضاعف بالمثل أو المثليين أو

الأكثر، ولا تحديد لنوع المضاعفة هل هو من جنسها أو من غير جنسها؟ ولا تحديد لمحل العطاء في الدنيا أو في الآخرة أو كلاهما لإطلاق كلمة ﴿يُضَاعَفُ﴾؛ ولأنَّ الله واسع في عطائه ولأنَّه وحده العليم بعبائمه، وعطاء الله يتناسب طردياً مع نوعية الإنسان المعطي من حيث إخلاصه لله واهتمامه بالأولويات وبما هو الأهم بنظر الشارع المقدَّس، وبحسب حاله من الغنى والفقير ونوعية المعطي وأخلاقه وطريقة عطائه.

س: لماذا شَبَّهَ العطاء بالحبَّة؟

ج:

لأنَّ الحبَّة أصل النبات، وكلَّ النبات ينبت في الأرض ويعاني ما يعاني وينذل ما يينذل، وكلَّ ذلك لأجل الآخرين لا لأجل نفسه، فالنبات كلُّه عطاء وكلُّه تعويض مضاعف.

مركز تحقيقات كامپوتير علوم إسلامي

س: هل هذا المثل الحسي من الحب والسنابل ناظر إلى زرع معين؟

ج:

قد يكون ناظراً إلى حبَّات الدخن، وقد يكون ناظراً إلى غيرها باعتبار أنَّ بعض البذور تنتج أكثر من هذا العدد كما نقل أخيراً عن بعض مزارع القمح وتطوُّر الآلات والخبرة الزراعية.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْأً وَلَا
أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٦٢)

(٢) ألا يتبع الإنفاق المن والأذى

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- الإيتباع: الإلحاق واللاحق.

٢- المن: قطع الصلة.

٣- الأذى: ما يوجب الكراهية والبغرة.

س: ما هو التفسير المحتمل لمقاطع قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْأً وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؟

ج:

أولاً: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾

كل نعمة ذات منفعة أو عين من الحلال والخير تنفق في سبيل الله قصداً وفي
مصب الله طريقاً وسلوكاً وسواء على المستوى الفردي أو الجماعي فهي إنفاق في
سبيل الله.

ثانياً: ﴿ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْأً وَلَا أَذَى﴾

هناك صفتان لهما ارتباط بعملية الإنفاق ومما تتولد عند نفس المنفق وتكون

موضوعاً من المواضع التي يستقرّ فيها الشيطان وفرصة من فرصه التي ينتظرها حيث يثير في نفس المنفق صفتين نفسيّتين يؤذي المنفق من خلالها المنفق عليه، والصفتان هما:

الأولى: المنّ، وللمنّ حالتان:

١- حالة الإيجاب: وهي النعمة الثقيلة والعظيمة التي ينفقها المنفق، والتي يتصف صاحبها بذي المنّ، وهي إحدى صفات الله الحسنى (المنان)، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٤).

٢- حالة السلب: وهي حالة مرضية أخلاقية قلبية تنعكس سلوكاً وفعلاً كأن يتناول المنفق على المنفق عليه، أو تنعكس قولاً ولفظاً كأن يقول المنفق للمنفق عليه كلاماً جارحاً يجلب له الإهانة والذلة، وهذه الحالة بمجموعها هي المبعوضة عند الله والعقل والشرع، ورد عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: «وأجر للناس على يدي ولا تتحققه بالمن» (١).

الثانية: الأذى: وهو ما يلحقه المنفق لأجل إنفاقه على المنفق عليه من الجهد والتعب والإرهاق والخدمة وكلّ ما هو مكروه جسدياً ومعنوياً، فلا يقدم ما ينفق عليه إلا بعد أن يقدم له خدمة، وهو من الأمور المنهي عنها والمبعوضة لدى الله، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «من أسدى إلى مؤمن معروفاً ثم آذاه بالكلام أو منّ عليه فقد أبطل الله صدقته» (٢).

الآية: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(١) الصحيفة السجادية: ١٠٠.

(٢) تفسير القمي ٩١:١.

المنفق الذي تملؤه العاطفة والشعور بالمسؤولية تجاه الفقراء والمحتاجين وتجاه مشاريع الدين والإسلام وهو يحاول من خلال إنفاقه أن يملئ الفراغ من دون أن يرافق ذلك العطاء أي منة أو أذى أو استغلال، بل هو في مرضاة الله وفي سبيل الله، عند ذلك يُحسب من المنفقين عند الله، ويكون كل ما يقدمه يؤجر عليه من قبله ويحصل عليه أضعافاً مضاعفة. هذا بالإضافة إلى أنه سوف يمرّ بأمان وبلا خوف فيما بعد الموت ويوم النشور ولا يدخل لقلبه حزن أو تأسف على ما أنفق، بل سيراه أمامه كاملاً ومضاعفاً وكله لطف ورحمة من الله.



مركز تحقيقات کامپیوتر علوم اسلامی

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ

حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٦٣)

(٣) الأخلاق الحسنة اهم من الإنفاق

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير الآية المذكورة أعلاه؟

ج:

- ١- أن يرُدَّ المنفق السائل بقول حسن لا يقدر بكرامته وعزّته بطلب العفو منه خير من أن يقدم له صدقة مصحوبة بأذى يمس كرامته.
- ٢- أن الذي يرُدَّ السائل بالأخلاق الحسنة فقط خير من ذلك المنفق بالمن والأذى، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما آمن بالله ولا بمحمد ولا بعلي، من أتاه أخوه المؤمن في حاجة لم يضحك في وجهه...»^(١)
- ٣- عند توزيع المعونات على المحتاجين أن تصبر على ما يصدر من المحتاجين نتيجة حاجتهم ونفاد صبرهم وزيادة معاناتهم وكثرة مشاكلهم وتبقى مستمرّاً على القول المعروف وطلب العفو فلا يستفزك ما يصدر منهم من التصرفات، فإنه خير ممّا توزّعه بأذى؛ لأنّ الأخلاق الحسنة تطفئ نار غضبهم على صاحب الثروة وتقلل من شعورهم بالنقص والحرمان، ورد في خبر عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسأله حتى يفرغ منها، ثم ردوا عليه بوقار ولين؛ إمّا بذل يسير أو ردّ جميل، فقد يأتكم من ليس

بأنس ولا جان ينظرون كيف صنيعكم في ما خولكم الله تعالى»^(١).
٤- أيها المؤمنون المتخلقون بأخلاق الله، إن الله هو الغني المطلق وغناكم منه سبحانه، وأنه يتصف بالحليم الذي لا تأخذه ردود الفعل ويُستفز بمعصية الآخرين فلا ينزل العقاب المباشر، بل ينتظر من عباده العفو والغفران فتعلموا من صفته وكونوا ربانيين حلما واستمروا بالقول المعروف والأخلاق الحسنة وإن صدر من الآخرين ما لا يليق بكم.



﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي
يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ
عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٦٤)

(٤) الرياء مبطل للإنفاق

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

- ١- الإبطال: أ- التعطيل. ب- المجيء بالباطل.
- ٢- الصدقة: العطاء من غير عوض.
- ٣- الرثاء: إراءة الغير. *مركز تحقيقات كامپيوتر علوم اسلامی*
- ٤- صفوان: الحجر الأملس.
- ٥- التراب: تراب الأرض.
- ٦- أصاب: الوقوع فيه.
- ٧- وابل: المطر الشديد.
- ٨- الصلد: الحجر الذي لا ينبت فيه زرع.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا
صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا

لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٤﴾

ج:

أولاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَنَثَلَهُ كَمِثْلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾

مثل آخر يضربه الله للمؤمنين ليحذروا المن والأذى وهم ينفقون، وعدم السقوط فيه وأنه من محبطات العمل، بل إحباط العمل بالمن والأذى كإحباط عمل المرابي في الإنفاق وأنه غير مقبول عمله من الأصل، ثم يضرب الله مثلاً حسياً آخر مختصاً بالمرابي ليكون أوقع في النفوس للتحذر من المراءاة ومن المن والأذى؛ لأنهم اشتركوا جميعاً في حبط أعمالهم، والمثال هو: أن عمل المرابي كالحجر الصلد الذي عليه تراب فنزل عليه المطر الشديد فأزال التراب عن سطح الحجر وبقي الحجر على صلابته من دون أن يترك التراب والمطر أي أثر في حياة الحجر بالزرع عليه، مع أن التراب والمطر أهم شيء في زرع الأرض وانبعاث الحياة فيها.

ثانياً: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾

المرابي قد عمل وبذل جهداً وأنفق، وقد خسر بسبب ريائه شيتين بحيث لا يقدر على أن يسترجعهما وهما: المال الذي بذله وأنفقه، وخسران الأجر وثواب الله ومرضاته، فالذي يصرّ على هذه الحالة سوف لا يهتدي إلى توبة أو غفران بسبب عصيانه الكبير المصّر عليه الذي ينمّ عن عدم إيمانه بالله وباليوم الآخر، فيكون من الناحية العملية حاله حال الكافرين.

ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي الرِّبَاءِ فَإِنَّهُ الشَّرْكُ بِاللَّهِ، أَنْ الْمُرَائِي يَدْعَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَرْبَعَةِ أَسْمَاءَ، يَا كَافِرًا، يَا فَاجِرًا، يَا غَادِرًا، يَا خَاسِرًا، حَبِطَ عَمَلُكَ وَيَطُلُّ أَجْرُكَ فَلَا خَلَاصَ لَكَ الْيَوْمَ فَاتَّمَسْ أَجْرَكَ مِمَّنْ كُنْتَ تَعْمَلُ لَهُ»^(١).

س: لماذا هذا التكرار والتأكيد في ذم صفتي المن والأذى والتحذير منهما في حالة الإنفاق بالخصوص؟ اذكر المحتملات في أسباب ذلك.

ج:

أولاً: الخطر الاجتماعي، نرى ذلك بملاحظة الأمور التالية:

- ١- المن والأذى إهانة لكرامة الناس.
- ٢- المن والأذى يزرع الضغينة والعداوة والبغضاء بين الفقراء والأغنياء.
- ٣- المن والأذى ضعف لإرادة الإنسان وزيادة في الشعور بالسقوط الاجتماعي وبالتالي هو شلّ لحركة المحتاج.
- ٤- أن الله أراد من الإنسان أن يكون منفقاً على الآخرين لا منفقاً عليه، حيث الذي ينفق بمن وأذى يأخذ من الآخرين أكثر مما يعطي، حيث المنفق بهذه الأخلاقية يأخذ كرامة الإنسان ويسلب منه إرادته ويسبب له الذلّة وما هو أعزّ من المال كثيراً، وعند كلّ عاقل أن المعنويات أغلى عنده من الماديات، بل إنه يقدم نفسه ضحية من أجل كرامته وعزّته.

ثانياً: الخطر العقائدي، نرى ذلك بملاحظة الأمور التالية:

- ١- المن والأذى له التأثير السلبي على عقيدة الفقراء بالله وبالدين، حينما يرى أن الله قد أوكل قضاء حاجته عند من يجلب له الذلّ والهوان.
- ٢- المن والأذى زيادة في بثّ روح اليأس وبالتالي تكاسل المحتاج عن

النشاط الديني.

٣- أراد الله من الإنفاق قهر النفس وتربية الروح لتسمو عن عالم المادة ولتتقرب إلى الله، والمن والأذى يبعد عن الله ويقرب المنفق إلى الشيطان.

س: ما هو الخطر الذي يكمن وراء الإنفاق بدافع الرياء؟

ج:

١- أن الرياء في الإنفاق أفضل طريق لخداع الناس وتضليل آرائهم وانحراف

مسيرهم ﴿رِيَاءَ النَّاسِ﴾ (البقرة: ٢٦٤)، (النساء: ٣٨)

٢- أن الرياء في الإنفاق طريق لتسلق المفضولين في المراكز الحساسة للدولة

والحصول على المواقع المهمة في البلاد.

٣- أن الرياء في الإنفاق طريق لاختراق الصف الإسلامي بالشخصيات المنحرفة.

٤- أن الرياء في الإنفاق طريق للصد عن سبيل الله وتضعيف المؤسسات المخلصة.

٥- أن الرياء في الإنفاق طريق يمنع سد الحاجة الواقعية والأهم في المناطق البعيدة

عن الرياء.

٦- أن الرياء في الإنفاق طريق لتبعيد الشخصيات الإيمانية الملتزمة وأصحاب

الكفاءات عن ساحة العمل. ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَنْ عِنْدَ

رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يُنْفِقُوا﴾ (المنافقون: ٧)، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«وليس لواضع المعروف في غير حقه وعند غير أهله من الحظّ فيما آتى محمداً

اللثام، وثناء الأشرار، ومقالة الجهّال، مادام منعماً عليهم، ما أجود يده وهو عن

ذات الله بخيل؟»^(١).

(١) نهج البلاغة ٢: ١٤٢/٢٤.

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٦٥)

(٥) تثبیت النفس بالإنفاق

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- الابتغاء: الطلب.

٢- المرضاة: القبول.



٣- التثبيت: الوقوف والثبات القوي.

٤- الربوة: المكان المرتفع. مركز تحقيقات كلية أصول العلوم الإسلامية

٥- الأكل: ما يكون قابلاً للأكل.

٦- الطل: صغار المطر.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾؟

ج:

مثل يضربه الله للذين ينفقون من أجل مرضاة الله ولم يوهن عزمهم شيء على

الإِنْفَاق، بل هم من الثابتين قلباً على الإيمان بالله وبما ينفقون من أنه مكتوب عند الله ومؤمنون بيوم الآخرة الذي سيجدون عنده كل ما أنفقوا وبأضعاف مضاعفة فلا رياء ولا مَنَ ولا أذى، بل خالص لمرضاة الله منضبط النفس ثابت القلب والخطى على أخلاقية الإِنْفَاق.

إِنَّ مَثَلَ عِطَاءِ هَؤُلاءِ وَأَثَرِهِ الإِيجَابِي عَلَى الآخَرِينَ وَعَلَى أَجْيَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَسُرْعَةَ قَبُولِهِ وَمَزِيدَ عِطَائِهِ عِنْدَهُ سَبْحَانَهُ كَمَثَلِ جَنَّةٍ وَبِسْتَانٍ كَثِيفَةِ الأشْجَارِ وَهِيَ عَلَى مَحَلٍّ مَرْتَفِعٍ تَتَمَتَّعُ بِالهَوَاءِ الصَّافِي البَعِيدَةِ عَنِ الحَشْرَاتِ وَبِالأَرْضِ الخَصْبَةِ وَالنَّقِيَّةِ مِنَ الأَمْلَاحِ وَالمُسْتَنْقَعَاتِ بَعِيدَةِ عَنِ تَنَاوُلِ المَارَّةِ وَالمَعْتَدِينَ، فَمَثَلُ هَذِهِ الجَنَّةِ ذَاتِ المَنْظَرِ الجَمِيلِ يَكُونُ عِطَاؤُهَا مُضَاعَفاً بِكَمِّيَّتِهِ وَنوعِهِ، وَهِيَ تَكْتَفِي - هَذِهِ الجَنَّةُ - بِالمَطَرِ فِي عِطَائِهَا مِنْ دُونِ الحَاجَةِ إِلَى سَقْيِ أَشْجَارِهَا، لَا بَلْ تَكْتَفِي حَتَّى بِقَلِيلٍ مِنَ المَطَرِ فِي المَحَافِظَةِ عَلَى إِدَامَةِ عِطَائِهَا، وَاللهُ بِصِيرِ بَعْبَادِهِ يَعْلَمُ المَسْتَحَقَّ لِهَذَا العِطَاءِ فِيعْطِيهِ. كَمَا أَنَّ المَثَلَ بِالبِيسْتَانِ مَثَلٌ لِصُغُودِ هَؤُلاءِ وَثَبَاتِ قُلُوبِهِمْ فَهَمْ ثَابِتُونَ فِي عِطَائِهِمْ وَإِنْفَاقِهِمُ الخَيْرِ لَا تَهْزَهُمُ الهَزَائِرُ وَلَا تَوْهِنُ إِرَادَتُهُمْ وَاسْتِمْرَارُهُمْ عَلَى العِطَاءِ فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الجَنَّةِ بِرَبُوعَةٍ لَا تَغْيِرُ مِنْهَا العَوَاصِفُ وَلَا تَزِيدُهَا إِلاَّ عِطَاءً وَمَقَاوِمَةً لِكُلِّ الظُّرُوفِ الطَّبِيعِيَّةِ الصَّعْبَةِ .

﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعَفَاءُ
فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢٦٦)

(٦) الإنفاق ذخيرة للمنفق وضمان للذرية

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:



١- يودّ: يحب.

٢- النخيل: شجر التمر.

٣- العنب: شجر ثمر الكرم. مركز تحقيقات كلية أصول العلوم إسلامي

٤- الكبر: الشيخوخة.

٥- الإعصار: ربيع شديد تنبعث من الأرض إلى السماء عمودياً.

س: ما هو المحتمل لتفسير قوله تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ
نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ
الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾؟

ج:

استفهام لإنكار الود في أن يحصل هذا الشيء للمنفق، وأنه تحذير لأجل

الابتعاد عن الذي يحبط قبول العمل وعطاءه سبحانه، فإن من جملة دوافع المنفق يريد أن يجعل له ذخيرة يحفظها عند الله ليقدمها إليه في يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا قدرة على شيء ولا أمل في شيء إلا العمل والمحاسبة عليه، فيضرب الله مثلاً لهذه الحالة وهي: أيحب أحدكم في أن يملك بستاناً وجنة ذات أشجار كثيرة وكثيفة ومثمرة، ومن بين ثمارها المعطاءة شجر التمر والعنب لما في هذين الشمرين من النفع التجاري وما يعود على الإنسان عند أكله، وفيها من كل الثمرات والأشجار الخضرة التي تستقي من الأنهار التي تحتها، فهي تجمع بين جمال العطاء والمنظر، وكانت هذه الجنة هي الأمل الوحيد لمالكها حيث جعلها ذخيرة له عند الكبر، وفعلاً أصابه الكبر ولم يمتلك معيناً يعينه على رزقه إلا هذه الجنة باعتبار أنه يمتلك ذرية ضعافاً لا يقدر على العمل، فلا ممون لرزقه إلا تلك الجنة، وهو بهذه الحالة من الشيخوخة وذرية ضعاف فإذا الإعصار يأتي ليحرق الجنة وي تلف كل ما فيها لترك الشيخ وذريته الضعفاء بلا رزق يقفون منه.

هكذا يفعل الرياء بالعمل وهكذا تفعل الأخلاق السيئة بالعمل وهكذا يفعل عدم خلوص النية بالعمل، فإذا أخذك العطف والحنان على ذلك الشيخ وتلك الذرية فليأخذك العطف والحنان على نفسك يوم القيامة، فإن هذه الأمثال والآيات يبينها الله بهذا الحس المعمق المؤثر من أجل أن يزرع في نفسك ويشير مشاعرك ليوقع الرجاء الذي تتمناه من الله في قبول العمل وتفكر في الحصول عليه، فإن الدنيا وعطاءها زائل وما عند الله باق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (البقرة: ٢٦٧)

(٧) الإنفاق يتعلق بالطيب من المال

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- التيمم: القصد إلى الشيء وعمده.

٢- الخبيث: ما يقابل الطيب.

٣- الإغماض: أ- وضع أحد الجفنين على الآخر. ب- التساهل.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾؟

ج:

أخلاقية أخرى يطرحها الإسلام وهي متعلقة بالشيء المنفق في أن يكون من الحلال الطيب مما يملكه الإنسان سواء كان الإنفاق واجباً أو مستحباً، فإنَّ الإنفاق بالطيب من مكارم الأخلاق ويعكس طيب نفس المنفق وكرمه وحبّه للإنفاق، فلا ينفق من الشيء الخبيث الذي يكون نفعه قليلاً وبعد أن خرج من حاجة المنفق إليه لينفق به بحيث لو رآه لأغض عينيه عنه لخسسته، أو لو أعطي إليه لم يأخذه إلا

باغماض عينيه عنه، فلا تقصدوا مثل هذا النوع من العطاء والإنفاق الذي يقصد منه التخلص من الشيء لخستته بعنوان الإنفاق الذي إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على عدم احترام الله ولم ينظر فيه إلى مرضاة الله وأنه ليس بإنفاق ممّا تحبّون، بل ممّا تكرهون، فهو عكس المطلوب الإلهي وهدف الإنفاق الذي يريد الله من خلاله تربية المنفق الروحية وقضاء حاجة الناس واقعاً، فإنّ الله عندما أمر بالإنفاق من أجل حصول الرفاهية الاجتماعية وقضاء الحاجة بعزّ، ومثل هذا العطاء يورث الذلّ ولا يصل بصاحبه إلى الرفاهية بحيث تقضى حاجته وإلا عوضه الله من عنده؛ لأنّه هو الغني الذي يحمد على عطائه لأنّه حاشا أن يكون عطاؤه من هذا النوع الذي لا يؤخذ إلاّ بالإغماض خجلاً والتساهل لضرورة حاجة المحتاج.



مركز تحقيقات كتابية وعلوم إسلامية

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ • يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ٢٦٨-٢٦٩)

(٨) عدم الإنفاق طريق الشيطان

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾؟

ج:

عندما يريد الإنسان أن يفكر بالإنفاق أو يقرر بأن ينفق فمن الحالة الطبيعية له أن يفكر بمقدار العطاء، وأنه مال من الكسب وقد بذل عليه جهداً حتى حصل عليه، والإنفاق عطاء من دون عوض مادي ملموس، هنا تبدأ الحالة الطبيعية من صور الصراع الفكري، والإنسان المؤمن يقهر بلحظات كل صورة ذهنية تحاول المنع عن الإنفاق، وقد تبرز صورة من الصور الذهنية المانعة للإنفاق كخوف الفقر والحاجة في المستقبل، وتركز هذه الصورة الذهنية في النفس، وتكون محلاً لمرتع الشيطان ليزين عملية خوف الفقر فينجذب الإنسان الضعيف لهذا التزيين والمحاكاة الشيطانية التي توعدده بالفقر إن أنفق، وتتحوّل إلى مانع فعلي عن الإنفاق عندما يستجيب الإنسان لهذه الحالة الشيطانية التي يرى فيها الإنسان الباطل حقاً فيكون فيها الشيطان أمراً بالفحشاء والإنسان مأموراً، فالله سبحانه وتعالى يحذّر من الاستجابة لهذه الحالة من خلال تشخيصها وأنها من فعل الشيطان؛ لأن الإنسان المؤمن لا

يريد الشيطان بأي وجه من الوجوه فليحذر من الصور الذهنية والتفاعل القلبي مع أي مانع يحاول منعه من فعل الخير، والله يعد المنفق من خلال آياته أو من خلال نفس الصور الذهنية والتفاعل القلبي المقابل للمنع، يعدهم من العطاء والغنى بما لا يعلمه إلا هو بالاتجاهين المعنوي بالمغفرة والمادي بالفضل في الدنيا والآخرة والله واسع عليم.

ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةَ بَابِنِ آدَمَ، وَلِلْمَلِكِ لَمَّةٌ، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَيُعَادُ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبِ الْحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلِكِ فَيُعَادُ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَلِيُحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الْآخِرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ قَرَأْ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾»^(١)

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾؟

ج:

أَنَّ اللَّهَ الَّذِي أَمَرَ بِالْإِنْفَاقِ بِهَذِهِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَبِهَذِهِ التَّوَصِيَّاتِ وَبِهَذِهِ الْمَوَاعِيدِ مَا هِيَ إِلَّا قَضَايَا مُطَابَقَةً لِلْوَاقِعِ، وَأَنَّهُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالِإِتْقَانِ فِي التَّطْبِيقِ، وَأَنَّ فِي الْحِكْمَةِ وَالِالْتِمَامِ بِهَا الْخَيْرَ الْكَثِيرَ، وَلِهَذَا مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا؛ لِأَنَّ طَبِيعَةَ الْحِكْمَةِ تَسْرِي فِي الْإِتْقَانِ وَالِإِحْكَامِ وَعَدَمِ النِّقْصَانِ وَالزِّيَادَةِ وَالتَّثَبُّتِ فِي أَوَائِلِ الْأُمُورِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ عَوَاقِبِهَا، فَيَكُونُ النِّجَاحُ دَائِمًا حَلِيفَ الْحِكْمَةِ، وَأَنَّ الْحِكْمَةَ تَفْضُلُ إِلَهِيٌّ وَمِنْحَةٌ يَعْطِيهَا اللَّهُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا، وَأَنَّهَا مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،

فلا يعلم الإنسان ما أودع الله في الحكمة إلا من استخلصه الله من ذوي الألباب.
ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «الحكمة ضياء المعرفة وميزان التقوى وثمره
الصدق، ولو قلت: ما أتم الله على عبده بنعمة أعظم وأرفع وأجزل وأبهى من
الحكمة، لقلت: قال الله عز وجل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ
خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾»^(١).



﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (البقرة: ٢٧٠)

(٩) الإنفاق تحت رقابة الله

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾؟

ج:

الإنفاق سواء الذي صدر من الله بوجوب أو استحباب أو سواء الذي صدر من اختياركم بما ألزمتكم به أنفسكم بوجوب كالنذر فإن جميعه تحت الرقابة الإلهية وتحت علم الله المحيط بكل شيء، فكما واعدكم بالعطاء عند توفّر الشروط كذلك يواعدكم بالعذاب عند الإخلال بالشروط برباء أو من أو أذى أو انقطاع عن أصل الإنفاق فإنه من الكبائر، وبما أن الإنفاق فيه حق الناس، فعدم الإنفاق أو الإنفاق بأذى أو من سوف يعود ضرره على الناس المحتاجين ويكون ظلماً للمحتاجين، والظالم للناس خارج عن دائرة النصير يوم القيامة لتعلق الحقّ بالناس، فلا بد أن يرضي الناس الذين ظلمهم بمنع وصول الحقّ إليهم، وهل تجد يوم القيامة أحداً يغفر لغيره أم يريد العوض؟! وما لظالمي الفقراء من أنصار، فحذاري أيها المؤمنون أن يتعلق بدمتكم حق للناس.

﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٧١)

(١٠) الإنفاق في السر والعلن

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾؟

ج:

الإعلان والإخفاء أسلوبان من أساليب تقديم ما يُنفق به، ولكلٍ معطياته وتأثيره، وكلٌ مقبول عند الله، فالإنفاق المعلن يشجع الآخرين على العطاء، وينبئ الآخرين على وجود الرحماء، ويقر نفوس البائسين عندما يعرفون بوجود الضامنين لهم عند الحاجة، والإخفاء في الإنفاق له معطياته أيضاً من صون كرامة الإنسان المحتاج، وعندما يمنع العن بسبب الظالم فإن الإخفاء حركة بديلة، والإخفاء لا يكشف عن خلوص النية دائماً، بل ربّ عمن يحمل من الإخلاص ما لا يعمل به صاحب الإخفاء؛ لأن النية والقصد من الأمور الاختيارية للإنسان التابعة لدرجة إيمان الشخصية المؤمنة، كما أن بين العن والإخفاء مهم وأهم، فقد يكون الإنفاق في العن أهم وقد يكون العكس، وهذا تابع لتشخيص الموضوع والظروف المحيطة به من قبل المنفق، والإخفاء والعن لو تساويا في الملاك ولا مرجح لأحدهما على الآخر فهنا على المنفق أن يختار الإخفاء؛ لأنه أقرب للإخلاص ولصون الآخرين.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٢)

(١١) الإنفاق لا يقبل النقصان عند الله

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾؟

ج:



أولاً: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾

١- أيها الرسول، إنك طريق الله هداية، بل ولكونك نبياً ورسولاً وإماماً ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ (آل عمران: ٢٠)، ولكونك مبلغاً وداعية إلى الله وحامل رسالة السماء ومبشراً ونذيراً، ولكن ليس عليك أيها الرسول أن تدخل الهداية في قلوب الكافرين، فإنها ليس من اختصاصك، بل هي من مختصات الله يعطيها لمن يشاء لمن أخلص في طلبها ووجد الله عنده بذرتها وسعى لها سعيها.

٢- أيها الرسول، لا تمنع الإنفاق عن الكافرين كأسلوب من أساليب الضغط عليهم ليهتدوا ويؤمنوا بالله، فإنه ليس عليك إجبارهم على الهداية، فإن الإيمان بالله وبرسوله من الأمور القلبية غير الإرادية، فإذا طلب الإنسان مقدماتها الإرادية

وسعى لها سعيها باختياره، فهنا سوف يهديه الله بالمباشرة، حيث يجعل قلبه مطمئناً بالإيمان والهداية إلى الحق.

٣- أيها الرسول، لا تتأذى عندما تشاهد المسلمين لا يلتزمون بشروط الإنفاق من عدم الرياء والمعن والأذى وأنهم ينفقون الخبيث وغيرها من المخالفات المتعلقة بالإنفاق، بل عليك التبليغ وتقديم النصيحة وأن تلزمهم بالأمر الواجب عليهم، وذلك للأمر التالية:

أولاً: أن الالتزام تابع لإرادة الإنسان بالتقرب إلى الله، فبقدر ما يتقرب العبد إلى الله من خلال التزامه بالأحكام يتقرب الله إليه أكثر ويهديه إلى طريق الهداية بأوسع أبوابها.

ثانياً: أن الالتزام في الإنفاق خير وهو يعود إلى أنفسهم ويحل مشاكلهم، فمن أراد الخير فلنفسه وإلا فهم المتضررون.

ثالثاً: أن الذي ينفق يريد مرضاة الله، والذي فعلاً يريد مرضاة الله عليه أن يلتزم بما هو مأثور به من قانون الإنفاق لا أن ينفق بما يعجب مزاجه.

رابعاً: أن الذي ينفق يكون تحت مراقبتي في كل ما يقدم، وكل ما يقدم محسوب حسابه مع دوافعه كل حسب عطائه، بحيث يجد كل منهم أنهم غير مظلومين، بل يجدون الجزاء بما يكونون على قناعة تامة به.

ومن كل ما مرّ نعرف أن العلاقة بعد مهمتك يا رسول الله ﷺ تبقى بين العبد وربّه وهي ترجع إلى تقوى العبد ومدى إيمانه بالله ومقدار التزامه بأحكامه.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيْمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْشَاءً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٧٣)

(١٢) تشخيص الفقير في القرآن

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- الحصر: المنع والتضييق والحبس، من قبل العدو أو بسبب المرض.

٢- ضرباً: السعي من أجل الكسب.



٣- التعفف: من العفة.

٤- السيماء: العلامة، مركزاً للتحقيق في علوم إسلامية

٥- إحشأاً: إلحاحاً.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي

سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ

التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيْمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْشَاءً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ

فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾؟

ج:

١- ليس كل من ادعى الحاجة هو الفقير، وأن هناك فقراء وسبب فقرهم مختلف،

وتقديم الفقير من حيث الإنفاق عليه يوجد أهم ومهم.

٢- الأهم للمنفق أن يبحث عن ذلك الفقير الذي كان سبب فقره هو الإحصار في سبيل الله، أي أولئك الذين سببت لهم الحرب العوق أو المرض أو الحجز بحيث لا يمكنه العمل والكسب والكّد على عياله، أو أولئك الذين هم مشغولون بعمل نوعي من أجل الإسلام والمسلمين بحيث يمنعهم تواجدهم وشغلهم في تلك المهمة عن الكسب كالمجاهدين وطلبة العلم والمبشرين رسالة ربهم، فإنّ مثل هؤلاء مشغولون بما هو الأهم بحيث لا يمكنهم الجمع بين مهمّتهم والضرب والكسب في الأرض فتصيبهم الحاجة.

٣- أنّ مثل هؤلاء المحتاجين لا يسألون الناس حاجتهم، وعلى الإنسان المنفق أن يقدر بنفسه حاجتهم من دون سؤالهم لما هم مشغولون فيه، أو لما يراه أو يسمع به المنفق من العلامات التي تدلّ على حاجتهم من تواضع لبسهم أو شرائهم للمواد المتواضعة أو من خلال زيارتهم فلا يجد شيئاً في بيوتهم إلا ما يدلّ على الحاجة أو من خلال شكوى الأطفال أو النساء، فإنّ هناك علامات كثيرة يمكن للإنسان أن يتوصل إليها لمعرفة حاجاتهم.

٤- أنّ أمثال هؤلاء المحتاجين قد تضرّرتهم الحاجة إلى أن يسألوا قضاء حاجتهم وأنّ سؤال الحاجة لا بأس به في بعض الأحيان بل قد يجب، ولكن الأمر المهم الذي يجب أن يلاحظ في هؤلاء أنّهم عندما يسألون يسألون مرّة واحدة أو من دون إلحاح، فلا يفرّغونها أيّها المنفق عدم إلحاحهم بالطلب فتحسبهم أغنياء حتى تقول: لو كانوا محتاجين فعلاً لألحوا في الطلب، فإنّ هذا التقييم خاطئ؛ لأنّ عفتهم تمنعهم من الإلحاح لا لعدم حاجاتهم، فعلى الإنسان المنفق أن يراعي هؤلاء الطلاب وهؤلاء الفقراء ويقدمهم على غيرهم من الفقراء في

إنفاقه وعطائه.

٥- كما يريد الله أن ينبّه المنفق على اختيار الذين لا يسألون الناس إحافاً كذلك يريد أن ينبّه الناس على عدم السؤال بمجرد الحاجة، وعند الحاجة واضطراركم للسؤال لا تلحوا في الطلب، فإنّ الإلحاح مبغوض عند الله، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إنّ الله يبغض السائل الملحف»^(١).



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٤)

(١٣) لا وقت ولا حالة معينة للإنفاق

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ﴾؟

ج:

- ١- لا وقت معين للإنفاق ولا حالة معينة له مادام الكل في سبيل الله.
- ٢- أن الليل والنهار والسر والعلانية كناية عن الاستمرار في الإنفاق، فلا تقطع يدك
أبداً المنفق عن الإنفاق مادامت متسكناً ومادامت الحاجة موجودة.
- ٤- نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما كان عنده أربعة
دراهم فضية تصدق بواحد في النهار وبالأخر في الليل وواحد سرّاً والأخر
علناً فنزلت الآية تبشّره بالقبول.

س: ما هي أقسام الإنفاق المالي من حيث الحكم الشرعي؟

ج:

- ١- الإنفاق للواجب، وهو ما كان لواجب شرعي كالحقوق المالية الواجبة شرعاً
منها:

أ- الخمس والزكاة والصدقات والكفارات وغيرها من الواجبات العبادية التي يتعلّق

بها المال.

ب- الإنفاق على الأهل من الزوجة والأبناء والوالدين عند الحاجة.

ج- الواجبات التي يتعلّق بها المال عرضاً لا أصلاً كالجهاد في سبيل الله ودعم بعض

الحركات والمؤسسات التي يرى الفقيه وجوب الدعم لأسبابه وظروفه.

٢- الإنفاق المندوب، وهو كلّ إنفاق ينصبّ في سبيل الله بنظر الشرع غير ما ذكر في

الواجب.

٣- الإنفاق المحرّم، وهو كلّ إنفاق ينصبّ في سبيل الشيطان من كتب الضلال

والمؤسسات والتجمّعات التي تتحرّك للإفساد العقائدي والأخلاقي في

المجتمع، وغير ذلك ممّا ينصبّ في تضعيف الإسلام والمسلمين وتقوية سبل

شياطين الإنس والجن

٤- الإنفاق المكروه، ما كان لعلّ مكروه شرعاً.

س: لقد أكّد الله على النية وبين الهدف العبادي المقدّس عند الإنفاق بعدة

وجوه في القرآن. اذكر هذه الوجوه.

ج:

١- أن يكون الإنفاق في سبيل الله، ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٥).

٢- أن يكون الإنفاق ابتغاء مرضاة الله، ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ

اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٦٥).

٣- أن يكون الإنفاق طلب لوجه الله، ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٧٢).

٤- أن يكون الإنفاق طلباً القربة إلى الله، ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٩٩).

س: سلّط الضوء على بعض ما جاء في القرآن والسنة حول الإنفاق.

ج:

١- كما أن الصلاة تمثل أم الارتباط بالله وأهمه فإن الإنفاق يمثل أم الارتباط بالناس؛ لأن الإنفاق يمثل التجسيد العملي لما استخلف الله الإنسان فيه على الأرض من المال والعلم والجاه والتدبير الإداري والعسكري والكفاءة القيادية وكل رزق منحه الله للإنسان من ملكات ومواهب بحيث من خلالها يمكن أن يقدم الخدمة للناس وللأمة ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: ٧).

٢- الإنفاق عبادة عظيمة ولهذا تجدها مقرونة مع أمهات العبادات في القرآن ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَتَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهزوا فلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: ١٩٣-١٩٥)، ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَاتِلِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران: ١٧).

ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «..الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وأستكم في سبيل الله...»^(١).

٣- الإنفاق هو الأصل والطريق الطبيعي الذي يتعامل المؤمنون مع ما رزقهم الله من فضله؛ لأن حق الإيمان عطف ومحبة ورحمة وتكافل وشعور بالآخرين، والإنفاق تأمين للحاجات الضرورية العامة التي لا يخلو مجتمع من الحاجة

(١) نهج البلاغة ٣: ٤٧/٧٧.

إليها كالمستشفيات والمعسكرات والقنوات والسدود وإيصال الماء وغيرها من الأمور الكثيرة التي يساهم فيها الإنفاق مساهمة فعالة ﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال: ٣-٤)، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «لم نبعث لجمع المال ولكن بعثنا لإنفاقه»^(١).

٤- الإنفاق زيادة ونمو للمنفق وللمنفق به في الدنيا ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾ (التوبة: ١٠٣)، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه»^(٢)، وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لم يرزق المال من لم ينفقه»^(٣)، «لم يوفق من بخل على نفسه بخيره، وخلف ماله لغيره»^(٤).

٥- الإنفاق ذخيرة لعطاء الله وكرمه وتعويضه يوم الآخرة ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبا: ٣٩)، ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ١٢١)، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «ويحك يا مغرور! ألا تحمد من تعطيه فانياً ويعطيك باقياً، درهم يفتى بعشرة تبق، إلى سبعمائة ضعف مضاعفة من جواد كريم»^(٥).

٦- الإنفاق أحد الطرق المهمة في تنمية شخصية الإنسان من الناحية الاجتماعية

(١) مشكاة الأنوار: ٣٢١.

(٢) عدة الداعي: ٦٣.

(٣) غرر الحكم: ٨٦١٢/٣٨٠.

(٤) غرر الحكم: ٦٥٢٢/٢٩٢.

(٥) تحف العقول: ٢٩١.

والفكرية وتنظيم الدوافع العاطفية له لما يعطيه الإنفاق من الخبرة والتجربة الثرة في عالم الفكر والاجتماع حيث الإنفاق يحتاج من المنفق معرفة المستحق للإنفاق عليه وعددهم وأماكنهم ونوعيتهم ونوعية المشاكل التي يواجهونها وسببها ومقدار الحاجة ونوعيتها مما يدعو في بعض الأحيان إلى إيجاد مؤسسات كبيرة لدراسة تغطية ذلك ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ (التغابن: ١٦)، ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيَاهِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا﴾ (البقرة: ٢٧٣)

٧- الإنفاق صورة من أجلى صور الوفاء في ردّ الأمانة؛ لأنّ معنى الملكية الاعتبارية للإنسان أنّ كلّ ما يمتلكه الإنسان أمانة في يده وقد قبل الإنسان أن يتصرّف بها حسب شروط المالك الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى، وهذا هو المعنى يؤكّده الله في موارد مختلفة وبوجوه مختلفة، منها:

أولاً: قال تعالى: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾، أي أنّ ما تحصل عليه أيها الإنسان لم تكن علته أنت، بل هو رزق الله إليك.

ثانياً: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ (البقرة: ٢٦٧)، وهذا يعني أنّه لولا أن أخرج الله الرزق من الأرض لم يحصل الإنسان على شيء منه.

ثالثاً: قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ (الحديد: ٧)، أي أنّ الأموال ليست ملكاً حقيقياً للإنسان ولا من ذاته، بل هو مستخلف عليها.

رابعاً: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٤)، ﴿فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ (الطلاق: ٧)، أي أنّ كلّ نعمة هي

من إتيان الله للإنسان، فلا يفكر الإنسان أن ما يأتيه هو من ذكائه ومهارته.
 ٨- الإنفاق يخفف جاذبية الإنسان إلى الأرض ويمنع حب الدنيا وبالتالي يحول
 القلوب المضطربة بلقاء الله إلى قلوب مطمئنة إليه، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه
 قال: «قام رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، مالي لا أحب الموت؟
 قال صلى الله عليه وسلم: ألك مال؟ قال: نعم. قال صلى الله عليه وسلم: فقدمه. قال: لا أستطيع. قال صلى الله عليه وسلم: فإن
 قلب الرجل مع ماله، إن قدمه أحب أن يلحق به، وإن أخره أحب أن
 يتأخر معه»^(١).

٩- الإنفاق يطهر النفوس الحاقدة والأنانية إلى نفوس منسرحة محبة متعاونة تروء
 المجتمع بعناصر التآخي والمحبة، وتحوّله من ساحة الجشع والأنانية والتنازع
 إلى ساحة الإيثار والتكافل والتضامن والتعاون، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه
 قال: «يا حجاج، كيف تواسيكم؟». قلت: صالح يا أبا جعفر. قال: «يدخل
 أحدكم يده في كيس أخيه فيأخذ حاجته إذا احتاج إليه؟» قلت: أمّا هذا فلا،
 فقال: «لو فعلتم ما احتجتم»^(٢)، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما بلا
 الله العباد بشيء أشدّ عليهم من إخراج الدراهم»^(٣).

١٠- الإنفاق ترويض النفس وتثقيفها على العطاء من دون انتظار لما في أيدي
 الخلق ويعمق الإيمان بالغيب لانتظار ما في أيدي الخالق من كريم تعويضه،
 فلا تكن عبوساً في عطائك وقمطريراً في إنفاقك، بل فرحاً مبتهجاً منشرح

(١) تفسير مجمع البيان ٨: ٢٤٣.

(٢) كشف الغمة ٢: ١٢١.

(٣) الخصال ١: ٢٧/٨.

الصدر؛ لأن الذي جاءك لحاجة قد جاءك وهو يحمل ذخيرة نافعة لك في آخرتك ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢).

ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه؛ لأن لهم أجره وفخره وذكره، فهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه، فلا يطلبن شكر ما صنع إلى نفسه من غيره»^(١).

ورد عن ابن عمر أنه قال: «سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾؟ قال: «هو أن ينفق العبد المال وهو شحيح، يأمل الدنيا ويخاف الفقر»^(٢) أي في حالة حبه لجمع المال ليكون غنياً من الأغنياء والآ

يحتاج إلى أحد من الناس، وهو في هذه الحالة الذهنية وتأملاته في الحياة وما يريد أن يتطلع إليه في مستقبله وهو في أعلى درجات الشوق والحب إلى ذلك عليه أن ينفق، فهي حالة مثالية لا يتوصل إليها إنسان إلا من صهر قلبه بالإيمان.

مركز تحقيقات كامپيوتر علوم اسلامی

١١- الإنفاق مرآة تعكس صدق ما يحمله الإنسان من الإيمان بالله ورسوله واليقين بالآخرة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزِرْهُمُ وِجَاهٌ وَلَا وَجَاهَةٌ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات: ١٥).

١٢- الإنفاق عامل مهم في حل الكثير من المشاكل الاقتصادية في المجتمع الإسلامي وإزالة عناصر التوتر فيه، ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نُفْسِكُمْ﴾ (البقرة: ٢٧٢).

(١) كشف الغمة ٢: ٣٤٧.

(٢) مجمع البيان ٢: ٣٤٣.

ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «...فمن آتاه الله مالاً فليصل به قرابته، وليحسن منه الضيافة، وليفك به الأسير والعاني، وليعط منه الفقير والغارم، وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب، فإن فوزاً بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا، ودرك فضائل الآخرة، إن شاء الله»^(١).

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «يحقّ على المسلمين الاجتهاد في التواصل، والتعاون على التعاطف، والمؤاساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض، حتى تكونوا كما أمركم الله عزّ وجلّ: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، مترامحين، مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٢).

١٣- الإنفاق تقديم ما يحصل فيه التوازن فيما بين المال وبين الحاجة، ويعني ألا تعطي ما يؤدي بك إلى الضرر أو التهلكة، ويعني ألا تقع في المشاريع الاستنزافية المهلكة للمال، بل لا بد من دراسة الموضوع دراسة دقيقة من جميع الجهات الواقعية ليكون النفع واضحاً وأكثر ممّا أنفق عليه وخصوصاً في المشاريع التي يكون نفعها عاماً ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (البقرة: ١٩٥)، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان: ٦٧)، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك»^(٣).

(١) نهج البلاغة ٢: ١٤٢/٢٤.

(٢) الكافي ٢: ١٥/١٧٤.

(٣) غرر الحكم: ٨١٢٨/٣٥٩.

١٤- الإنفاق لطف الله على المنفق ونعمة عظيمة منحها الله إليه، وما على الإنسان إلا أن يشكر الله على ما أنعم عليه من مجيء المحتاج إليه وهو قادر على قضاء حاجته، ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِسُكُمْ﴾ (البقرة: ٢٧٢)، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إِنَّ إِنْفَاقَ هَذَا الْمَالِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَعْظَمُ نِعْمَةً»^(١)، وعنه أيضاً: «لم يحرز الشكر إلا مَنْ بذل ماله»^(٢).

١٥- الإنفاق صورة من صور الغلبة والنصر لقوى الخير الداخلية، فكما يذوق الإنسان طعم بعض الخبائث من الصفات المرّة عند إثارها أثناء إنفاقه من قبل الشيطان وهوى النفس كالمن والأذى، فإنّ الإنفاق الطيّب سلاح النصر والغلبة عليها ويستأصل كلّ صفة خبيثة وردّيلة تحاول الوقوف ضدّ الإنفاق، ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ لَمْ يَلَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْأً وَلَا أَذَىٰ﴾ (البقرة: ٢٦٢)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (البقرة: ٢٦٧)، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لا يتم المعروف إلا بثلاث: تعجيله، وتقليل كثيره، وترك الامتنان به»^(٣)، وعنه أيضاً من وصاياہ لعبدالله بن جندب البجلي الكوفي، أنه قال: «..إن كانت لك يد عند إنسان فلا

(١) غرر الحكم: ٣٧٦/٨٤٦٣

(٢) غرر الحكم: ٣٧٦/٨٤٨٧

(٣) تحف العقول: ٣٢٣.

تفسدها بكثرة المن والذكر لها، ولكن اتبعها بأفضل منها»^(١).

١٦- الإنفاق يفتح أبواب إجابة السماء لما يدعو إليه المنفق، ورد عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «..الذنوب التي تحبس غيث السماء: جور الحكام في القضاء.. ومنع الزكاة والقرض والماعون، وقساوة القلب على أهل الفقر والفاقة، وظلم اليتيم والأرملة، وانتهاج السائل ورده بالليل»^(٢).

١٧- الإنفاق ذخيرة الإنسان في أيام قد يكون هو في أحوج الناس إليها، ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ (إبراهيم: ٣١)، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه، فاغتمه وحمله إياه، وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه، فلعلك تطلبه فلا تجده...»^(٣).

١٨- الإنفاق ليس له زمن محدد أو حالة معينة، فهو يسد الحاجة الفردية والاجتماعية التي لم تتوقف على حالة معينة، فالمنفق يجب أن يكون مستعداً لكل حالات الطوارئ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٤).

١٩- الإنفاق فرصة التجار الأذكياء الذين ينتهزون الفرص للحصول على الربح المضمون ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا

(١) تحف العقول: ٣٠٥.

(٢) وسائل الشيعة ١٦: ٢٨١/٢٨٥٦.

(٣) الفقيه ٤: ٥٨٣٤/٣٨٩.

يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿الحدید: ١٠﴾، ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقِي وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (المنافقون: ١٠)، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ﴿فيما أوصى به ابنه الحسن﴾ أنه قال: «...واغتنم من استقرضك في حال غناك، ليجعل قضاءه لك يوم عسرتك»^(١).

٢٠- الإنفاق الشرعي لا يخضع لهوى النفس ولا يسير في الطرق التي تحمل عناوين الحيل والنهم الشخصي والعائلي وإشباع الذات، ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «مَنْ قَضَىٰ حَقًّا مِنْ لِي بِي حَقَّهُ فَقَدْ عْبَدَهُ»^(٢)، وعن الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: «أَمَّا حَقُّ الْمَالِ فَانْ لَا تَأْخُذْهُ إِلَّا مِنْ حَلِّهِ، وَلَا تَنْفِقْهُ إِلَّا فِي حَلِّهِ»^(٣). *مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی*

٢١- الإنفاق تشريع يسير ضمن الرؤية الإلهية والرسم التشريعي له، ومن جملة رسمه التشريعي أن يجري في القنوات التالية: في سبيل الله ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٥)، وفي مرضاة الله ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٦٥)، وفي الجهة التي تنتهي إلى الله ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٧٢)، وضمن الطريق الأقرب إلى الله ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ

(١) نهج البلاغة ٣: ٣١/٤٦.

(٢) نهج البلاغة ٤: ١٦٤/٤١.

(٣) تحف العقول: ٣٣/٢٦٧.

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ ﴿التوبة: ٩٩﴾، وأن يكون المنفق به من الحلال الطيب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٦٧)، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «كل معروف صدقة، وما وقى الرجل به عرضه فهو صدقة، وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامناً، إلا ما كان من نفقة في بنيان أو معصية»^(١).

٢٢- الإنفاق حدده الله شرعاً ليعرف الإنسان على ما هو الضد فيحذر من الوقوع فيه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ (الأنفال: ٣٦)، ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ (النساء: ٣٨)، ﴿الَّذِينَ يَتَخَلَّفُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (النساء: ٣٧)، ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (المنافقون: ٧).

٢٣- الإنفاق طريق للحصول على رضا رسول الله ﷺ ودعائه للمنفق وتوطيد صلته به ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة: ٩٩).

٢٤- الصلاة والإنفاق يمثلان حالة التوازن في العلاقة والارتباط في الاتجاهين العمودي أي الإنسان مع الله، والأفقي أي الإنسان مع الناس، وكلّ يزود التقوى

بعناصرها الأولية والعروج إليه سبحانه، والدين جاء لأجل الناس، والإنفاق على الصعيدين المادي والمعنوي يمثل أعلى درجات الاهتمام بالناس.

س: ما هي أهم شروط المال المنفق به؟

ج:

١- أن يكون من الحلال الطيب إلى الحلال الطيب، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ (البقرة: ٢٦٧)، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «..أصل الأمور في الإنفاق طلب الحلال لما ينفق ...»^(١).

٢- ألا يزاحم حاجة المنفق فهو يقع في الزيادة، ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ (الطلاق: ٧)، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (الطلاق: ٧)، ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ (الطلاق: ٧)، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «طوبى لمن انفق فضلات ماله»^(٢)، وورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «..فضل ماله مبدول»^(٣).

(١) البحار ٧: ٧٥/٥٩.

(٢) البحار ٦٨: ٢٨٧/٤٢.

(٣) وسائل الشيعة ١٥: ١٨٧/٢٣٩٠٢٠.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ
مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ
الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ
عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٥)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

- ١- الربا: الزيادة والارتفاع.
- ٢- يتخبط: المشي على غير استواء وتوازن.
- ٣- القيام: النهوض بأمر المعاش.
- ٤- المس: أ- اللمس باليد. ب- الإصابة.
- ٥- سلف: التقدم.

● الربا آفة الرفاه الاجتماعي

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ
إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾؟

ج:

أولاً: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ
الْمَسِّ﴾

الذين يأخذون الربا بالقرض أو بالبيع في الربويات لا ينهضون بمعاشهم بعد

عدم التمييز وفقدان الإدراك بين الحق والباطل وبين الخير والشر وبين النافع والمضر، وإذا فقدت حاسة الإدراك التي يهتدي الإنسان من خلالها، بل كل حيوان يفقد الطريق الذي يوصل إلى الهداية في أمور معاشه والحصول على كل ما ينتفع به ويدفع عنه كل ما يضره لفقدان التمييز بينهما، وبهذا يكون مثل المرابي في النهوض بمعاشه مثل الذي يصاب بحالة الهستريا أو الصرع الشديد أو الجنون من أثر ضعف الأعصاب أو فقدان العقل أو مس الشيطان، فتراه يمسك النار أو يأكل الجيف أو غيرها من الأفعال والحركات غير المتوازنة الصادرة من دون شعور منه.

قَالُوا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾

- ١- أن هذا الخطاب حكاية عن حالهم وإن لم يقولوا ذلك فعلاً.
- ٢- أن هذا الخطاب يعطي صوراً واضحة تعكس تخبط المرابين حيث إذا دعوا إلى ترك الربا والالتزام بالبيع مثلوا البيع بالربا دون العكس الطبيعي للتمثيل حيث الربا حالة عارضة وأن الأصل هو البيع، فلا بد في التمثيل أن يمثل الفرع بالأصل، أي أن الربا مثل البيع لا العكس.
- ٣- أن المرابين ولو بالقياس والمثال الصحيح بأن قالوا: إنما الربا مثل البيع، فهذا يعني أنهم جاحدون معاندون مشرّعون أمام تشريع الله لا متخبطين كالممسوس.
- ٤- أن قولهم هذا يستبطن شبهات كثيرة في موضوع البيع ومقارنته مع الربا سيأتي ذكرها إن شاء الله تعالى.

قَالَ: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾

جملة مستأنفة جديدة وخطاب مستقل، وهو إنشاء ابتدائي لحرمة كلي الربا

ليقطع كل شك في حرمة الربا، وهذا الخطاب يمثل المرحلة الرابعة والأخيرة لما ذكرنا من المراحل الأربعة التي مرَّ بها تحريم الربا كما ذكرنا في أول البحث.

وابعاً: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

خطاب عام يشمل الكافرين والمؤمنين في بداية التشريع وما بعده، وهو خطاب كلي يشمل الربا وغيره من المعاصي التي يقتربها الإنسان، فكل مَنْ وقع في المعصية وقد جاءته موعظة من أي سبب من الأسباب بحيث أثرت أثرها في العاصي ممَّا أدت إلى أن يتوب توبة نصوحة فله ما سلف من اقرار المعاصي ولم يؤاخذ على أصل المعصية وأصل الفعل المنحرف وأنه معفو عنه بالتوبة. نعم، عليه أن يبني ويعمل صالحاً ما بعد التوبة، وأمره متروك إلى الله في الدنيا من حيث التبعات التي تركها أصل الفعل والمعصية إن شاء أمر التائب بالتعويض بما فاته كما هي الحقوق المتعلقة بالناس، وإن شاء لم يأمره بالتعويض كما هي الواجبات المتعلقة بالله، كما إذا أسلم الكافر فإنه لا يطالب بما فاته من العبادة، وإن أمره متروك إلى الله في الآخرة كذلك بحيث يخرج في أن يعذبه العذاب الخالد في النار لتوبته، والذي لم يتب ولم ينته بل أصر واستمر على عصيانه فهذا أمره واضح حيث الخلود في نار جهنم وبئس المصير لردّه حكم الله وهو الكفر أو الردّة المبطنة بهذا الخصوص واللحاظ. والمرابي أحد مصاديق هذا الحكم العام فيلحقه حكمه في التوبة وفي التبعات وفي عدم النهي والإصرار.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «مَنْ أدرك الإسلام وتاب ممَّا كان عمله في

الجاهلية وضع الله عنه ما سلف»^(١) «ومَن عاد إلى أكل الربا بعد التحريم وقال ما كان يقوله بعد الموعظة من أن البيع مثل الربا فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، لأنَّ ذلك القول لا يصدر إلا عن كافر مستحلٍّ للربا...»^(٢).

س: ما هي التعريفات التي وردت لحقيقة الموعظة؟

ج:

- ١- الموعظة زجر مقترن بالتخويف.
- ٢- التذكير بالخير فيما يرق له القلب.
- ٣- التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب أو بالاستمالة والترغيب.

س: هل مس الشيطان جاء على نحو الحقيقة أو المثال أو للمجازاة مع ما يعتقد به بعض عوام الناس؟ اذكر المحتملات من الجواب.



ج:

أولاً: إذا كانت بعض معتقدات الناس خاطئة فلا يجارها الله، فحاشا لله أن يجاري الباطل.

ثانياً: يمكن أن يكون مثلاً لكن ليس مجرداً عن الحقيقة بل ناظر إليها، حيث إنَّ الشيطان رمز الشر وكلَّ ضرر ورأس الفساد والتمرد على الله، فينسب الله سبب الحالة الضرورية إليه باعتبارها اللغة الوحيدة التي يمكن أن يوصلها الله للناس حيث لا يمكنهم آنذاك أن يدركوا أسباب الأمراض من الحشرات و المكروبات والأجواء الطبيعية وغير ذلك، فيرجع نسبته إلى الشيطان استحقاقاً له تاركاً اكتشافه بعد ذلك

للناس.

ثالثاً: يمكن أن يكون مس الشيطان له حقيقة في بعض الحالات وذلك عند ضعف الأعصاب والخلل الذهني لسبب من الأسباب الطبيعية، فيكون مرتعاً للشيطان أو لأشرار الجن؛ لأنَّ الشيطان شرير ومن الجن.

س: كيف تحتل مس الشيطان له حقيقة مع أنه ليس له سلطان أو أي تأثير مادي على الإنسان؟

ج:

١- ليس للشيطان سلطة على الإنسان بصورة مباشرة بحيث يجعل الإنسان العاقل يرى الحق باطلاً وبالعكس، وهذا لا يجوز نسبته إلى الله وأنه مخالف لما ورد في القرآن عن حركة الشيطان.

٢- نحن قلنا: إنَّ تأثير الشيطان في الأمور التكوينية للإنسان وبعد توفّر أسبابه الطبيعية كضعف الأعصاب أو الخلل الذهني لا ابتداءً.

٣- أنَّ بعض الحالات السلبية التكوينية للإنسان كما يمكن إسنادها إلى الأسباب الطبيعية يمكن إسنادها إلى مس الشيطان، فإنَّ مرجع الكلِّ إلى الله، ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص: ٤١).

س: هل المثال بمس الشيطان منحصر في دنيا المرابين بأنَّ نهوضهم بالمعيشة في الحياة تشبه نهوض المتخبّط الذي مسّه الشيطان، أم له تشبيهات في غير عالم دنيا المرابين؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

١- أن يكون واقع هذه الحالة يعيشها المرابي في عالم البرزخ، ورد عن الإمام

الصادق عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: لما أُسري بي إلى السماء رأيت قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر أن يقوم من عظم بطنه، فقلت: مَنْ هؤلاء يا جبرئيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، وإذا هم بسبيل آل فرعون: يعرضون على النار غدواً وعشيا، ويقولون: ربنا متى تقوم الساعة؟»^(١).

٢- أن يكون واقع هذه الحالة يعيشها المرابي في الآخرة وفي جهنم، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «يأتي أكل الربا يوم القيامة محتبلاً يجر شفتيه، ثم قرأ: ﴿لَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ الْمَسِّ﴾»^(٢).

س: ما هو المعنى الشرعي للربا؟

ج:

الربا: معاملة معاوضية أو قرضية مخصوصة حرّمها الشارع بالشرائط الخاصة.

مركز تحقيقات كالمؤثر علوم إسلامي

س: هل حرمة الربا جاءت بشكل تدريجي أم بشكل مباشر؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

جاءت حرمة الربا بشكل تدريجي وهي تطوي المراحل التالية:

الأولى: قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَاً لِيَرْبُؤَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَزِيدُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضَعِفُونَ﴾ (الروم: ٣٩)، فإن هذه الآية المكية جاءت على شكل موعظة تقول لاخذ الربا بأنه ليس له عند الله ثواب

(١) تفسير القمي ١: ٩٣.

(٢) فتح القدير ١: ٢٩٦.

وما حصل عليه من الزيادة فليست إلا زيادة مادية ليس لها قيمة عند الله، بعكس الزكاة التي يكون أصحابها مضعفون معنى ولهم زيادة معنوية في الواقع.

الثانية: قال تعالى: ﴿ قَبِظْلِمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدُّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٦٠-١٦١)، إيقاظ وعبرة للمؤمنين في اليهود حينما نهوا عن أكل الربا ولم يلتزموا بتركه لزمهم تبعات في الدنيا، منها أن حرّم الله عليهم الطيبات بالإضافة إلى العذاب الأليم في الآخرة الذي سيلحق بأكلي الربا منهم والذي ستمّاهم الله بالكافرين.

الثالثة: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۖ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٠-١٣١)، في هذه الآية جاء النهي الدال على الحرمة إلا أنه ليس نهياً كلياً وعماماً، بل على جزء منه وهو عندما يكون فيه الربا الفاحش في الزيادة بحيث يكون أضغافاً مضاعفة.

الرابعة: الآيات التي بين أيدينا وهي المرحلة الأخيرة من بيان حكم الربا وهو الحرمة الصريحة والشديدة التي نجدها في الأمور التالية:

- ١- أن هذه الآيات تجعل المرابين كالمجانين وتسفّه أحلامهم.
- ٢- أن هذه الآيات تحتوي على التحريم الكلي الصريح.
- ٣- أن هذه الآيات تحتوي على الإنذارات العديدة الشديدة التي ترشد إلى الاهتمام الشديد بحرمة الربا من قبل الله والتي قل أن نجد مثل هذه الشدة في كثير من الأحكام.

٤- أن هذه الآيات تجعل أمور المرابين موكولة إلى الله ولم يعد لهم بالعفو على تقدير

الإيقاظ والتوبة.

- ٥- أن هذه الآيات تجعل المرابين أهلاً للخلود في النار عند عدم التوبة.
- ٦- أن هذه الآيات تجعل الربا محوقاً وعاطلاً أمام الصدقات.
- ٧- أن هذه الآيات تجعل ترك الربا معلقاً على الإيمان ومن توابعه بحيث يلزم انتفاؤه انتفاءه.
- ٨- أن هذه الآيات تنذر بالحرب من الله ورسوله على تقدير عدم ترك المرابين للربا.



مركز تحقيقات کامپیوتر علوم اسلامی

﴿يَمْحَقُ اللهُ الرَّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ • إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٦-٢٧٧)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- المحق: الغناء والزوال التدريجي.

٢- الإرباء: النماء.

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرَّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾؟

ج:

الله سبحانه وتعالى قد أعلن الحرب ضد المرابين فهو يترصد تحركاتهم ويراقب معاملاتهم ويحصي ربحهم، فله سبحانه نظره الخاصة للمرابين كما له النظرة الخاصة للمتصدقين فيمحق الأول ويربي الثاني، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إنه ليس شيء إلا وقد وكل به ملك غير الصدقة، فإن الله يأخذها بيده ويربها كما يربي أحدكم ولده حتى تلقاه يوم القيامة وهي مثل أحد...»^(١)، فعلى الرغم من أن هناك زيادة يحصل عليها المرابي إلا أنها في معرض النقصان والزوال في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإن عدم الالتزام الديني للمرابي والضعيفة والحقد والبغضاء الذي

(١) تفسير العياشي ١/١٥٣:١/٥١٠.

ينتجها الربا بين المرابي والمدين يصبح المرابي من خلالها معرضاً لكبرى المشاكل التي ربّما واحدة منها تجعله يخسر كل ما حصل عليه، هذا مع عدم التسديد الإلهي له في رفع ما تنتجها الأسباب الطبيعية من المشاكل؛ لأنه عنصر غير محبوب لدى الله وغير مرغوب فيه فهو يعيش التهديد الفعلي دائماً. وأما في الآخرة فباعتباره كثير التمرد والعصيان، أي كفار أئيم فتكون نتيجته واضحة الخسران والحبط.

وهذا بعكس صاحب الصدقات الذي يعطي الربح الحلال فهو تحت رعاية الله وتسديده، وأن الله يربي ما تصدّق به في الدنيا حيث المحبّة والوئام ومساعدة الضعفاء وتشغيلهم وتوفير رأس مال لهم ممّا يجعل تلك الصدقة تنمو في الفرد كما تنمو في المجتمع، هذا مع أن تسديد الله لصاحب الصدقة الذي يدفع عنه البلاء والمشاكل التي لولا تسديد الله لخسر الشيء الكثير. وأما في الآخرة يأتي المتصدّق ليرى صدقته قد صارت عشرات الأمثال من لطف الله ورحمته وخصوصاً في ذلك اليوم الذي يحتاج فيها الإنسان إلى أي ذخيرة تنجيه من ذلك العذاب.

ورد أنه قيل للإمام الصادق عليه السلام: قد نرى الرجل يربي وماله يكثر؟ فقال عليه السلام: «يحق الله دينه وإن كان ماله يكثر»^(١)، وورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ أقرض مَلْهُوفاً فأحسن طلبته استأنف العمل وأعطاه الله بكلّ درهم ألف قنطار من الجنة»^(٢).

س: أن الله قد ذكر مثل هذه الآية سابقاً ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا

(١) تفسير القمي ١: ٩٣.

(٢) ثواب الأعمال: ٢٨.

هُم يَخْزَنُونَ ﴿ فما هي المحتملات التي ترد في تكرارها ومجيئها في هذا
الموضع بالذات؟

ج:

كما ذكرتم قد مرَّ الحديث عن مثل هذه الآية التي تبين ما يريدُه الله من الإنسان على الأرض، فهو في حركة بين الإيمان والعمل الصالح الموزَّع بين التَّعبُد لله وخدمة الناس، ولكن ربَّما من أسباب وجودها هنا وفي هذا الموضع أن تكون لها علاقة بالموضوع ومنه الأمور التالية:

- ١- أن يضع الله أمام المرابين صورة من صور المؤمنين وما حصلوا عليه ليرغبهم في اللجوء بهم من خلال التوبة والرجوع إلى الله.
- ٢- أن يضع الله أمام المرابين صورة من صور المستقبل الحتمي الوقوع من الساعة والمعاد ليذكر المرابين بالتخوف لما سيلاقونه في المستقبل المر الذي ينتظرهم.
- ٣- أن يذكر الله الناس بهذه الوحدات من الإيمان والعمل الصالح والصلاة والزكاة؛ لأنَّها من أقوى الوحدات التي تضمن الإنسان في عدم وقوعه في الربا لو أخلص الإنسان فيها لما تنتج من التقوى ولما فيها من الأثر الكبير على روح الإنسان ونفسه ممَّا تجعله يصبر على الشدائد من دون السقوط في الربا.
- ٤- أن كلَّ وحدة من هذه الوحدات لها معطياتها وأثرها على الإنسان كما لها عطاؤها الخاص من قبل الله في عالم الآخرة من الثواب الجزيل، بعكس المرابي الذي يمحق كلَّ هذه الوحدات لو كان يحملها، فإنَّ سيئة الربا لها من القوَّة تحرق وتحبط كلَّ الحسنات، ولا عجب حيث جعل الله ترك الربا من لوازم أصل الإيمان به.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ

مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٧٨)

س: ما هو التفسير المحتمل للآية؟

ج:

- ١- الخطاب للذين آمنوا باعتبارهم هم أهل الخطاب لامتنالهم أوامر الله، وأنه هو المناسب للأمر بتقوى الله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾.
- ٢- أن الخطاب للذين تابوا أو الذين دخلوا الإسلام وهم مراهون فعليهم ترك ما بقي من الربا وأن يتم تصفية الحساب على رأس المال وترك الزيادة التي هي الربا المحرّم.
- ٣- أن تقوى الله بترك الربا من لوازم الإيمان فينتفي بانتفائها.

مركز تحقيقات كامپيوتر علوم اسلامی

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٧٩)

س: ما هو التفسير المحتمل لهذه الآية؟

ج:

فإن لم تتقوا الله بترك الربا فقد دخلتم بحرب مع الله ورسوله، فاعلموا حجم جرمكم أيها المرابون واعلموا ضخامة نتائجه الخطيرة على أنفسكم عاجلاً أم آجلاً إلا أن تتوبوا، وإذا تبتم فلتكن تصفية الحساب مع المدين مختصرة على أخذ رأس المال من دون زيادة؛ لأنَّ أخذ الزيادة ظلم للمدين وظلم للنفس لوقوعها في المحرّم، وبأخذكم رأس المال فقط ليس فيه ظلم لكم لعدم استحقاقكم لهذه الزيادة منذ وقوع العقد للحرمة السابقة على العقد التي لا تنفك عن بطلان المعاملة، وبالتالي فأي نقص يحصل في رؤوس أموالكم ليس فيه ظلم.

س: كيف نتصوّر وقوع الحرب من الله ورسوله؟ اذكر المحتملات لذلك.

ج:

- ١- أن المرابي قد أصرَّ على عصيان الله على الرغم من وجود التشديد الكبير في حرمة الربا، وهذا يعني أن المرابي قد أعلن التمرد والحرب على المشرّع وهو الله وعلى القرآن الناقل للحكم وعلى رسوله ﷺ باعتباره الحامل للرسالة والمبلّغ لها والمسؤول عنها وبهمة أمرها وأمر الملتزمين بها.
- ٢- فمادام قد أعلن المرابي حربه ضدَّ الله ورسوله فقد أذن الله لنفسه ورسوله أن يدخلوا الحرب ضده، وجاء لفظ الحرب نكرة لشدة عظمتها على المرابي.

٣- حرب الله أن يرفع يد العون عنه في الدنيا فلا يهتدي إلى سبيل ولا يصل إلى فلاح في النتائج وله عذاب جهنم، وأما حرب الرسول له فهو ألا يعرفه يوم القيامة ولا يقف له شفيعاً وهو الخسران المبين الذي يسدّ عليه كلّ أمل في الفوز، ومن هنا نعرف لماذا أشرك الله رسوله في الحرب.



مركز تحقيقات کامپیوتر علوم اسلامی

﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨٠)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

النظرة: المهلة.

س: ما هو التفسير المحتمل للآية؟

ج:

أنه خطاب عام يشمل كل دائن له دين على المدين في أن ينظر وجوباً لحاله عند مجيء أجل الدين عند مجيء المدين ليطلب منه تأجيل الأجل وتمديده لعدم تمكنه من الدفع، أو ينظر إلى المدين من دون طلب منه فيمهله وينتظره حتى يصبح في يسر ويمكنه الدفع، وفي جميع الأحوال إذا كان الدائن متمكناً وفي يسر ولم يكن له حاجة في الدين فلو تصدق به عليه فهو خير للدائن؛ لما عرفت من أن الله له النظرة الخاصة في الصدقات، وأنها تحت نظره الخاص بالرعاية والترية بحيث ينمّيها بما يصدر من رحمته ولطفه بحيث لا يعلم أحد مقدار ما يريبه الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وعلى المرابي الذي هو أحد أفراد عموم الخطاب ألا يطلب الزيادة عند تمديد أجل المدين للحرمة، بل عليه أن ينتظر رأس ماله عند مجيء أجله، وعليه وجوباً أن ينتظره إذا كان المدين في حالة عسر أو أن يجعله صدقة له إن لم يكن في حاجة له فإنه خير له. ويجري هذا الحكم في الصدقة الواجبة كذلك، لأن الغارمين أحد

موارد الصرف في آية الصدقات في سورة التوبة، ورد أن رسول الله ﷺ دخل المسجد وهو يقول: «أَيْكُمْ يَسْرُهُ أَنْ يَقِيَهُ اللَّهُ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَلْنَا يَسْرُهُ، قَالَ: مَنْ أَنْظَرَ مَعْسِراً، أَوْ وَضَعَ لَهُ، وَقَاهُ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ»^(١).

س: هل يعني إذا كان المقرض ذا عسرة أن يقف المقرض موقف المتفرج حتى يتّصف المقرض باليسر قصر الزمان به أو طال؟ اذكر المحتمل من الجواب.

ج:

أن على المقرض أن ينظر إلى المقرض بإنصاف ووجدانية ورفق، وأن يدرس المقرض حاجته كذلك، فإذا شاهد أن هناك ظروفاً قاهرة ليس سببها المقرض وأن المقرض ليس بحاجة للمال، فهنا لا بد أن يقف المقرض موقف المنتظر حتى يتّصف المقرض باليسر وأنه مأجور على انتظاره من قبل الله، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مَنْ أَنْظَرَ مَعْسِراً كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ بِمِثْلِ مَا لَهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَسْتَوْفِيَ حَقَّهُ»^(٢).

وإذا شاهد أن هناك خللاً في المقرض أو أن المقرض في حاجة إلى ماله فهنا الشارع المقدس يرفض الموقف المتفرج للمقرض، بل هناك طرق شرعها الإسلام لفك عسر المقرض، منها أن للمقرض حقاً من بيت المال، ومنها أن من حق الحاكم أن ينظر في حال المقرض إما أن يحبس، أو يفرض عليه الكسب وخصوصاً إذا كان صاحب مهنة، أو يبيع من أملاك المقرض لتسديد ديونه، وغيرها

(١) الترغيب والترهيب ٢: ٤٦٦/١٥.

(٢) الفقيه ٢: ٥٨١/١٧٠١.

من الأمور التي تجبر المقترض على أداء ما عليه من الدين.
وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كما لا يحلّ لغريمك أن يملكك وهو موسر،
فكذلك لا يحلّ لك أن تعسره إذا علمت أنه معسر»^(١).



﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨١)

س: ما هو التفسير المحتمل للآية؟

ج:

أنها خير ختام لآيات الربا، حيث تذكر هذه الآية الجميع بشكل عام والمرابي بشكل خاص بيوم الجزاء الذي يحشر الناس فيه جميعاً وفيه ما فيه من الأهوال ودقة في الحساب، وأن الحساب على العمل، وهو يوم الوفاء الإلهي بوعدده بأنه سيحاسب به الناس على أساس من العدل بحيث يحصل الجزاء من دون أن تجد للظلم وجوداً فيه بحيث يشعر كل إنسان هو هذا الاستحقاق ويكون راضياً عنه وعن قناعة تامة به، فالآية تستبطن الترغيب والترهيب، وقال علماء الرواية: إن هذه الآية آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ من القرآن، وعاش الرسول ﷺ بعدها بواحد وعشرين يوماً أو سبعة أيام.

س: قالوا: إن الربا في القروض وأخذ الدائن الزيادة من المدين في باب القروض، ليس هو إلا كأخذ المؤجر الأجرة من المستأجر في باب الإجارة، فلماذا تحرّمون الأول وتحلّون الثاني؟ فما هو المحتمل من الجواب على ذلك؟

ج:

هناك فرق بين القرض والإجارة ومن أهم الفروق هي:

١- القرض: هو تملك العين بنفسها وبتمامها للمقترض بعوض في الذمة بالمثل أو

القيمة، وأنَّ أيَّ خسارة يتحمَّلها المقرض، وأنَّ أيَّ ربح فهو للمقرض، وأنَّ أيَّ تصرف يقع في ملك المقرض، وأنَّ أيَّ جهد يبذله المقرض هو من أجل ملكه وفي ملكه الذي ملكه المقرض إياه وقطع المقرض ملكيته عنه، فلا يشترك المقرض في شيء مما امتلكه المقرض.

٢- الإجارة: هي تملك منفعة العين المستأجرة بعوض معيَّن، فالعين باقية للمؤجر وأنها ملكه وله تمام السلطة عليها، وليس للمستأجر إلا المنفعة وعليه ضمان العين من التلف، فكلَّ نزول أو صعود في القيمة السوقية للعين فهي للمؤجر المالك وليس للمستأجر أي دخل في ذلك.

٣- إذا عرفنا الفرق بين الإجارة والقرض نعرف لماذا حلَّ أخذ الربح في الأوَّل وحرِّم في الثاني، حيث الأوَّل هو عوض عن حقِّ له وهو الانتفاع قد أعطاه للمستأجر وفي ملك المؤجر، بينما في القرض فليس للمقرض حق في الربح وأخذ الزيادة؛ لأنه لا يملك شيئاً يستحقُّ عليه الربح، فإنَّ التصرف وقع في ملك المقرض، وأنَّ الخسارة قد وقعت في ملك المقرض، وأنَّ الربح قد وقع في ملك المقرض، وأنَّ سد حاجة المقرض بملكه، فليس على المقرض الضمان والالتزام بردِّ بدلها، وأنَّ أخذ أي زيادة على ذلك من المقرض ليس إلا الظلم والسرقه للجهود التي يبذلها المقرض من أجل سدِّ حاجته التي وقعت في ملكه لا في ملك غيره.

س: قالوا: إنَّ الذي يقدِّم أمواله قرضاً فقد خاطر بها فقد يحصل عليها وقد لا يحصل عليها لبحود المقرض أو لموته أو لسفه أو لغير ذلك من الأمور، ومن أجل التأمين على رأس مال القرض تؤخذ الزيادة، وإلا إذا

ترك مال القرض من دون تأمين يصبح حال المقرض مهدداً فقد يتحوّل بين ليلة وضحاها إلى أن يكون هو أحد المحتاجين الذين يبحثون عن القرض، فما هو جوابكم المحتمل على ذلك؟

ج:

- ١- أن المرابي لا يأخذ الزيادة من أجل التأمين على رأس مال القرض، بل من أجل الحصول على الزيادة والربح.
- ٢- أن طرق التأمين تأتي بأسلوب يعاكس طريق الربا الذي يزرع الحقد والبغضاء والأثمانية لشعور المدين بأن الزيادة التي يأخذها المرابي من دون حق له، وبالتالي يكون طريق الربا لا يزيد المخاطرة برأس المال إلا خطورة أكثر.
- ٣- لم ينحصر طريق تأمين رأس مال القرض بالربا، بل هناك طرق متعدّدة جعلها الشارع لتأمين رجوع المال إلى صاحبه، فالشارع الإسلامي جعل رأس مال المقرض في حماية منذ اللحظات الأولى لمعاملة القرض إلى أن يرجع المال بيد صاحبه، ومن طرق التأمين هي:
 - أولاً:** عدم الترغيب في أصل القرض ويعتبره الشارع غمّاً وذلّاً وأنه أحد الرقّين، كما سيأتي في مبحث الدين.
 - ثانياً:** أن يكون القرض عند الحاجة الضرورية وأن يكون بقدر الحاجة.
 - ثالثاً:** تعليم المقرض والمقرض كيفية إثبات الحق بالمكاتبة والشهود وغيرها من الأمور التي سيأتي ذكرها في مبحث الدين.
 - رابعاً:** تخويف المقرض في الدنيا بالحبس عند المماطلة، وتخويفه في الآخرة حيث يعدّ من الظالمين الذي يمنع عنه دخول الجنة.

خامساً: للحاكم الشرعي الحق في أن يلزم المقرض في أداء دينه، وله الولاية في أن يبيع أملاكه الزائدة على عياله لسد ما عليه من الحق كما جعل هذه الولاية على المفلس والمحجور عليه.

سادساً: التشريع الإسلامي يلزم المقرض بالتكسب وأخذ الفائض منه لسد ما عليه من الحق.

سابعاً: التشريع الإسلامي يجعل قسطاً من بيت المال لأداء دين المعوزين.

س: اذكر نموذجاً من الروايات التي تحكي عن الربا.

ج:

١- الربا أعظم جرماً وإثماً من الزنا عند الله، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال:

«درهم رباً أعظم عند الله من سبعين زنية كلَّها بذات محرم في بيت الله الحرام»^(١).

٢- مستحل الربا كافر ومستحق للقتل، ورد أنه بلغ أبا عبد الله عليه السلام عن رجل أنه كان

يأكل الربا ويسميّه اللباء، قال: «لئن أمكنني الله منه لأضربن عنقه»^(٢).

٣- الربا شرّ مكسب ومعاش، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه أنه قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: شر الكسب كسب الربا»^(٣).

٤- الربا مانع للمعروف والتعاون والتحابب بين الناس، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام

أنه قال: «إنما شدد في تحريم الربا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف

(١) وسائل الشيعة ١٨: ١٢١/٢٣٢٨١.

(٢) الكافي ٥: ١١/١٤٧.

(٣) الكافي ٨: ٣٩/٨١٨.

قرضاً ورفداً»^(١).

٥- الربا يمنع الإنسان من الكسب والعمل، ورد عن هشام بن الحكم أنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن علة تحريم الربا؟ فقال: «إنه لو كان الربا حلالاً لترك الناس التجارات وما يحتاجون إليه، فحرم الله عز وجل الربا ليفر الناس من الحرام إلى حلال وإلى التجارات وإلى البيع والشراء فيبقى ذلك بينهم في القرض»^(٢).

٦- عاقبة الربا فقر المرابي، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «الربا وإن كثُر فإن عاقبته تسير إلى قل»^(٣).

٧- المرابي لا يقبل له عمل وهو تحت لعنة الله وملائكته، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ أَكَلَ الرِّبَا مَلَأَ اللهُ بَطْنَهُ نَاراً يَقْدِرُ مَا أَكَلَ مِنْهُ، فَإِنْ كَسَبَ مِنْهُ مَا لَمْ يَقْبَلِ اللهُ شَيْئاً مِنْ عَمَلِهِ وَلَمْ يَنْزِلْ فِي لَعْنَةِ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ مَا دَامَ عِنْدَهُ مِنْهُ قِبْرَاطٌ»^(٤).

٨- انتشار الربا في مجتمع ينذر بهلاكه، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا أراد الله بقوم هلاكاً ظهر فيهم الربا»^(٥).

٩- المرابي من أهل الفتنة، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذكر أهل الفتنة: فيستحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا

(١) مجمع الفائدة ٨: ٤٥٢.

(٢) الفقيه ٥٦٧: ٣/٤٩٣٧.

(٣) الدر المنثور ١: ٣٦٥.

(٤) وسائل الشيعة ١٨: ١٢٢٢/٢٣٢٨٤.

(٥) وسائل الشيعة ١٨: ١٢٣/٢٣٢٨٦.

بالبيع»^(١).

١٠- الربا من كبائر المحرمات وفي جميع الشرائع، ورد في فقه الإمام الرضا عليه السلام أنه

قال: «اعلم يرحمك الله أن الربا حرام سحت من الكبائر ومما قد وعد الله عليه

النار فنعوذ بالله منها وهو محرم على لسان كل نبي وفي كل كتاب»^(٢).

١١- كل من اشترك في معاملة الربا صار مرابياً، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «لعن

الله آكل الربا وشاهده وكاتبه إذا علموا بذلك»^(٣).

١٢- محاربة الربا والتخلص منه يتم عن طريق مطالعة الأحكام الشرعية، ورد عن

أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من لم يتفقه في دينه ثم اتجر ارتطم في الربا ثم

ارتطم»^(٤).



مركز تحقيقات کامپیوتر علوم اسلامی

(١) نهج البلاغة ٢: ٤٧/١٥٦.

(٢) فقه الرضا: ٢٥٦.

(٣) المستدرک ١٣: ٣٣٦/١٥٥٢٣.

(٤) روضة الواعظین ٢: ٤٦٥.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ
 وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ
 فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ
 كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ
 وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ
 فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ
 إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْب الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ
 صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا
 تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
 أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا
 فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ • وَإِنْ كُنْتُمْ
 عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ
 الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ
 آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿البقرة: ٢٨٢-٢٨٣﴾

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:

١- الدين: أخذت منه وأعطيته.

٢- مسمًى: المعلوم بتسمية.

٣- يَأْب: يرفض ويمتنع.

٤- يَمَلَل: من الإملاء وهو ما يلقيه الرجل للكاتب ليكتبه.

٥- يَبْخَس: ينقص.

٦- الشاهد: الذي يتحمل الشهادة بعد أن شاهد.

٧- السَّام: الملل والضجر.

٨- أَقْسَط: أعدل.

٩- أقوم: من القيام، وهو الحفظ، أي أحفظ للشهادة.

١٠- تديرونها: تتناقلونها من يد إلى يد.

١١- الرهن: أعطيته شيئاً وأبقيته عنده.

● الدِّين بين علاج الحاجة وتأمين رأس المال

س: ما هو المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قَدَّيْنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتَبُوهُ تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾؟

ج:

١- الخطاب للمؤمنين باعتبار الخطاب ينقل أحكاماً تكليفية وأن المؤمنين أهل لامتنال أوامر الله.

٢- موضوع الآية هو الدين وليس القرض، لأن الدين هو أعم حيث يشمل كل معاملة يتعامل الطرفان بها كالبيع نسيئة والمصالحة والإيجار والقرض والمضاربة والزواج بالمهر المؤجل وغيرها من العقود التي يصبح أحد الطرفين

من خلالها مديناً للطرف الآخر، بينما القرض نوع معاملة يحصل من خلالها تمليك المقرض تقدماً أو عيناً من قبل المقرض وله ضمان المثل أو القيمة من قبل المقرض، فيكون القرض أخص من الدين، وعليه يكون موضوع الآية هو الدين.

٣- عندما تحدّثنا عن الربا وقال صاحب الإشكال: إنه لا بدّ من تأمين رأس المال، فهذه الآية تضع أقوى الأسس لتأمين رأس مال الدائن قبل الخوض بمعاملة الدين.

٤- الشرط الأول: أن يكون في المعاملة التي يصبح أحد الطرفين فيها مديناً للآخر تعيين وقت التأجيل ونهاية المدّة التي يتفق عليها الطرفان باليوم والشهر والسنة بما يرفع أي احتمال آخر، وهو معنى ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

٥- الشرط الثاني: تدوين وكتابة مقدار الدين والأجل المسمّى بما يرفع أي احتمال مخالف، وهو معنى ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ حيث الضمير يرجع إلى الدين وإلى الأجل المسمّى.

٦- الشرط الثالث: أن الذي يكتب ويدوّن الكتاب والمعاملة بين الطرفين أن يكون طرفاً ثالثاً، ومدوّن العقد وكتابه الذي هو الطرف الثالث يجب أن يكون موصوفاً بالصفات التالية:

أولاً: أن يكون من الأمناء بحيث يكتب نصّ ما يطرح بالعدل من دون زيادة أو نقصان.

ثانياً: إحرار قبوله للكتابة؛ لأنه لم يكن واجباً عينياً عليه، بل هو من دافع إيمانه والتزامه بالأحكام ومساعدة الآخرين من المؤمنين ﴿وَلَا يَأْتِ بِكَ آيَاتٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾.

ثالثاً: أن يكون ممن له علم بفقہ المعاملة وتنظيم العقود حتى لا يكون كاتباً لظلم أو حرام أو ربياً ﴿أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ﴾.

رابعاً: أن تكون كتابته واضحة، دقيقة، متقنة وخالية من أي غموض والتباس (كاتب) (يكتب) (فليكتب)

٧- الشرط الرابع: أن الذي يدون ويكتب في العقد هو ما يقوله المدين وما يقره المدين؛ لأن المخاطب في هذا العقد هو المدين وأنه في مسؤولية المدين وفي ذمة المدين وسوف يمضي ويختتم عليه المدين، فالمتكلم أخيراً وبعد الاتفاق هو المدين ﴿وَلْيَمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ وعليه ألا يترك شيئاً متفقاً عليه ذكره المدين حتى لا يقع في بخس حق الدائن المحرم، فليتق الله الذي هو ربه؛ لأنه يريد أن يقضي حاجة المدين بواسطة توفيق الدائن له ﴿وَلْيَتَّقِ اللهُ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً﴾

هذا كله إذا كان المدين صحيحاً سالماً، وأما إذا لم يكن سالماً تصرفاً بأن كان سفياً كأن يكتب عليه من دون تفكير في العواقب ولا يعرف ما يضره، أو ضعيفاً من الناحية العقلية، أو أخرس أو صغيراً لا يمكنه أن يملل ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾، ففي هذه الحالة ينوب عنه وليه، فعند ذلك يقوم الولي ليمل على الكاتب، ويشترط في الولي أن يكون عادلاً مطمئناً بأمانته وله ثقة فيه بحيث ينقل ما يريده المولي عنه من دون زيادة أو نقصان وبما فيه مصلحة للمولي عنه ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾.

٨- الشرط الخامس: طلب الشهود بحيث يرضى عليهما الطرفان الدائن والمدين

﴿وَأَشْتَشْهِدُوا﴾، ويشترط في الشهود الأمور التالية:

أولاً: أن أقل العدد اثنان ﴿شَهِيدَيْنِ﴾.

ثانياً: أن يكون الشاهدان من الذكور البالغين المؤمنين ﴿شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾.

ثالثاً: إذا لم يتوفر الرجلان أو أراد أحدهما أن تكون المرأة أحد الشهود اختياراً فله ذلك، ولكن بشرط أن يكون عدد الشهود حينئذ ثلاثة رجالاً وامرأتين ممّا يتفق عليهم الطرفان ويطمئنوا بهم ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾، ويعلل القرآن سبب وجود امرأتين هو عند الاستدعاء لأداء الشهادة أن المرأة بحكم نسيجها الناعم وقوة عاطفتها قد يصيبها بعض الارتباك أو الخوف أو النسيان، بل قد أثبت العلم الحديث أن ما يأتي للمرأة من الحيض أو النفاس تكون الحالة النفسية للمرأة مضطربة وأنها معرضة للنسيان واضطراب اللسان كذلك، ولهذا احتل النسيان عند المرأة دون الرجل، فعندئذ تقوم الأخرى بتذكيرها لتدلي بشهادتها كما هو المطلوب منها ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ والتذكير يتم من خلال الجمع بينهما بأن تدلي كل واحدة شهادتها بمسمع وبمحضر من الأخرى ولا يفرق بينهما، وهذا المعنى أي الجمع بينهما يفهم من تكرار ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ في هذا المقطع من الخطاب، فإذا كان التفريق بين الشهود رجالاً عند الإدلاء بشهادتهم هو الأفضل فإن الجمع بين النساء الشهود هو الأولى.

رابعاً: أن يكون الشهود مستعدين للحضور بإدلاء شهادتهم عندما يدعوهم، فإذا أمضوا في العقد كشاهدين فلا يجوز لهم التخلف عندما يدعوهم للإدلاء

بشهادتهم، فإن إقامة العدل لا يكون إلا بذلك ﴿الْأُخْرَى وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾.

٩- الشرط السادس: أن كتابة العقد وتدوين ما يتفق عليه الطرفان يجري في الأمور والأشياء الصغيرة والكبيرة والحقيرة والخطيرة وسواء محتمل الوقوع بعيداً أو قريباً، وسواء كان أصلاً أو فرعاً، فلكل لا بد أن يدون في العقد ويكتب ولا يصيبكم الملل والضجر مما يثيره أحد الطرفين من مثل تدوين هذه الأمور ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾؛ لأن ذكر التفاصيل فيها نفع كثير حيث تتحقق الأمور التالية:

أولاً: كلما كانت التفاصيل أكثر تكون أقرب لنيل العدل والتخلص من احتمال الوقوع في المشاكل ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

ثانياً: كلما كانت التفاصيل أكثر كلما اطمأن الشهود أكثر وتنكشف لهم الحقائق أكثر فلا يبقى غموض بعد ذلك، فيكون إدلائهم للشهادة أدق وأقوى عندما يدعون إليها ﴿وَأَقْوَمُ لِلشُّهَادَةِ﴾.

ثالثاً: كلما كانت التفاصيل أكثر كلما انكشفت الدوافع والنيات أكثر، فلا يبقى مجال لأن يرتاب أحد الطرفين بالآخر فيبقى الاطمئنان ويبقى الحب وتبقى الثقة هو الرابط القريب بين الطرفين ﴿وَأَذْنَىٰ آلًا تُرْتَابُوا﴾.

١٠- لا يشترط التكتاب بين الطرفين إذا لم يكن أحدهما مديناً للآخر، بل كانت التجارة نقدية بحيث ترى وتتداول وتتقدم للطرفين حالاً، ولكن حتى في هذه الحالة لا بأس بأن تتكاتبوا حتى يرفع ما فيه الاختلاف المحتمل فيما بعد ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا

تَكْتُبُوهَا﴾. واطلبوا الشهداء كذلك في هذه الحالة وعند البيع والتجارة، فإنه يركز تثبيت ملكيتكم ويقطع الخلاف أصلاً، فإن في ذلك نفعاً وليس فيه ضرر ﴿تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾.

١١- الكاتب والشهود محترمون وأنهم يقدمون خدمة انطلاقاً من مسؤوليتهم الشرعية، وعلى هذا فالواجب على الطرفين أن يقدموا لهم الشكر والامتنان والاحترام، وأما إذا حصل العكس بأن أُصيبوا بضرر مهما كان حجمه من قبل أحد طرفي العقد لكونهم تكلموا الحق وكتبوا الحق وشهدوا بالحق على ما كتبوا وما تلفظوا فإنه إثم وخروج عن طاعة الله؛ لأن جزاء الحسنة حسنة لا سيئة، فإن ذلك مرفوض شرعاً وعقلاً ﴿وَلَا يُضَارُّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ﴾، وقد يشير خطاب ﴿فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ إلى بعض طبيعة الإنسان عندما تكون نتيجة شهادة الشهداء عليه وليست له تحدث عنده انفعالات نفسية ضد الشهود على الرغم من علمه بأن ما أدلى به الشهود هو الحق، وعلى الإنسان أن يكبح تلك الانفعالات النفسية حتى لا تضطره إلى الوقوع في الإثم والفسوق عندما تتحوّل تلك الانفعالات إلى فعل وحركة مضادة ظالمة.

١٢- يختم الله هذه الآية بالتوصية والأمر بتقواه من خلال مراجعة الأحكام والالتزام بها؛ لأن الأحكام عندما يعرضها الله في كتابه من أجل أن يتعلمها الإنسان ويلتزم بها، والله العالم بكل شيء يراقب حركة الإنسان ليرى مدى التزامه بذلك ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

س: لماذا الحاجة إلى الشهود بعد الكتابة؟

ج:

- ١- الشهادة تأتي كطريق آخر بعد تلف الكتابة أو إنكارها أو بعضها.
- ٢- الكتابة لضمان الحق وصونه من الضياع، والشهادة تأتي بعد الاختلاف لإثبات الحق لا لضمانه.

س: ماذا قالت السنة عن كتابة الدين؟

ج:

- ١- ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «أصناف لا يستجاب لهم، منهم من أدان رجلاً ديناً إلى أجل فلم يكتب عليه كتاباً ولم يشهد عليه شهوداً...»^(١).
- ٢- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من ذهب حقه بغير بيّنة لم يؤجر»^(٢).

س: ماذا قالت السنة عن مماطلة المدين في الوفاء بدينه؟

ج:

- ١- ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «من يطل على ذي حق حقه وهو يقدر على أداء حقه فعليه كل يوم خطيئة عشار»^(٣).
- ٢- ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «الدين على ثلاثة وجوه: رجل إذا كان له فأنظر، وإذا عليه أعطى ولم يماطل فذلك له ولا عليه، ورجل إن كان له استوفى وإن كان عليه أوفى فذلك له ولا عليه، ورجل إذا كان له استوفى وإذا كان عليه مظل

(١) وسائل الشيعة ٧/١٢٦:٧/٨٩١٣.

(٢) الكافي ٥/٢٩٨:٣.

(٣) البحار ١٠٠/١٤٦:٣.

فذاك عليه ولا له»^(١).

٣- ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «مطل الغنيّ ظلم»^(٢).

س: ماذا قالت السنة عن أصل طلب الدين؟

ج:

١- الدين أذى للنفس، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إياكم والدين فإنه همّ بالليل»^(٣).

٢- الدين ذل للمدين، ورد عن أمير المؤمنين ع أنه قال: «الدين أحد الرقين»^(٤)، وورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «الدين غمّ بالليل، وذلّ في النهار»^(٥).

٣- الدين يحوّل أخلاقية المؤمن من الإيجاب إلى السلب تدريجياً، ورد عن الإمام أمير المؤمنين ع أنه قال: «كثرة الدين تصير الصادق كاذباً والمنجز مخلفاً»^(٦).

٤- الدين يشترك في تقصير العمر، ورد عن الإمام الصادق ع أنه قال: «خففوا الدين فإنّ في خفة الدين زيادة العمر»^(٧).

٥- الدين لا يأتي إلا عند الضرورة ويقدر الحاجة، ورد عن الإمام الكاظم ع أنه قال: «مَنْ طلب هذا الرزق من حلّه ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في

(١) الخصال ١: ٢٩/٩٠.

(٢) وسائل الشيعة ١٨: ٣٣٣/٢٣٧٩١.

(٣) المستدرک ١٣: ٣٨٨/١٥٦٨٢.

(٤) غرر الحكم: ٣٦٢/٨٢١٢.

(٥) عوالي اللآكي ٢: ٢٥٦/١.

(٦) غرر الحكم: ٧١٠٥.

(٧) وسائل الشيعة ٥: ٦١/٥٩١٥.

سبيل الله فإن غلب عليه فليستدن على الله ورسوله ﷺ ما يتقوت به عياله...»^(١).

س: ماذا قالت السنّة عن إنفاق المال في الدين؟

ج:

١- ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «..ومن أقرض ملهوفاً فأحسن طلبته استأنف العمل، وأعطاه الله بكلّ درهم ألف قنطار من الجنّة»^(٢).

٢- ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «.. من شكأ إليه أخوه المسلم فلم يقرضه، حرّم الله عليه الجنّة»^(٣).

٣- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «قرض المؤمن غنيمة وتعجيل خير، إن أيسر أداه، وإن مات احتسب من الزكاة»^(٤).

س: ماذا قالت السنّة عن عدم الإنفاق في الدين؟

ج:

١- ورد عن الإمام السجّاد عليه السلام أنه قال: «من كان عنده فضل ثوب وقدر أن يفضّ به مؤمناً يحتاج إليه فلم يدفعه إليه، أكبه الله في النّار على منخره»^(٥).

٢- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من كانت له دار فاحتاج مؤمن إلى سكنها

(١) الكافي ٥: ٣/٩٣.

(٢) وسائل الشيعة ١٦: ٣٤٣/٢١٧١٧.

(٣) وسائل الشيعة ١٦: ٣٩٠/٢١٨٤٢.

(٤) الكافي ٤: ٥/٣٤.

(٥) وسائل الشيعة ٥: ١١٥/٦٠٨٠.

فنعنه إيّاها، قال الله عزُّ وجلّ: يا ملائكتي، أبجّلْ عبيدي على عبيدي بسكنى الدّار الدنيا؟! وعزّي وجلالي لا يسكن جناني أبداً»^(١)، وعنه أيضاً: «أيما مؤمن حبس مؤمناً عن ماله، وهو محتاج إليه، لم يذقه الله طعام الجنّة، ولا يشرب من الرحيق المختوم»^(٢).

٣- ورد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: «مَنْ قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يجره، بعد أن يقدر عليه، فقد قطع ولاية الله تبارك وتعالى»^(٣).

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾؟

مركز تحقيقات كاميون علوم إسلامي

ج:

أولاً: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾

١- هذا الخطاب يشير إلى أحد طرق تأمين رأس مال الدائن، وهو أن يكون المدين في حالة سفر بحيث يعيش الغربة، فهنا المدين إذا احتاج إلى الدين ويوجد من يقدّم له الدين فهنا لابد من المكاتب والشهود كما هو المفروض في الدين مع عدم السفر، ولكن لما كان المسافر يعيش حالة الغربة قد يفقد الكاتب والشاهد

(١) الكافي ٢: ٣٦٧/٣.

(٢) وسائل الشيعة ١٦: ٣٨٩/٢١٨٤١.

(٣) وسائل الشيعة ١٦: ٣٨٦/٢١٨٣٤.

الذي يطمئن إليه فهنا وضع الله البديل عن ذلك وجعل للدائن وثيقة يتمسك بها بدلاً عن ماله وهو أخذ الرهان، أي أن يقبض الدائن من المدين رهناً ليبقى عنده أمانة بدلاً عن الدين، سواء كانت قيمة الرهن أقل أو مساوية أو أكثر من المقدار المدفوع؛ لأنه في جميع الأحوال أن الرهن أمانة بيد الدائن ومع موافقته على مقدار الرهن ومدة الأجل المسمى.

٢- يمكن أن تكون وثيقة الرهن ليس لها خصوصية بسفر المدين، بل يمكن أن تكون ظاهرة عامة لكل دائن لا يريد المكاتب والشهود ولا تكون له فرصة وفراغ لمتابعة حقه على المدين ولا يطمئن إلا بالبديل المادي، فيمكنه أن يأخذ رهناً أمانة بيده حتى يدفع المدين ما عليه عند حلول أجله، وعلم الفقه يبحث الرهن وشروطه بصورة مفصلة.

ثانياً: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ﴾

يوجد احتمالان: *مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي*

١- فإن أمن بعضكم بعضاً فلا رهان، فليؤدِّ الذي أؤتمن وهو المدين ما في ذمته من الدين عند حلول أجله، ولا يماطل ولا يخس به، فإنه خيانة للأمانة ومعصية لله، فعليه ردّ الجميل الذي وفقه ربّه إليه، وليتق الله من خلال شكر المنعم والذي ائتمنه بتقديم ما عليه من الحق بمقداره ووقته إلى الدائن.

٢- فإن أمن بعضكم بعضاً بأن أعطى المدين للدائن الرهن وقدم الدائن المال للمدين إلى أجل مسمى، فأصبح كلاهما في ذمته أمانة للآخر، فعند حلول الأجل أن يقدم كل منهما لصاحبه ما أؤتمن عليه فيدفع الدائن الرهن الذي قبضه ويدفع المدين الدين الذي قبضه، وليتق الله كل واحد منهما في أن يرجع الأمانة

بمقدارها وبوقتها من دون محاطة.

ثالثاً: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾

يحرم على الشاهد أن يكتم شهادته عندما يدعى للإدلاء بشهادته ولم يكن هناك مانع شرعي أو المزاحم الأهم، والشهادة هنا لها احتمالان:

١- الشهادة عامة، أي كل من كان شاهداً على موقف من المواقف وانحصر إثبات الحق على إدلاء شهادته فيحرم عليه الكتمان؛ لأنه سوف يمنع إقامة العدل وإيصال الحق إلى أهله.

٢- الشهادة الخاصة، وأعني بها تلك الشهادة على المعاملة وعقد الدين التي ختم الشاهد عليها وأعلن استعدادَه للإدلاء بشهادته عند الحاجة، فهذا يحرم عليه كتمانها، فبالإضافة إلى النص بالحرمة ومنع إقامة العدل ومنع إيصال الحق إلى أهله فإنه خيانة للوعد وتغريب للطرف المحق.

رابعاً: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

آثم قلبه لها احتمالات منها:

١- أن موضوع هذا الخطاب هو الكتمان وهو من أفعال القلب، فيكون آثم قلبه مشيراً إلى ذلك.

٢- أن كتمان الشهادة في هذه الحالة معبر عن حالة مرضية قلبية واقعية وانحراف نفسي وروحي وضيق في الشعور وقهر للمشاعر فإنه آثم قلبه، فإن الذي يرى إثبات الحق منحصراً بشهادته ومع ذلك يمتنع من دون مبرر شرعي أو عقلائي يدل على خبث السريرة وعدم استقامتها، ويدل على استهانتها للحق ولصاحب الحق، وليس ذلك بقليل فإن الحياة الشرعية قائمة على ذلك، وإن قيمة إنسانية

الإنسان تظهر بذلك، وبهذا يكون مهتداً من قبل الله ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ .
 ٣- أن يكون آثم قلبه إشارة إلى حجم معصية الكتمان الكبيرة، حيث وجه الإثم إلى
 مركز صدور الأفعال والدوافع والموجه للإنسان وهو القلب والروح.
 ٤- أن الكتمان كما يصدق في حالة عدم أداء الشهادة فهو يصدق كذلك في حالة أن
 يؤديها على خلاف الواقع والحق، فتكون شهادته شهادة زور، ورد عن
 الرسول ﷺ أنه قال: «لا ينقض كلام شاهد الزور من بين يدي الحاكم حتى
 يتبوا مقعده من النار»^(١).



﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٨٤)

س: ما هو التفسير المحتمل للآية المذكورة أعلاه؟

ج:

أولاً: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

نستنتج من هذا الخطاب الأمور التالية:

١- أثبات الملكية لله وحده، وأنها الملكية الحقيقية لكل شيء باعتبار خالق كل

شيء.

٢- أثبات أول أصل من أصول الدين وهو وحدانيته سبحانه وتعالى في كل شيء

يصدر منه أو يتصف به. *مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی*

٣- أثبات كل الوجود له بهذا الخطاب تمهيداً لبيان حق المحاسبة والعفو أو

التعذيب.

ثانياً: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ

وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

١- أن العمل الفعلي والحركة الصادرة من الإنسان سواء كانت على مرأى ومسمع

من الناس أو لم تكن كذلك، فإن كانت في خير أو شر فهي تكتب والإنسان

محاسب عليها؛ لأن الكوامن النفسية هي التي تحدّد نوع العمل الصادر.

٢- وإن تبدوا ما في أنفسكم بفعل أو تخفوه بصدور فعل مضاد لما أخفيتموه

يحاسبكم به الله، فإن كان شراً فشر وإن كان خيراً فخير.

٣- سواء أظهرتم نياتكم ودوافعكم أم أخفيتموها فإن الله يعلمها وسوف يحاسبكم عليها، فيثيب على الخير منها ويوجه اللوم على ما هو الشر منها إذا لم يصدر عنهما فعل، فعلى الإنسان أن يهذب الخطورات الذهنية ويطهر ما تضره القلوب بصورة دائمة.

٤- في هذا الخطاب إشارة صريحة في أن الحساب بيد الله وهو المتفرد بمحاسبة الناس لا غير، ويتفزع من ذلك أن العفو أو التعذيب بيده ولا يتدخل أحد في ذلك غيره سبحانه وتعالى فلا يحتاج إلى من يعينه على ذلك، بل هو على كل شيء قدير.

س: كيف تقولون بأن الله يحاسب على الخطورات الذهنية وما يضره القلب؟ ألم يكن ذلك تكليفاً بما لا يطاق؛ لأن الخطورات وما يضره القلب ليست من الأمور الاختيارية؟ أذكر المحتملات في الجواب على ذلك.

ج:

١- أن الخطورات وما يضره القلب إذا كانت غير اختيارية فإن منعها وتطهيرها اختياري وممكن، والكلام في المحاسبة يقع في الثاني.

٢- أن المحاسبة على الخفايا لبيان قدرته سبحانه وتمييزها عن غيره، مع ما فيه من القناعة التامة للمحاسب.

٣- أن من اللطف والرحمة أن يحاسب الله على الدوافع وإن لم يصدر عنها فعل، حيث عمل الخير يترتب عليه الثواب مع دوافعه، وجزاء عمل الشر عليه دون

دوافعه ومقدماته، ولهذا نحن قلنا في الاحتمال الثالث: إنه سبحانه يثيب على الخير من الدوافع ويوجه اللوم على ما هو الشر منها لا استحقاق العقاب عليها.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامي

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة: ٢٨٥)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

المصير: النهاية والعاقة.

س: ما هو المعنى الإجمالي للآية المذكورة أعلاه؟

ج:

وحدة الإيمان بين الرسول ﷺ وبين المؤمنين حيث الكل يؤمنون بالرسول
جميعاً لا فرق بينهما من حيث الإيمان بهم جميعاً، ويؤمنون بجميع الكتب
والرسالات التي أنزلت عليهم، وقوام هذا الإيمان أنها جميعاً منزلة من الله على
أنبيائه ويؤمنون بملائكة الله لإخبارهم من قبل الله بذلك، وقد أفرد ذكر الرسول ﷺ
شرفاً وكرامة له من قبل الله، بل لكونه أول المؤمنين وأكثرهم إيماناً وقد حاز على
أعلى الدرجات في ذلك ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾ وبذلك أمرت وأنا أول
المسلمين ﴿ (الأنعام: ١٦٣) .

فالمؤمنون الإسلاميون وحدة في الصف الإيماني ونوع الإيمان بعكس اليهود
أو النصارى الذين فرّقوا بإيمانهم وفضلوا موسى عن عيسى وعيسى عن محمد،
ويلازمه الفصل والتفريق بالإيمان برسالة كل واحد منهم حيث يؤمنون ببعض
ويكفرون ببعض، وسبب تمييز المؤمنين الإسلاميين عن غيرهم هو أن المؤمنين

الإسلاميين حالهم أنهم يقولون: سمعنا وأطعنا، أي أنه إنشاءٌ للسمع والطاعة وأنهم يطيعون كل ما يسمعون من الله، وأن هناك انسجاماً وسنخية بين ما يسمعون ويتعلمونه وبين ما يطبقونه عملاً، وأن كل ما يتعلمونه يعملون به، فهم في حالة توازن بين السمع والطاعة والعلم والعمل.

وأما النقاش ومعرفة علل الأحكام وغيرها فهي عندهم تأتي برتبة متأخرة بعد السمع والطاعة، وإذا نهضوا بالأمر لم يكن في حسابهم أن هناك طمعاً في دنيا أو تشويهاً في فكرة شخصيّة، بل كل تطلماتهم أن يطبقوا ما يريد الله منهم من بعد ما سمعوه، بعكس اليهود والنصارى عندما ينهضون بالأمر فإنهم يرتكبون كل خلاف ويظلمون بكل حطام الدنيا ويسرون على جماجم الأبرياء.

وبهذا فالمؤمنون يجسدون جوهر العبودية أمام عظمة الخالق، ولهذا ستكون أبواب الغفران مفتوحة لهم يدخلونها بمجرد طلبهم، بل هم يطلبونها على الرغم من أنهم بين السمع والطاعة خوفاً من الله وعواقب الأمور وطمعاً في سعة رحمته، حيث يتوسلون برؤية صاحب المنّة والعطاء، وتعميقاً لإيمانهم بيوم المعاد والمصير إليه الذي لا يغيب عن خواطر أذهانهم ومشاعر قلوبهم، وبهذا تعرف الأمة الإسلامية الخصائص والمقومات التي تميّزها عن غيرها من الأمم.

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِضْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٨٦)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآية؟

ج:

١- التكليف: ما يتكلف به.

٢- المؤاخذة: الهلكة والمعاقبة.

٣- تحمل: تضع.

٤- الإصر: الضيق والحبس والمشقة.

٥- الطاقة: القوة والقدرة.

س: ما هو التفسير المحتمل للآية المذكورة أعلاه؟

ج:

أولاً: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

مرّ الحديث عن مثل هذا المقطع من الخطاب في سورة البقرة آية ٢٣٣.

ثانياً: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾

١- باعتبار أن النفس هي التي تشعر بالنتيجة من الراحة والنعيم أو المشقة والعذاب

كما كانت تشعر بلذة أو بمشقة التكليف والمعصية فيوجه الله الخطاب لها

بالنتيجة، فإن كانت تلك المشاعر تدفع صاحبها لما فيه خير فلها، وإن كانت

تلك المشاعر تدفع صاحبها لما فيه الشر فعليها.

٢- أن النفس عبارة أخرى عن الإنسان فإذا كان ما عمله خيراً فله وما عمله شراً فعليها.

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾

١- في هذا المقطع من الخطاب والمقاطع الأخرى يبدأ الإنسان المؤمن يتوسل بالله ربه ألا يؤاخذة ويحاسبه بالأمر التي هي تحت القدرة ولم يعمل بها مثل النسيان والخطأ، وليس معنى النسيان هو الغفلة والخطأ الذي صدر منه وهو لا يعلمه، فإن ذلك مرفوع عنه؛ لأنه خارج عن القدرة أو هو مرفوع بالحديث الوارد عن الرسول ﷺ أنه قال: «رفع عن أمتي تسعة: الخطأ، والنسيان، وما أكرهوا عليه، ومالا يعلمون، ومالا يطيقون، وما اضطروا إليه، والحسد، والطيرة، والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشقة»^(١)، فالمراد من النسيان هو الترك، ومن الخطأ هو الخطأ المتعمد، واللذان هما تحت القدرة نتيجة للتقصير الذي يعترى الإنسان بين الآونة والأخرى من الضعف والفتور الروحي.

٢- أن هذا التوسل بالله جاء بعد معرفة المؤمنين بعدل الله وأنه يعلم ويدون كل صغيرة وكبيرة وكل ما تكسبه النفس، وهذا يعني أن الله لو أراد أن يحاسبهم بعدله فإنه سيؤاخذهم على كل صغيرة وكبيرة وعلى كل ترك، وعليه لا بد أن يتوسلون بربوبيته وعطفه ورحمته بأن لا يؤاخذهم على ما تركوا وعلى ما أخطؤوا فيه.

(١) وسائل الشيعة ١٥: ٣٧٠/٣٧٧١، ٢٠٧٧١.

رابعاً: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾

أن المؤمنين ممن يقرؤون التأريخ ويعتبرون به ومن جملة ما تعلموه من عبر الماضي هو أن كثرة الأخطاء تناسب طردياً مع الشدة والضييق كما حصل لبني إسرائيل مع موسى وغيره، فإنه نتيجة لعصيانهم ولجأجتهم حرم الله عليهم بعض الطيبات وشق عليهم معاشهم وكتب عليهم الذلّة، هؤلاء المؤمنون يتوسلون برّبهم ألا يحملهم المشقة نتيجة لأخطائهم وتركهم بعض الواجبات؛ لأنهم يؤكدون من خلال دعائهم أنه لم يكن من لجاجة أو عناد أو إصرار أو جحود منهم وإنما هو على مستوى الاعتراف بالتقصير والعزم على البناء والتصحيح.

خامساً: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾

توسل آخر بما هو واقع تحت القدرة، فليس المراد من الخطاب ﴿ وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ هو أصل القدرة فإن ذلك منفي بـ «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا»، بل إن طاقات الإنسان مختلفة من فرد لآخر نتيجة العوامل التربوية للإنسان أو الوضع التكويني له أو مقدار إيمانه، فهنا يطلب المؤمن من الله أن يحمله على قدر ما يتحمّله هو، فإنك تجد موقف من المواقف إذا نزل على اثنين يثبت له الأول وينهار منه الثاني، فالتحميل كذلك حيث إنه لم يكن خارجاً عن قدرة وطاقته الإنسان العام ولكنه خارج عن طاقته هو نتيجة من نفسه.

سادساً: ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

الْكَافِرِينَ ﴾

مسك ختام السورة بدعاء الإنسان المؤمن لنفسه ولجماعته المؤمنين ولأُمَّته الإسلامية بالعمو والمغفرة على ما يصدر من الإنسان المؤمن نتيجة لحركته في

الحياة وبحكم عدم عصمته، فكثيراً ما يخطأ قصوراً أو تقصيراً ولكن في جميع الأحوال لا ينفصل عن الله وعن الارتباط، به بل هو المولى لهم في كل شيء، فلا يتركونه ولا يتركهم الله ماداموا على هذا المستوى العالي من التوكل والارتباط والالتزام، وعلى هذا المستوى العالي من الطلب حيث لا يطلبون منه النعم والنفع الشخصي، بل النصر على القوم الكافرين الذي هو طلب الأنبياء وطلب كل ذي شعور بالمسؤولية ويحمل الهم الرسالي وفهم الرسالة ويهتم بالحركة النوعية للإسلام.



مركز تحقيقات کامپیوتر علوم اسلامی

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الم﴾ • الله لا إله إلا هو الحي القيوم • نزل عليك الكتاب بالحق
مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل • من قبل هدى للناس
وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز
ذو انتقام • إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء • هو الذي
يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴿آل عمران: ١-٦﴾

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:

١- الانتقام: نزول العقاب.

٢- صور: أ- جعل الشيء على هيئة لم يكن عليها. ب- الميل.

س: ما هو المعنى المحتمل لمجموع الآيات؟

ج:

أولاً: ﴿الم﴾.

أنها من الحروف المقطعة، وقد مرّ الحديث عنها في بداية الكتاب.

ثانياً: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

أن هذا الخطاب قد مرّ الحديث عنه في سورة البقرة آية (٢٥٥)، المسماة بآية

الكرسي.

﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مَصَدَقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ

• مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾.

١- في آية الكرسي قد عرض الله صوراً من صور إدامة واستقامة الحياة فيه وفي

قيوميته على جميع الخلق والكون بصورة عامة، وفي هذه الآيات يعرض

صوراً أخرى من قيوميته المختصة بالإنسان، ونحن كما قلنا سابقاً: إن الله من

أدبه الأعلى لا يدعي لنفسه صفة إلا وأردفها بالأدلة والشواهد العملية التي

تدل على الوجود الفعلي لتلك الصفة فيه، وأنه سبحانه فعل ثم ادعى، على

الرغم من أن مجرد الدعوى منه تكفي في التصديق لأنه الله، فالذي يريد أن

يكون ربانياً عليه أن يكون عمله سابقاً على ما يدعي به.

٢- صورة من صور قيوميته، أنه أنزل نظاماً وتشريعاً للإنسان، لعلمه أن من لوازم

قيوميته أن يعطي ما يحتاجه الإنسان، وأنه لم يتركه سداً ومن دون نظام

وتنظيم لحياته الفكرية والعملية، وبما يضمن سعادة جميع تكوين الإنسان من

الروح والبدن، وبما يحكي عن مشكلة الإنسان أين ما كان ومتى كان وقد

وضع لكل مشكلة حلاً، فكان إنزال الكتب من التوراة والإنجيل والقرآن

وغيرها يمثل الدستور وتشريع النظام الأحسن للإنسان.

٣- الكتاب السماوي عبارة أخرى عن أن طريق الهداية إلى الله ومعرفة ما يصدر منه وكل ما يتعلق بالكون والحياة وبالإنسان نفسه لا يتم إلا عن طريق واحد هو الطريق العلمي؛ لأن الكتاب علم.

٤- أن هذا الطريق - أعني: طريق العلم - لم يكن مختصاً بالأمة الإسلامية، بل هي طريقة الله الواحدة لجميع الأمم السابقة، ولهذا هو سبحانه لم ينزل القرآن فحسب، بل أنزل قبله الكتب كل بما ينسجم مع سعة تفكيره وسيره التكاملي بما يمكنه أن يميّز من خلاله بين الحق والباطل، فكل الكتب السماوية ذات نهج واحد بالنسبة لما تقدّمه للإنسان وهي أن تكون فرقاناً له.

٥- أن الكتب السماوية عندما أعطى الله لكل كتاب اسماً وأنها مختلفة فيما يحتويه كل كتاب عن الآخر، هذا لا يعني أنها تختلف في الأسس العقائدية وأهمّات المسائل الفكرية، بل كل كتاب لاحق هو مصدق للكتاب السابق لما يخص أصول العقيدة، ومكتمل له فهو امتداد له وفي طوله، والقرآن الخاتم للكتب الذي أنزل على يدي الرسول محمد ﷺ هو الآخر مصدق لكل الكتب التي أنزلت على جميع الأنبياء، فكلها فرقان يسير على نسق عقائدي واحد، وأن القرآن له القيمومية على جميع الكتب السماوية، فما صدّقه القرآن هو الصحيح وغيره - المخالف والمعارض - باطل ومن وضع المحرّفين، فالقرآن هو المرجع.

٦- أن كل كتاب سماوي لم يكن له خصوصية لأفراد أو قوم معيّنين، بل خطاباته للناس وأنه يدعو جميع الناس المعاصرين له للإيمان والهداية، فصحف إبراهيم ﷺ خطابات لكل الناس، والتوراة بديل عن الصحف لكل الناس، والإنجيل بديل عن التوراة لكل الناس، والقرآن بديل عن الإنجيل وبالتالي عن

جميع الكتب لكل الناس كذلك.

٧- أن شمولية الخطاب لجميع الناس نابعة من قيموميته سبحانه التي لم تفرّق بين أحد من الناس، بل إدارتها للإنسان بما هو إنسان، وأنّ علاقتهم به سبحانه علاقة واحدة وهو أنّهم جميعاً عباد الله التي من لوازمها أن يرجعوا جميعاً لمعبودهم ومولاهم ليعرفوا فيما يرضاه وفيما لا يرضاه، فرحمة الله ولطفه بإنزال الكتب هي رحمة ولطف لجميع عباده وليس شرفاً يتمسك به أولئك القوم الذين نزل الكتاب بينهم، ولا أن خطاباتة منحصرة التوجيه إليهم، فليعلم الناس كلّ الناس أنّ القرآن يخاطبهم وأنّ جميع آياته تخاطبهم وأنهم جميعاً مكلفون بالالتزام بها.

٨- أنّ ظاهرة علاقة الإنسان بالكتاب المنزل من الله لم تكن علاقة إيمانية واحدة، بل هي دائماً على شقين من العلاقة، إمّا مؤمن به أو كافر به، وأنّ الله وعد الجميع من الناس وعلى نسق واحد ماضياً وحاضراً ومستقبلاً أنّ المؤمنين بالكتاب لهم الجنة والنعيم، وأنّ من كفر بكتابه وآياته المنزلة منه يتوعده الله بالعذاب، وأنّ العذاب شديد لطبيعة النار ومن عليها التي يخبرنا الله بها من خلال آياته، وأنّ المتمرد على الله مقهور لا محالة؛ لأنّ الله هو القاهر والعزير لجميع مخلوقاته والمتفرد والعزير بالعذاب، وهو لا يسمح لأيّ أحد أن يخالف أوامره ويعصية ولا يتهاون الله في محاسبته وعقابه لأنّه ذو انتقام، و(ذو) صفة ذاتية، و (انتقام) صفة فعلية.

٩- عندما فرّع من عظيم قيمومته تنزيل الكتاب والقرآن وبما أنّه حيّ قيوم نزل القرآن، كلّ ذلك يكشف عن عظيم القرآن وعظيم اهتمامه وتدبيره للقرآن في

كل ما يحتويه القرآن.

وابعاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾

صورة أخرى من صور قيموميته سبحانه، وهي شموليتها لغيره من الممكنات سواء كانت في الأرض أو في السماء وسواء كانت خافية على الإنسان أو ظاهرة له، فإن من لوازم القيمومية الإلهية على الشيء هو العلم به وبكل ما يحيط به، وعلّم الله ليس فيه تفاوت من الشدة والضعف وغيرها من التغيرات؛ لأنّ علمه عين ذاته فعلمه يجري في كلّ الأمور على نسق واحد من القوة والشدة والإحاطة، وعليه يكون من الطبيعي أن يكون كلّ شيء بالنسبة إليه ظاهراً ومعلوماً.

هذا بالإضافة إلى أنّ كلّ شيء متقوم به، فعين وجود الشيء هو عين علم الله به السابق على وجود الشيء المستمر معه، فلا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء، قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام: ٥٩)

خامساً: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ﴾

١- صورة أخرى من صور قيموميته؛ لأنّ من جملة مفهوم قيمومية الله المختصة به أن يكون كلّ شيء متقوماً بكلّ وجوده به سبحانه ابتداءً وإدامةً، فلو فرض محالاً أنّ الله قد انفصلت قيموميته عن الشيء معناه صار ذلك الشيء عدماً وهو كما قلنا سابقاً: إنّ فرع الملكية الحقيقية لله هو ذلك، وهو معنى أن يكون كلّ شيء متقوماً به، ومن لوازم كلّ شيء أن تكون له صورة وهيئة خارجية لله

الذي لا تجوز له الصورة؛ لأن الصورة حدّ الشيء وتشخيصه والله سبحانه وتعالى هو المطلق الذي ليس له حدّ محدود فمن صورّه فقد حدّه، فهو الذي يصنع صور الأشياء وليس لأحد دخل في تصوير أي شيء من الممكنات، فهو الذي يضيف للأشياء صورها وحدودها التي تميّزها عن غيرها، والمصوّر هو أحد أسماء الله الذاتية الفعلية ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِي الْمَصَوِّرُ﴾ (الحشر: ٢٤).

ومن جملة الأشياء المخلوقة لله بل سيّدها هو الإنسان، فالله هو الذي جعل صورة الإنسان بهذا الشكل الواحد الذي ميّزه عن غيره من المخلوقات، وهو الذي صور فرداً من الإنسان الذي ميّزه عن غيره من الأفراد، بحيث لا تجد أحداً يشابه أحداً داخلياً وخارجياً لا ماضياً ولا حاضراً ولا مستقبلاً، بل لا بدّ من نقطة اختلاف تميّزه عن الآخر مهما تشابها، وهو الذي يصور كلّ خلية من خلايا الجسم، وهو الذي يصور كلّ عضو من أعضاء الجسم، وبالتالي لما كان لكل شيء صورة من وجوده الذري إلى وجوده الكلّي فهو سبحانه كما يخلق يصور ﴿صَوَّرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ (غافر: ٦٤)

٢- أن التصوير في الأرحام دليل يطرحه الله من أن كلّ شيء له ظاهر وصورة، يعلم الله بها، وقيّم عليها، فهو لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

س: ما هو المراد المحتمل في الفرق بتعبير (نزل) التي جعلت في الآية للقرآن وبين (أنزل) التي جعلت للتوراة والإنجيل؟

ج:

قد يكون إشارة للنزول التدريجي للقرآن وأنه على شكل نجوم وسور، بينما التوراة والإنجيل بل جميع الكتب غير القرآن أنها أنزلت بشكل دفعي ومرة واحدة،

وهذا تجده واضحاً بالإضافة إلى تتبع آيات نزول التوراة والإنجيل والزيور وصحف إبراهيم، فإنه ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «سُمي القرآن فرقاناً لأنه متفرق الآيات، والسور نزلت في غير الألواح وغيره من الصحف، والتوراة والإنجيل والزيور أنزلت كلها جملة في الألواح والورق»^(١).

س: هل النزول التدريجي للقرآن له ميزة في الفضل على النزول الدفعي؟
اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

١- دليل معجزة القرآن؛ ذلك لأن الثلاث والعشرين سنة التي مرّت على الدعوة الإسلامية للرسول ﷺ كانت ذات حالات مختلفة، فهي ما بين حرب وسلم وتصديق وتكذيب ونجاح وفشل وسعة وإحجام وغيرها من الأمور المختلفة التي مرّت بها الدعوة المباركة، فلو كان الرسول ﷺ هو المؤلف للقرآن لكانت تلك الأحداث المختلفة تؤثر على وضعه الشخصي النفسي من الراحة أو عدمها حسب تأثيرات الحدث، وهذا سوف ينعكس على كتابته فترى العلوّ مرّة وأخرى الهبوط سواء كان في الاستعمال اللفظي أو المعنوي وسواء كان على مستوى التعدي على ما يستحقّه الحدث أو النقص عمّا يستحقّه، وغيرها من الأمور التي تؤثر على عامّة الإنسان سلباً أو إيجاباً، بينما نجد القرآن ليس كذلك، فهو على مستوى واحد في صيغة ألفاظه ومعانيه في العلوّ والشموخ والرفعة في جميع كلماته.

٢- الإمداد المعنوي، فإنّ النزول التدريجي له الأثر الكبير على الحالة الروحية

والنفسية على الرسول ﷺ عندما يأتي وهو يحكي عن الحدث الجديد فيكون مسلماً له ويزيده عزماً وثباتاً، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَّاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ (الفرقان: ٣٢).

٣- الإنسجام مع الهدف، فإن هدف الكتاب هو لتغيير الأمة وبناء حضارة لها، أي إنه يتعامل مع الإنسان، وليس الإنسان كبقية الخلق الظاهر الذي يخضع بسهولة، بل يحتاج في تغييره إلى استعمال الأسلوب التدريجي، ولهذا تجد نفس الدعوة الإسلامية قد مرت بمراحل وأن بعض الأحكام الشرعية قد مرت بمراحل، وبهذا نعرف أن النزول التدريجي للكتاب كان منسجماً مع هدفه.

٤- يشبع حاجة الرسول، فإن الأسلوب التدريجي يشبع حاجة الرسول من مواكبته للأحداث المستجدة وما يحتاج إليه من الأخذ والرد والكشف والعلاج المناسب لها مما يجعل تعامل الرسول أكثر واقعية في تشخيصه وأكثر تأثيراً في تصديق الناس له وهو يعين مفردات الحدث بكل تفاصيله التي يدعن من خلالها الإنسان المعاصر له بأنها لا تكون إلا من عالم الغيب.

٥- سهولة الفهم، فإن النزول التدريجي يجعل المؤمن أكثر فهماً لآيات الله ومستوعباً لكل ما يحيط بها للفترة الزمنية التي يمتلكها بين نزول ونزول، ويحيط بأغلب التفرعات والإشكالات التي تثار حول الآية وإجابة الرسول عليها، وهذا ما لا يتوفر في النزول الدفعي إلا القليل منه نسبة إلى النزول التدريجي.

س: ما هو المحتمل في الفرق بين الفرقان والقرآن؟

ج:

١- لا فرق بينهما، ورد عن الإمام الصادق ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ الْقُرْآنَ ﴾ أنه

قال: «القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب العمل به»^(١).

٢- أن يكون الفرقان أعم من القرآن بحيث يشمل الكتب السماوية والمعاجز وكل ما هو نازل من الله يفرق بين الحق والباطل.

س: اذكر المحتمل في سبب تصوير الله الإنسان في أنه يتم في الأرحام.

ج:

١- أن التصوير عمل خارجي متأخر عن الخلق والتكوين للإنسان، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ (الأعراف: ١١)

٢- أن خلق الإنسان وتكوينه يتم في رحم المرأة، كما قلنا سابقاً في بحث خلق

الإنسان، حيث تكوين الإنسان مزيج من ماء الرجل والمرأة، والمزيج لا يكون

إلا في رحم المرأة، فيكون من الطبيعي أن يكون حدوث الصورة في الرحم

لأنها بعد الخلق والتكوين.

٣- أن التصوير كما يتم للمجموع المركب للإنسان يتم لكل جزء منه، ومجموع

تكوين الكل في الرحم.

س: ماهي المحتملات الأخرى التي يمكن أن تستنتجها من قوله تعالى: ﴿هُوَ

الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾؟

ج:

١- أن عملية تصوير الإنسان من فعل الله وحده سواء كان بالمباشرة أو بواسطة

قانون جعله الله ليقوم بعملية التصوير مع قيموميته عليه.

٢- أن صورة الإنسان لم تكن علته التامة هو الرجل ولا المرأة، بل قد يؤخذ من أحدهما أو من الاثنين أو قد لا يؤخذ منهما شيء، فهو أمر يرجع إلى الله كيف يشاء، وهو المتفرد بعملية التصوير وليس للإنسان دخل فيه لأنه سبحانه هو العزيز الحكيم.

٣- أن المصوّر هو الله، وهذا يعني أنه سبحانه قد اختار أحسن الصور للإنسان وأجملها، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (التغابن: ٣).

س: ماذا قالت الروايات عن تصوير الله الإنسان في الأرحام؟

ج:

١- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا أراد أن يخلق خلقاً جمع كل صورة بينه وبين أبيه إلى آدم، ثم خلقه على صورة أحدهم، فلا يقولن أحد: هذا لا يشبهني ولا يشبه شيئاً من آبائي» ^(١).

٢- ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «أتى رجل من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: هذه ابنة عمي وامراتي، لا أعلم منها إلا خيراً، وقد أتتنا بولد شديد السواد، منتشر المنخرين، جعد، ققط، أفتس الأنف، لا أعرف شبهه في أخوالي ولا في أجدادي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لامراته: ما تقولين؟ قالت: لا والذي بعثك بالحق نبياً ما أقعدت مقعده مني منذ ملكني أحداً غيره، قال: فنكس رسول الله صلى الله عليه وآله برأسه ملياً، ثم رفع بصره إلى السماء، ثم أقبل على الرجل فقال: يا هذا، إنه ليس من أحد إلا بينه وبين آدم تسعة وتسعون عرقاً، كلها تضرب في النسب، فإذا

أوقعت النطفة في الرحم اضطربت تلك العروق تسأل الشبه لها، فهذا من تلك العروق التي لم يدركها أجدادك ولا أجداد أجدادك، خذ إليك ابنك، فقالت المرأة: قد فرجت عني يا رسول الله ﷺ» (١).

٣- ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «تعتلج النطفتان في الرحم فأبهما كانت أكثر جاءت تشبهها، فإن كانت نطفة المرأة أكثر جاءت يشبه أخواله، وإن كانت نطفة الرجل أكثر جاءت يشبه أعمامه» (٢).

س: إذا كان الله هو الذي يصور ما في الأرحام، فماذا تقولون عن عملية استنساخ الإنسان الذي استعد لها العلم الحديث اليوم؟

ج:

١- الاستنساخ لم يكن خلقاً ولا تصويراً؛ لأنَّ الخلق الإلهي وتصويره معناه إيجاد الشيء من العدم إلى الوجود، بينما الاستنساخ من موجود إلى موجود فهو عملية اكتشاف.

٢- الاستنساخ قائم على أساس من وجود لخلق الله، حيث يمتلك الإنسان بعض الخلايا منتشرة في بدنه وفي مناطق محددة فيه تختلف من حيث تكوينها عن بقية الخلايا، وهي على قسمين:

أ- الخلايا التي تحتفظ في نواتها خيوط كروموسومية تحمل مكونات البدن وصفاته من حيث الهيئة الخارجية له وتحمل صفاته الوراثية، ومن هذه الخلايا يمكن أن تنتج إنساناً يشابه صاحب الخلية لو وضعت في بويضة امرأة بعد سلب

(١) وسائل الشيعة ٣: ٢١ / ٥٠٣ / ٢٧٧٠١.

(٢) علل الشرائع ١: ٩٥ / ٤.

نواتها ووضع نواة الخلية مكانها، ويسمى هذا النوع من الاستنساخ بالاستنساخ البشري.

ب- هي نفس الخلايا الأولى، ولكن يحذف منها بعض الخيوط والجينات لينتج جنيناً مشوهاً ولكنه يحمل عضواً سالماً الذي يريد المجرى منه، ويسمى هذا الاستنساخ بالاستنساخ العضوي.

٣- الروايات قد أخبرت عن وجود المكونات الناقلة للعوامل الوراثية سواء المتعلقة بالمزاج أو بالصورة كما نقلنا نموذجاً من تلك الروايات في جواب السؤال السابق.

٤- حرمة الاستنساخ بنوعيه أو حليته متروك لأصحاب الإقتاء من العلماء.



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ٧)

● المحكم والمتشابه والتاويل

س: ما هو المعنى اللغوي للمحكم والمتشابه؟

ج:

أولاً: المحكم: أ- الإتيان والوثوق ب- بما يمنع تسرب الفساد ج- الحتم. ومنه نعرف أن (المحكم) مشتق من أحكم وحكم، وأنه على نحوين الإثبات وهو الإتيان والوثوق، والآخر النفي وهو منع تسرب الفساد، ويمكن أن يكون النفي من لوازم الإثبات لا شيئاً مختلفاً، والمعنى الأول للمحكم أي الإتيان والوثوق قد وصف الله به جميع ما يحتوي كتابه؛ لأن جميع ما يحتوي كتابه كله متقن من جميع وجوه الإتيان ﴿كِتَابٌ أُخْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١)

ثانياً: المتشابه: أ- المثل والشبه ب- الالتباس.

ومنه نعرف أن المتشابه قد يطلق على الأمور الخارجية لما فيها من التماثل والتشابه، وقد يطلق على العامل الذي يحصل للنفس وهو الالتباس، ولكن يمكن رجوع الثاني إلى الأول فنقول: إن الالتباس هو نتيجة لما يحصل من وجود التشابه والتماثل بين الطرفين فيلبس أمرهما على الإنسان، والمعنى الأول للمتشابه قد

وصف الله به جميع ما يحتوي كتابه لتشابه جميع آياته من حيث القوة البيانية والأسلوب البلاغي وعلو الفكر وغيرها من الأمور المتشابهة المتماثلة التي تحكم جميع محتوى كتابه سبحانه ﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي﴾ (الزمر: ٢٣)

س: ما هو المحتمل في المعنى والمراد القرآني من المحكم والمتشابه؟

ج:

١- المحكم: تلك الآيات التي تكون ألفاظها محدّدة من حيث تعيين المعنى والمفهوم، فهي تحمل الصورة الذهنية المتعيّنة، والمصداق الخارجي المتعيّن بواقعه بما لا التباس فيه أصلاً.

٢- المتشابه: تلك الآيات التي يحصل من خلالها الخلط والالتباس ابتداءً وللنظرة الأولى نتيجة الجهل في جهة من الجهات أو لسبب من الأسباب، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «المتشابه ما اشتبه على جاهله»^(١).

س: اذكر الأسباب المحتملة لحدوث التشابه في الآيات.

ج:

لم يكن هناك سبب ووجهة محدّدة للتشابه، فلا يمكن حصره في جهة واحدة، بل له عدّة أسباب ووجوه نوضّح بعضاً منها:

الوجه الأول: الوضع اللغوي، أي قد يكون سبب حدوث التشابه في الآية إلى الوضع اللغوي للفظ، فإنّ منه المشترك والمجمل الذي قد يصعب ابتداءً وفي بعض الأحيان ترجيح أحد المعنيين على الآخر.

(١) تفسير العياشي ١/١٦٢: ٣.

الوجه الثاني: تطبيق المعنى اللغوي، أي قد يكون سبب حدوث المتشابه إلى التطبيق في الصورة الذهنية لمفهوم اللفظ بعد تحديده، وذلك:

١- أن المفسر للقرآن أو كل من يريد أن يستخرج معنى للفظ قرآني فمهما التبست الأمور فهو بالتالي لا يختار المعنى جزافاً ومن دون النظر إلى القرائن والمرجحات وإلا أصبح تفسيراً بالرأي المرفوض شرعاً، وعليه بالتالي سيكون معنى اللفظ محدداً ومعيناً، وأن أتباع أي احتمال لمفهوم اللفظ مع وجود المرجح الحجة لا يعد فتنة، بل هو الدليل العلمي.

٢- ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾

من النقطة الأولى استفدنا أن المعنى اللغوي للآية محدد لكون اختيار المعنى يحدده المركب الكلي للآية من مراعاة المرجحات والقرائن فلا يستريح المعنى في أي موقع يشاء وكيف يشاء وإن كان مخالفاً لجهة من المخالفة، فالمسألة ليست كذلك. فإذن لا مجال للإتباع فيما هو المتشابه إلا في الصورة الذهنية التي يعطيها المعنى اللغوي المحدد وتطبيقها على مصداقها وواقعها الخارجي.

فمثلاً: في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (النتج: ١٠)، فاليد هو هذا المعنى المعروف الذي لا يختلف عليه أحد وهو العضو الذي وظيفته تناول الأشياء في الحيوان صاحب اليد، فعلى الرغم من أن اللفظ يحمل معنى واحداً فardاً لا غير فإن الآية من المتشابهات؛ لوقوع الترديد في الصورة الذهنية وتطبيقها على مصداقها الخارجي، ومع معرفتنا لذات الله في أنها لن تقبل التجسيم، فلا بد أن نبحث عن الصورة الذهنية والمصداق الخارجي والواقعي لها المناسب لذات الله، والطريق المنحصر لتعيين ذلك هو الرجوع إلى المحكمات من الآيات التي

تكون فيها الصورة الذهنية والمصداق الخارجي معيّنًا بما يرفع اللبس وبما لا ينافي ذات الله، فكان قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، فهو لم يكن له يد كأيدينا ولا شبّه له من الأشياء كلّها فهو ليس كمثله شيء.

وبهذا تتحذف أي صورة ذهنية لله ولا يمكن أن أشير إلى أي يد مهما كانت عظمتها، بل إنّه لا يتجزء إلى أعضاء إذ هو واحد بالوحدة البسيطة، ولكن الذين يبتغون الفتنة لم يشتبه عليهم المعنى اللغوي، بل بما هو وكما هو عندنا، ولكنهم يتبعون الخطأ في الصورة الذهنية والتطبيق الخارجي الذي حصلوا عليه من المعنى اللغوي، وقالوا: إن الله يداً ووجهاً وجسم فصارت المذاهب وفرق المجسّمه وكان الانحراف والزيغ. فإذاً إن التشابه لم يكن من التشابه في المعنى اللغوي للفظ وإنما هو يحصل في التطبيق وتفسير المعنى.

٣- أن قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، يدلّ أن هناك معنى معيّنًا أو واضح الرجحان، ولكن بما أن في قلوبهم زيفاً فيتركون هذا المعنى الراجح ويأخذون بالمعنى المرجوح المرفوض.

فمحصل ما نريد أن نقوله: إن سبب التشابه قد ينحصر بالنتيجة إلى التطبيق في الصورة الذهنية التي حصلت من معنى اللفظ.

الوجه الثالث: النقل الروائي المختلف، فقد يكون سبب التشابه اختلاف الروايات في تحديد متعلق الآية ممّا يجعلها متشابهة وتكون سبباً في التردد وممانعة من تطبيق الصورة الذهنية التي حصلت من مفهوم اللفظ.

الوجه الرابع: أن يكون تمام الملاك في نفس جعل التشابه لتنشيط الحركة الفكرية وبذل الجهد لاقتناص المتعين من المتشابه، فليس كلّ ما تشابه له محكم

من الآيات، فقد يكون للآية المتشابهة محكم من الروايات أو العقل، فلا يكون الموقف تجاه الآية منحصرأ على ظاهرها المتشابه، بل أراد الله من خلال وجود المتشابه البحث والتدقيق وبذل الجهد الفكري، ﴿كُلُّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

الوجه الخامس: أن يكون سبب المتشابه يرجع إلى الاختلاف في القراءات التي قد تسبب في بعض الأحيان التشابه في الآية.

الوجه السادس: الاختلاف في التعريف الاصطلاحي لمفهوم اللفظ الذي يجعل الآية من المتشابهات، وهي كثيرة تبعاً للعلم الواحد أو للعلوم المختلفة، فإنَّ التعريف الاصطلاحي قد يختلف من علم إلى علم آخر كتعريف الوجود والنبوة والإمامة والخلافة والتأويل ... إلى آخره.

س: قالوا في معنى المتشابه: إنَّ اللفظ الذي وضع لمعنى لا يخرج عن أحد الحالات التالية:

- (١) (النص): وهو ما كانت دلالة اللفظ على معناه ليس فيه احتمال آخر.
- (٢) (الظاهر): وهو ما كانت دلالة اللفظ على معناه راجحة فيه مع وجود احتمال آخر إلا أنه مرجوح.
- (٣) (المشترك): وهو ما كانت دلالة اللفظ على معنيين ولا مرجح لأحدهما على الآخر، بل هما متساويان.
- (٤) (المجمل): وهو ما كانت دلالة اللفظ على معنيين ولا مرجح لأحدهما كما هو المشترك، ولكن من ناحية لحاظ كل واحد من المعنيين يكون مجملاً بنفسه.

(٥) (المؤول): وهو ما كانت دلالة اللفظ على معناه مرجوحة، فهو عكس الظاهر. إذا عرفنا ذلك نعرف مراد القرآن من المحكم والمتشابه، فإنَّ المحكم هو من القسم الأوّل، وأنَّ المتشابه هو من القسم الثالث والرابع لعدم حصول فهم المعنى وتعيينه، ما هو المحتمل في الجواب على هذا القول؟

ج:

هذا توضيح للوجه الأوّل من الوجوه الستة التي ذكرناها، فلا ينحصر سبب المتشابه بالوجه الأوّل.

س: قالوا: إنّ المحكم ما كان دليلاً واضحاً بيّناً كوجود الله ووحدانيتته وحياته وعلمه، والمتشابه ما يحتاج في معرفته إلى دليل وتفكر، ما هو المحتمل من الجواب على ذلك؟

مركز تحقيقات كميتر علوم إسلامي

ج:

١- أنّ هذا القول لا يعطي معنى المتشابه، وإنما يتحدّث في رتبة متأخرة، فموضوع حديثنا هو عن سبب أن تكون مثل هذه الآيات تحتاج إلى دليل وتفكر وبذل جهد إضافي.

٢- أنّ هذا القول ينفي أن تكون المحكمات أمّاً للقرآن؛ لأنّه على هذا القول سيكون التفكر والدليل الخارجي هو الأصل في الرجوع والكشف لا المحكمات من الآيات، ومهما وصل التفكير الإنساني لا يصل إلى ما تنقله المحكمات وما ترشد إليه وخصوصاً فيما يتعلّق بالله وصفاته التي ليس للعقل دور في كشفها لولا إرشاد الله.

س: قالوا: إنَّ المحكم ما يؤمن به ويعمل به، والمتشابه ما يؤمن به ولا يعمل به، فما هو الجواب المحتمل على هذا القول؟

ج:

- ١- أن هذا القول يبيِّن الحكم الشرعي للمحكم والمتشابه لا معناهما.
- ٢- أن الآية التي بين أيدينا لا تمنع من العمل بالمتشابه، بل تمنع وتحرم اتباع المتشابه من أجل الفتنة وعدم الرجوع به إلى المحكم.

س: هل الآيات المحكمات أو المتشابهات يمكن تعيينها وتعدادها من القرآن؟ ولماذا؟

ج:

لا يمكن ذلك؛ لأنَّ المحكم والمتشابه من الأمور النسبيَّة التي تختلف من فهم فرد إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر، فربَّ محكم عند آخر متشابه وربَّ العكس، وربَّ متشابه كان في مرحلة من الزمان وأصبح الآن من المحكم.

س: على جوابكم السابق يمكن أن يأتي زمان أن يكون القرآن كلّه محكماً؟

ج:

أنَّ المتشابه لا يكون بالنسبة لله ولا للوحي ولا للمعصوم بل كلّه محكم بالنسبة إلى هؤلاء، فإذا بذل الإنسان العام جهده العلمي على القرآن وهو في مرحلة التكامل العلمي وكشف غموض القرآن، وبعبارة أخرى: أن الإنسان في مرحلة تقليل المتشابه وأنَّ المتشابه حالة طارئة، فيمكن أن تأتي مرحلة من المراحل الزمنية أن يكون القرآن كلّه محكماً بالنسبة إلى عامة الإنسان، لكن هذا من جهة الإمكان، وهل يقع ذلك؟ علمه عند الله سبحانه وتعالى .

س: ما هي الأمور التي تسهّل عملية تحويل المتشابه إلى المحكم؟

ج:

- ١- الجانب العلمي العام الذي يؤد حركة عقلية نشطة لدى الإنسان.
 - ٢- الجانب العلمي الخاص بالقرآن وما يحيط به من العلوم.
 - ٣- اللغة، حيث كلما كانت اللغة قريبة إلى القرآن كلما تسهّلت عملية الفهم وكشف الغموض وعدم الالتباس.
 - ٤- الفهم العميق لمتعلق الآية؛ لأنه كلما كان فهم المتعلق بما هو وعلى ما يحمله من دقة المعنى كلما رفع عنه التشابه، فمثلاً عندما تقرأ الآيات المختصة بالإمامة والولاية فإذا لم يكن القارئ على فهم مسبق للإمامة والولاية تبقى عنده مثل هذه الآيات من المتشابهات، وهكذا قس على ذلك.
 - ٥- مراعاة الرجوع إلى المحكمات وإلى الراسخين في العلم وأصحاب الاختصاص لرفع ما تشابه.
- مركز تحقيقات كميّات علوم إسلامي
- ٦- ألا يكون الحاكم على فهم الآية هو هوى النفس وما يتبناه الإنسان من منهجية في التفكير بحيث يسحب الفهم والتفسير إلى ما يكون منسجماً مع ما يتبناه، بل الحاكم هو المحكمات وما تفرضه الآية من الواقع ضمن المقياس المنضبط الذي تفرضه القواعد العامة والخاصة وما يرجّحه العقل، فالكل متداخل الغرض في الفهم لتكون الآية محكمة.
 - ٧- تصفية الروايات واستخلاص الصادقة منها، فإن ذلك يزيل الكثير من المتشابه.
- س: لماذا جعل الله لغة القرآن بين المحكم والمتشابه ولم يجعله كله محكماً؟ اذكر المحتملات في ذلك.

ج:

١- أن القرآن كله محكم في نفسه وبالنسبة إلى الله وإلى المعصوم وإلى الراسخين في العلم، فالتشابه - كما قلنا - نسبة إلى عامة الناس ودرجات فهمهم.
٢- أن القرآن لو أنزل كله محكماً فهو يبقى متشابهاً بالنسبة إلى الجاهل بالآية المراد البحث عنها.

٣- أن المحكم والمتشابه هي اللغة المنحصرة والطريق الفارد الذي يتناسب في أن يكون القرآن تبياناً لجميع الناس الذين تختلف مستوياتهم العلمية وإدراكاتهم العقلية المختلفة، فيرجع بعضهم للبعض الآخر لتتم عملية المساواة في الفهم ورفع التشابه.

٤- أن يمنع المدعين في اختصاصهم بالقرآن وعلمهم به سواء كانوا على مستوى حكماً ظلمة أو وعظماً منحرفين أو غيرهم، فأثار الله مسألة المتشابه ليكون الرجوع منحصراً بالراسخين بالعلم المقربين إلى الله أكثر من غيرهم، وفيهم ينحصر التأويل الحق الشامل للمحكم والمتشابه، فالله يريد من خلال هذا الخطاب أن يعين مرجعية التفسير والتأويل وكل أمور الدين من خلال الراسخين في العلم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء: ٨٣)

٥- أن تكون دعوة إلى تفسير القرآن بالقرآن أولاً وقبل كل شيء، وذلك برجوع المتشابه الموجود في القرآن إلى المحكم الموجود في القرآن، فإن المحكمات هن الأصل والأم لكل ما تشابه.

س: هل المحكم والمتشابه مختص بالقرآن أم يشمل السنة كذلك؟

ج:

ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «إن في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن، فردوا متشابهها إلى محكمها، ولا تتبعوا متشابهها فتضلوا»^(١).

س: ما هو الفرق بين التفسير والتأويل؟

ج:

١- التفسير: هو كشف القناع، وهذا يحصل عند أول قراءة للآية ومعرفة المعنى اللفظي.

٢- التأويل: هو ما تؤول إليه الآية من المصاديق ومجموع ما تحكي عنه من الحقائق، وهذا ما لا يصل إليه أي أحد، فيكون التأويل أخص من التفسير.

س: ما هي المحتملات في المراد من قوله تعالى: «ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ»؟

مركز تحقيقات كاميون علوم إسلامي

ج:

١- طلب وقوع المؤمنين في الخلاف والعداوة والبغضاء فيما بينهم. لأن طلب الخلاف والعداوة والبغضاء بين الناس من مصاديق الفتنة.

٢- طلب المال وشرف المراكز والمواقع الدنيوية التي يستخدم من خلالها الحكام الظلمة المؤمنين ويوعدونهم بها.

٣- طلب البدعة ودخولها في الدين؛ لأن بعض التمسك بالمتشابه يؤدي إلى ذلك كما أن من مصاديق الفتنة البدعة في الدين.

٤- طلب الغلو أو الانتقاص؛ لأن بعض التمسك بالمتشابه يؤدي إلى ذلك وهو أحد

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٩/٢٦١.

مصاديق الفتنة.

س: هل ابتغاء الفتنة في اتباع المتشابه حالة مقصودة بنفسها، أي كل من أتبع المتشابه فهو يريد الفتنة؟

ج:

أن الذي يتبع المتشابه إما أن يكون لأجل طلب الفتنة بالذات عن قصد واختيار، أو أن تكون نتيجة أتباعه المتشابه هو الفتنة وإن لم يطلبها بالذات ولم تكن من قصده واختياره، والمسؤولية الشرعية التي تقع عليه هو في أصل أتباعه وتقليده في أتباع المتشابه الذي يمتلك فيه الاختيار وباب المراجعة والبحث مفتوح له، فابتغاء الفتنة مطلق يشمل الحالتين.

س: ما هي الاحتمالات في المراد من قوله تعالى: ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾؟

ج: مركز تحقيقات كميونر علوم إسلامي

١- يختارون التأويل الذي لا دليل عليه.

٢- يطلبون من الرسول ﷺ إلى ما تؤول إليه خاتمة حياتهم ونتيجة أعمالهم.

٣- يتركون ما هو الحجة من الظاهر والقرائن، ويتمسكون بالتأويل الذي يستنتجونه هم وحسب أذواقهم وإن كان مخالفاً للحق من القرآن والسنة والعقل.

٤- أن ابتغاء الفتنة غير ابتغاء التأويل، ولهذا كثر لفظ الابتغاء للفصل بينهما وليبيان أن الابتغاء الأول هو غير الابتغاء الثاني.

س: ما هو المحتمل في أن خصص الله التأويل به سبحانه وبالراسخين في العلم في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ﴾؟

ج:

لأنَّ بعض معنى التأويل هو الشمولية لواقع الآية وما يتعلّق بها، وهذا يعني أنّ للتأويل مراتب ودرجات، فلا بدّ أن يكون أعلى مراتبه مختصاً بالله سبحانه وتعالى لأنّه الواضع للكتاب، وقد رشح درجة منه إلى البعض الخاص من الراسخين في العلم فتكون مثل هذه الترشيحات مختصة بهم، فينحصر ذلك بالمطلعين على شمولية الواقع وبكلّ ما يحيط بمراد الآية، وأمّا بقية الناس فهم مأمورون بالظاهر وما تدلي به الحجج والبراهين من دون الاطلاع على الواقع وبكلّ ما يحيط بالآية. ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أنّه قال: «يعني تأويل القرآن كلّهُ إلا الله والراسخون في العلم، فرسول الله أفضل الراسخين قد علّمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله منزلاً عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلّهُ، فقال الذين لا يعلمون: ما نقول إذا لم نعلم تأويله؟ فأجابهم الله: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، والقرآن له خاص وعمام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، فالراسخون في العلم يعلمونه»^(١).

س: ما هو المحتمل من الفرق بين التنزيل والتأويل؟

ج:

١- التنزيل، هو ما يختصّ بالآيات من جهة لحاظ ما، سواء تعلّق باللفظ أو بالحدث أو بالمعنى الذي تحكي عنه الآية، فهو اللحاظ الأوّلي للآية، وهو أقرب ما يكون إلى المعرفة السطحيّة للآية وما يتعلّق بها.

(١) تفسير العياشي ١: ١٦٤/٦.

٢- التأويل، هو ما يلحظ في الآية جميع ما تشمله من الحقائق وما تؤول إليه الآن أو في المستقبل وارتباطها بعلم الكون المغيب والمشاهد وغير ذلك من أمور الإحاطة.

س: ما هو المحتمل للمعنى الاصطلاحي للراسخين في العلم في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾؟

ج:

هم الذين وصلوا إلى قمة العلم والعمل بما علموا، فعلمهم وعملهم يسير على حد سواء في القمة والعلو بما يميّزهم عن عامة العلماء والناس ﴿إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، ورد عن الرسول ﷺ عندما سُئل عن الراسخين في العلم أنه قال: «مَنْ اسْتَقَامَ قَلْبَهُ، وَصَدَقَ لِسَانُهُ، وَبَرَّتْ يَمِينُهُ، وَعَفَّ بَطْنُهُ وَفَرَجَهُ، فَذَلِكَ مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ»^(١).

مركز تحقيقات كاميون علوم إسلامي

س: مَنْ هم الراسخون في العلم؟

ج:

١- إذا قلنا: إنَّ التأويل بمعنى الاطلاع على الواقع الذي يؤول إليه خطاب الآية فيكون الراسخون في العلم هم المعصومون؛ لأنَّهم المطلعون على الواقع دون غيرهم، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «نَحْنُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ»^(٢).

٢- إذا قلنا: إنَّ التأويل هو ما يؤول إليه الشيء خارجاً أو ذهنياً بحسب الظاهر، فهنا

(١) المستدرک ١٤: ٣٥٨/ ١٦٩٥٥.

(٢) الكافي ١: ٢١٣/ ١.

يكون الراسخون في العلم هم مطلق العلماء وأصحاب الاختصاص، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الاقتحام في السدد المضروبة دون الغيوب، فلزموا الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فقالوا: آمنا به كل من عند ربنا، فمدح الله عز وجل اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عنه منهم رسوخاً، فاقصر على ذلك، ولا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين»^(١).

س: هل التأويل حجة بحيث يؤخذ به، بحيث لو شاهدنا رواية تكشف لنا تأويل الآية فهل يكون التأويل حجة؟ اذكر المحتمل من الجواب.



ج:

التأويل ليس حجة بالنسبة لنا بل هو حجة بالنسبة لأهله، وإذا شاهدنا روايات تكشف تأويل الآية فهنا لا بد من طرحها على المرجحات من الظهور اللفظي أو القرائن الخارجية وغيرها من الضوابط والقواعد العامة والخاصة ممن نكون مأمورين بها وقد أثبتت حجيتها، فإذا كانت ملائمة في ذلك نأخذ بها وتكون حجة، ولكن في هذه الحالة نأخذ بها لا من باب التأويل بل من باب التفسير؛ لأننا قسنا ذلك على ما هو الحجة ظاهراً، وإلا فلا تكون مثل هذه الروايات حجة.

س: من هم الذين «يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا»؟ اذكر المحتملات في ذلك.

(١) نهج البلاغة ١: ٩١/١٦٢.

ج:

أولاً:

١- الراسخون في العلم، وهم في حال تأويل الآيات يقولون: كل من عند ربنا، فلا يدخل إلى قلبهم الريب في المتشابه، بل يتعاملون معه كما يتعاملون مع المحكم؛ لأن الكل من عند ربنا.

٢- الراسخون في العلم، لو سُئِلوا من أين لكم هذا التأويل لقالوا: كل من عند ربنا، فليس شيء استنبطوه هم وبحسب تصوراتهم، بل هذا ما علمهم الله به وأمدهم به وألهمه لهم وأفاضه عليهم.

ورد عن ابن أذينة أنه قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية: «ما من آية إلا ولها ظهر وبطن، وما فيها حرف إلا وله حد ومطلع»، ما يعني قوله: لها ظهر وبطن؟ قال: ظهر وبطن تأويلها، منه ما قد مضى ومنه ما لم يجيء، يجري كما تجري الشمس والقمر، كلما جاء تأويل شيء منه يكون على الأموات كما يكون على الأحياء، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ ونحن نعلمه ^(١).

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «نحن قوم فرض الله عز وجل طاعتنا، لنا الأنفال، ولنا صنو المال، ونحن الراسخون في العلم» ^(٢).

ثانياً:

الذين جهلوا تأويل الآيات، المستسلمون لله يقولون: آمنا به كل من عند ربنا، أو

(١) المستدرک ١٧: ٣٣١/٤/٢١٥٠٤.

(٢) الكافي ١: ١٨٦/٦.

يقولون: آمنا به كل من عند الله؛ لعلمهم أن ذلك ليس من اختصاصهم فيرجعون إلى الراسخين في العلم ليحصلوا على التأويل المناسب للآية.

س: ما هو المحتمل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾؟

ج:

١- وما يرجع إلى المحكمات لحلّ المتشابهة إلا أصحاب العقول الخالية من الشوائب

الذين يريدون أن يقتنصوا الحقيقة ويريدون أن يصلوا إلى حقّ المطلوب.

٢- أن المحكم والمتشابه والتأويل كلها لها تعلق بآيات الله، وآيات الله من نوع

العلم، وألوا العقول يعرفون ذلك، فلماذا هم يتذكرون هذه الحقيقة دائماً، فهم

يبدلون الجهد الشخصي أو من خلال مراجعتهم للراسخين في العلم، فلا

يتعاملون مع آيات الله بالسطحية وبالتقليد الأعمى للآخرين.

٣- هذا الخطاب كما أنه مدح للراسخين في العلم ولأصحاب العقول كذلك يستبطن

تحذيراً للذين يتعاملون مع آيات الله بالسطحية والقشرية.

٤- وما يعلم تأويله إلا ألو الألباب، وألو الألباب لهم درجاتهم الخاصة والفضل

الخاص عند الله، وهذا ما نجده واضحاً عند متابعة أولي الألباب في القرآن

الكريم، فلا يبعد أن يراد منهم الأئمة الأطهار سلام الله عليهم أجمعين الذين هم

أنفسهم الراسخون في العلم؛ لأن صفات أولي الألباب في القرآن قد لا تنطبق

إلا عليهم، فيكون استعمال المصطلح عاماً ويراد منه العصة الخاصة.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ ﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ
الْمِيعَادَ ﴿ (آل عمران: ٨-٩)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

١- الزيغ: الميل والعدول عن الحق.

٢- الهبة: العطاء على وجه التمليك من دون عوض.

٣- لدنك: عندك.

س: ما هو التفسير المحتمل للآيتين المذكورتين أعلاه؟

مركز تحقيقات كميتر علوم إسلامي

ج:

أولاً: ﴿ رَبَّنَا ﴾

المنادي الذي ينادي المؤمنون به الله توسلاً بربوبيته، والتي دائماً يستفتحون
دعاءهم بها لاستظهار حاجتهم وضعفهم إليه سبحانه، هذه الكلمة المملوءة عطفاً
وحناناً ورحمة.

ثانياً: ﴿ لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ ﴾

ربنا لا تزل قلوبنا عن الحق بعد إذ هديتنا إليه، وأعطنا من عندك رحمة واجعلها
مستمرة علينا سواء كانت العامة منها أو الرحمة الخاصة بالمؤمنين، وأعطنا هذه
الرحمة من دون النظر إلى واقعنا الذي لا يستحق ذلك، وإنما أعطنا الرحمة من دون

مقابل وحساب، وهذا النوع من العطاء لا يقدم عليه أحد وبصورة مستمرة بل هو منحصر بك حقيقة وواقعاً ؛ لأنك أنت الوهاب الذي يعطي ويزود الحياة بكل عناصرها من دون حاجة منه إليها ومن دون استحقاق لها منك.

ولهذا تجدنا يا ربنا منقطعين إليك وإلى ما كان من لدنك، فليس لنا نظر سواك، وما كان ظاهره من غيرك فنحن نعلم أنه لا يكون إلا من لدنك، فنحن نرى كل وسيلة في عطائك ذائبة فيك ومنك، لا نرى وهاباً إلا أنت لعلنا أن الأسباب كلها بيدك، فأنت واهب رزق العباد، وأنت واهب الرحمة للعباد، وأنت واهب الحفظ للعباد، وأنت واهب التوبة للعباد، وأنت واهب الوجود للعباد، وأنت واهب الجمال واللفظ للعباد، وأنت كما أنت الوهاب حيث لا شبه لك في ذلك.

الآية: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾

١- رَبَّنَا إِنَّا نَتَّقُكَ وَنُذَعِّنُ وَنُحْنُ عَلَى يَقِينٍ بِالْمَعَادِ الَّذِي جَعَلْتَهُ أَصْلًا مِنْ أَصُولِ الدِّينِ الَّذِي تَوَصَّلْنَا إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ مِنْ خِلَالِ عَقُولِنَا، وَمِنْ خِلَالِ إِرْشَادِكَ لَنَا إِلَيْهِ وَإِخْبَارِكَ بِتَفْصِيْلَاتِهِ وَمَا يَجْرِي فِيهِ، فَإِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ لَذَلِكَ الْيَوْمِ وَوَعَدْتَ الْمَخْلُصِينَ بِالْجَنَّةِ وَالرِّضْوَانَ، وَتَوَعَّدْتَ الْمَذْنِبِينَ بِالنَّارِ، وَإِنَّكَ صَادِقُ الْوَعْدِ فَلَا تُخْلِفُ مَوْعِدًا وَلَا تَوَعَّدُ، بَلْ نَرَاهُ عَيْنَ الْحَقِّ وَأَنَّهُ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ وَنَحْنُ نُوْمِنُ بِذَلِكَ مَلْتَجِثُونَ مِنْكَ إِلَيْكَ، فَلَا سِوَاكَ الَّذِي يَنْقُذُنَا مِنْ تَوَعْدِكَ بِالنَّارِ وَيَنْقُلُنَا إِلَى وَعْدِكَ بِالْجَنَّةِ وَالرِّضْوَانَ.

٢- أَنَّ هَذَا الْخُطَابَ يَثْبِتُ الرِّسُوخَ الْعِلْمِيَّ الَّذِي يَحْمِلُهُ أَهْلُ تَأْوِيلِ الْحَقِّ أَوْ عَامَّةُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، حَيْثُ هُمْ مِنَ الَّذِينَ يَسِيرُونَ عَلَى الْحُجْبِجِ وَالْأَدَلَّةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَمِنْهَا إِيْمَانُهُمُ بِالْمَعَادِ وَوُقُوعُ يَوْمِهِ وَأَنَّهُ يَجْمَعُ وَيَحْشُرُ فِيهِ النَّاسَ؛ لِأَنَّ

الله لا يخلف الميعاد، فقد جاءهم هذا اليقين والرسوخ من استنتاج علمي من مجموع العلل والمعلولات لا من تقليد الآباء والأجداد، ولذلك تراهم يزودون ويسندون إيمانهم بالقضايا والأدلة العلمية الجامعة بين العقل والشرع.

س: ما هي الاحتمالات في ورود هذا الدعاء التي تحمله الآيتان؟

ج:

١- أن يكون حال الراسخين في العلم أنهم يدعون الله ويطلبون منه الإدامة على الاستقامة وأن يزودهم بالرحمة الخاصة بصورتها المستمرة، فإنهم لا يضمنون لأنفسهم الاستمرار من دون الاتكال على الله والدعاء منه، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أكثرُوا من أن تقولوا: رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بعد إذ هَدَيْتَنَا ولا تَأْمِنُوا الزَّيْغَ»^(١).

٢- أن عدم الوقوع بزيف القلوب وعدم الوقوع في اتباع المتشابه لم يكن بالأمر الهين، بل يحتاج إلى ملكات نفسية وإيمان راسخ وتوكل على الله والدعاء والتوسل به وأنه لا حول ولا قوة للإنسان في ذلك إلا بالله العلي العظيم، ورد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: «يا هشام، إن الله حكى عن قوم صالحين أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بعد إذ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ حين علموا أن القلوب تزيف وتعود إلى عماها ورداها، إنه لم يخف الله من لم يعقل عن الله، ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة ببصرها ويمجد حقيقتها في قلبه، ولا يكون أحد كذلك إلا من كان قوله لفعله مصداقاً، وسره لعلانيته موافقاً؛ لأن الله تبارك اسمه لم يدل على الباطن الخفي من

(١) تفسير العياشي ١/١٦٤:٩.

العقل إلا بظاهر منه وناطق عنه»^(١).

٣- أن يكون دعاء عاماً يحتاجه الإنسان المؤمن في كل حركته وفي كل المراحل التي يمر بها من البداية إلى النهاية فهو بين تطهير القلب من مطلق الزيف وجلب مطلق الرحمة الإلهية.

٤- أن يطرح الله في هذه الآية نموذجاً من المتشابه من خلال قوله ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ فإن الله لا يزيع القلوب، وإن الراسخين في العلم يطلبون من الله الرحمة في اتباع المحكم المتعلق بهذه الآية كأن يكون ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (الصف: ٥)، أو ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ (النفال: ٥١)، أو ﴿وَكُرْهًا لِّإِنْتِهَاءِ أَكْثَرِ النَّاسِ وَلَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الحجرات: ٧)، وغيرها من المحكمات التي تمنع من أن يكون السبب المباشر للزيف هو الله، فالمؤمنون يطلبون من الله بأن يعينهم برحمته لتكون سبباً في عدم زيف قلوبهم ليتبعوا مثل هذا المتشابه الذي لا يزيع القلوب.

س: لماذا تستعمل صيغة الجمع في الدعاء؟

ج:

١- سعة الداعين إلى الله وأوليائه أن يدعون لغيرهم ويشركون غيرهم في الدعاء بما ربّاهم الله على هذه الصفة من حب الغير وشمول الخير للغير كما يحبّون لأنفسهم ذلك، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «حب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره له ما تكره لها»^(٢).

(١) الكافي ١: ١٢/١٨.

(٢) المستدرک ١١: ٣١١/١٣١٢٦.

٢- سعة الشريعة الإسلامية العامة في الدعاء هي لغة الجمع، وهذا يعني أن صيغة الجمع عند الدعاء هي اللغة المحبوبة عند الله، وأنها تمثل الشعور الذي يريد الله أن يفرسه في قلوب أمته ويربّيها عليه في أن الغير دائماً وأبداً في وجدان وإحساس كل المؤمنين.

٣- ومما مرّ نعرف أن لغة الجمع وصيغتها تكون أكثر ضماناً لاستجابة الدعاء، وقد ذكرنا في مبحث الدعاء تفصيلات ذلك فراجع.

س: هل أن الله يزيغ القلوب بحيث يطلب المؤمنون منه سبحانه بأن لا يزيغ قلوبهم؟ اذكر الاحتمالات في ذلك.

ج:

١- المؤمنون يطلبون بأن لا يحتملهم الله بأكثر ممّا يتحملون من الابتلاء فيكون سبباً في أن تزيغ قلوبهم.

٢- المؤمنون يطلبون العون من الله بأن لا تزيغ قلوبهم عن الحق ولا تنقطع رحمته عنهم فيكون سبباً في زيغ قلوبهم.

٣- المؤمنون يطلبون الاستمرار على الهداية فلا يقطعها عنهم فتكون سبباً لزيغ قلوبهم وسوء عاقبتهم، فهي على غرار قول: (ربنا لا تمنعنا أطفافك بعد أن منحتها إلينا).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً
وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ • كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ • قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
سَتْغَلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ • قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ
الَّتِقَاتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنِ
وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾

(آل عمران: ١٠-١٣)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟



ج:

١- الغنى: عدم الحاجة.

مركز تحقيقات كميونر علوم اسلامي

٢- الدأب: الاستمرار في الحركة.

٣- الأخذ: التناول مع رضا المتناول منه أو من غير رضاه، وقد يكون بصورة يعلمها

المأخوذ منه وقد لا يكون بعلمه، بل قد يكون أخذاً مفاجئاً، والشرط الثاني في

جميع الصور هو المقصود في الآية.

٤- الغلبة: النصر إذا كان فعله مبنياً للمعلوم، والخسارة والهزيمة إذا كان فعله مبنياً

للمجهول كما في هذه الآية.

٥- الالتقاء: الجمع والتلاقي.

٦- مثلهم: ضعفين من العدد أو الكمية.

س: ما هو المحتمل في تفسير الآيات المذكورة أعلاه؟

ج:

أولاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾

١- في الدنيا، فلا يقف أمام قدرة الله شيء، وأن أمر الله غالب دائماً، فلو أراد الله أن يستعمل قدرته فلا قيمة لعظمة الأشياء كلها أمام قدرته، هذا ما يؤمن به الإنسان المؤمن وهذا هو واقع قدرة الله الذاتية، وأما الذين كفروا والذين ركنوا إلى الأمور المادية وجعلوها هي السبب في كل شيء واعتقدوا أن من خلال الأموال وقوة الأولد وكثرتهم وتجنيدهم أن يخضعوا كل شيء لهم وأن يصنعوا ما يريدون من خلال هذين العنصرين، وأن عامل الغيب وعالمه ليس له وجود أو تأثير فيما يقومون به في عالم الدنيا، فمن لم يخضعه المال يخضعه الجيش واستعمال القوة، والله سبحانه وتعالى يحذر الذين يحملون هذا الاعتقاد الكافر البعيد عن الحساب الغيبي والذي يستهين بقدرة الله مستغلاً إمهال الله له، فالله يقول لهم: لو نزل القضاء بكم فلا الأموال ولا الأولد بإمكانها أن تقف أمام الله وقدرته وقضائه، وأن أصحاب البصر والبصيرة يدركون ذلك من خلال قراءتهم للتأريخ وما حلّ للأمم الظالمة عندما استعمل الله قدرته ضدّهم فكانت عبرة لهم، ولهذا هم يحذرونه دائماً فلا يظلمون ولا يستعملون أموالهم وأولادهم فيما حرّمه الله عليهم.

٢- في الآخرة، لما كان ذلك اليوم تتقطع فيه الأسباب فلا ارتباط بين الناس ولا مناصرة بينهم ولا شفاعة بينهم ولا خلّة بينهم ولا بيع ولا شراء بينهم، فتكون

النتيجة الطبيعية أن الأموال والأولاد لم تُغنِ بل الإيمان والعمل الصالح وحده هو الذي يغني ويدفع عن الإنسان العذاب والنار، ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾ (سبا: ٣٧)، ولما كان الكافرون ماتوا وهم كفار واغترتوا بأموالهم وأولادهم فتكون النتيجة الحتمية أن يكونوا هم وقود النار التي تتقد النار بهم.

ثانياً: ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

صورة من صور الماضي ينقلها الله للجميع للتذكرة والعبرة، آل فرعون الذين كانوا يمتلكون القوة العظمى في وقتهم وهذه آثارهم تدل على ذلك والنقل التاريخي يؤيد ذلك، فهل نفعهم الاستمرار والدأب على المعاصي من خلال نظريتهم المادية وركونهم إلى أسباب الدنيا من الأموال والجيوش، أم هي لحظات حتى أصبحوا نسياً منسياً حينما أخذتهم قدرة الله وخطفتهم بصورتها المفاجئة من خلال إغراقهم بالبحر، ولم يرحم الله منهم أحداً لإصرار الكل على ارتكاب الذنوب والتمرد على الله التي لا يستحقون إلا العذاب عليها؟ فعند ذلك لا يعاملهم الله إلا بما استحقوا، وإذا استعمل الله عذابه فإنه شديد العذاب فلا يتحمل عذابه أحد.

هذا بالإضافة إلى العذاب الذي ينتظرهم يوم القيامة الذي هو أشد من عذاب الدنيا، بل لا قياس بينه وبين عذاب الآخرة، ولم يكن آل فرعون هم الذين تفرّدوا باستعمال قدرة الله ضدهم وأخذهم الله الأخذ المفاجئ، بل كان قبلهم قوم نوح وغيرهم ممن شملهم هلاك الدنيا قبل عذاب الآخرة.

الثالث: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتْغَلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾

قل يا رسول الله ﷺ بصفتك مركز الفيض الإلهي وواسطة السماء، قل إلى الكفار أين ما حلوا وفي أي زمان كانوا وفي أي موقع من مواقع الدنيا وصلوا إنهم سيهزمون فكرياً واجتماعياً وعقائدياً وعسكرياً ومن جميع مقومات الحياة، وهذه الحتمية ستقع عليهم يوماً ما، وإذا كانت آلية الهزيمة محتملة الأسباب فإنها يقينية الوقوع بظهور الإمام المهدي عليه السلام الذي وعد الله به بقضائه الحتمي بأن المستضعفين سيرثون الأرض بقيادته سلام الله عليه ﴿وَتُرِيدُ أَنْ تَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (التقص: ٥)، فليلاحقكم أيها الكفرة هذا الخطاب والإخبار الغيبي من الله ليزرع في قلوبكم الخوف والفرع الدائم وأنتم تمتلكون قوة المال والجيش من الأولاد، وأنكم تخسرون الدنيا بالقلق والاضطراب النفسي الذي تعيشونه، وأنكم ستخسرون الآخرة حيث لا شيء ينفعكم ولم تتركوا لها شيئاً ينقذكم من عذاب النار، ولهذا ستحشرون من دون انتظار لشيء تأملونه لينقذكم من جهنم التي جعلتموها باختياركم مهذاً ومحل استقرار لكم وهو بئس المهاد، وأن هذا الخطاب كما ينقل العاقبة السيئة للكافرين في الدنيا والآخرة فهو يكون بشارة للمؤمنين ليزرع فيهم روح الأمل والاستعداد والمثابرة والجد والوحدة والجهاد بالأموال والأنفس ليمهدوا الطريق لأهل ذلك اليوم الذي يكون فيه المؤمنون هم ورثة الأرض وعلى أيديهم سيغلب الكافرون.

رابعاً: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنِ الثَّقَاتِ فِتْنَةً تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾

صورة أخرى ننقلها لكم لمنع لجاجتكم وعنادكم أيها الكفار، وهذه الصورة حيّة قريبة لم يختلف عليها أحد، تلك هي واقعة بدر، التي تميّزت بأشياء، منها: أنها ذات فريقين وفئتين قد التقتا على قتال، وأن إحداهما تقاتل في سبيل الله وهم المسلمون الأوائل الذي يقودهم رسول الله ﷺ، وأخرى تقاتل في سبيل الكفر والشرك والطاغوت فهي كافرة، وكان العدد بين الفريقين غير متكافئ، فالعدد القليل جداً الذي كان يمتلكه المسلمون والذي لا يكون مناسباً لأبسط الحروب، والعدّة والعدد ومن الأموال والأولاد الكثير جداً الذي كان يمتلكه الطرف الكافر، فبحساباتكم الماديّة أيها المنفصلون عن عالم الغيب تكون الغلبة للكفرة، ولكن الله عندما تدخل جعل الذين كفروا يرون بأنهم أعينهم المسلم الواحد بشخصين كرؤية حقيقية خارجيّة، وقّلّ العدد الكثير للكفار بأعين المسلمين ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذْ التَّكَيْمُ فِي أَغْيَابِكُمْ قَلِيلًا﴾ (الأنفال: ٤٤)، وأن مثل هذه القدرة لا شك أنها مختصة بالله وكانت نتيجة غلبة المسلمين على الكفار، فلا تأمنوا أيها الكافرون مكر الله بكم، وأن النصر بيد الله، وأن القوّة والغلبة لله، وأن ما يمرّ على سمعكم وأبصاركم مثل هذه الحوادث هي عبرة لكلّ صاحب بصيرة؛ لأن أثر العبرة إيجاباً لا يكون إلا عن طريق البصيرة، فهي كما أنها عبرة للمؤمنين من أصحاب البصيرة ليتزودوا التقوى من خلالها ولتعمّق إيمانهم بالله وترداد تقّتهم به، فهي عبرة للكافرين في أن يحذروا الله ولا يتمادوا في غيهم وانجذابهم إلى الأرض وأسبابها الظاهريّة.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ
 مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمَسْوُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا
 عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ
 وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ
 لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ
 وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ (آل عمران: ١٤-١٧)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيات؟

ج:

- ١- التزيين: الجمالية المناسبة للجذب نحو الشيء.
- ٢- الحب: جذب القلب وما يصدر منه من المشاعر والأحاسيس نحو المحبوب.
- ٣- الشهوة: ما يلائم وتلذذ به النفس.
- ٤- القناطر: أ- من القنطرة أي المعبر ب - من القنطار وهو اسم لمعيار خاص. ج-
 الشيء الموثق عقده وإحكامه.
- ٥- الخيل: من الخيلاء، وسمي الحصان بذلك لمشيته بخيلاء.
- ٦- المسوومة: أ- من السوم أي الرعي. ب - من السمة أي العلامة.
- ٧- المتاع: الاستمتاع.
- ٨- المآب: الرجوع.
- ٩- الأنبياء: الإخبار عن أمر يوجب الانتباه.

١٠- قنا: من الوقاية.

١١- السحر: الستر والإخفاء.

● التزيين بين الواقعية والتحذير

س: ما هو المحتمل لتفسير قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآءِ؟﴾

ج:

أولاً: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾

١- التزيين: إحاطة الشيء بالجمالية المناسبة له بما يظهر حسنه بحيث تكون سبباً في جذب قلب الإنسان إلى ذلك الشيء والتفاعل معه، وهي تدخل في الأمور المادية كتزيين الأشياء والمعنوية كالإيمان والعلم فإنه زينة العاقل.

٢- أن عملية التزيين هي من أجل الناس وانتظام حياتهم من خلال ارتباطهم مع الأشياء التي لولا عامل التزيين لما انجذب الإنسان إلى شيء.

٣- لم يكن من الضروري أن يكون كل ما زين محبوباً للإنسان ويشتهي، ولم تكن الوحدات المذكورة في الآية جميعها يحبها الإنسان ويشتهيها، فقد يكون بعضها وقد يكون جميعها وقد يكون غير ما ذكر محبوباً لدى الإنسان كالجواهر والسلطة والعلم وغير ذلك من أمور الحياة، فقد تكون هذه الموارد التي ذكرتها الآية مكروهة جميعها عندما تكون مورداً من موارد تزيين الشيطان كما سنرى إن شاء الله.

ثانياً: ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾

- ١- حب الشهوات من النساء من أجل القيام بعملية التزاوج لحفظ النوع الإنساني وحصنه.
- ٢- أنَّ عملية حب الشهوات لم تكن مختصة بالرجال بالنسبة إلى النساء، بل هي في النساء كذلك بالنسبة إلى الرجال ولكن الله لم يذكره من باب الأدب الرباني الذي يريد أن يحفظ ستر المرأة.
- ٣- حب الشهوات كما لها جانب صحيح فلها جانب منحرف عندما يزيئنه الشيطان ويوجهه في غير وجهته الصحيحة من السفاح.

ثالثاً: ﴿وَالْبَيْنِ﴾

- ١- حب الشهوة من النساء من أجل البنين.
 - ٢- حب الشهوة في البنين لأجل قيام الأبوين بدور الحضانة والتربية والنفقة.
 - ٣- حب الشهوة في البنين من أجل الحفاظ على تكوين الأسرة وإكمال عنصر التعاون بين أفرادها.
 - ٤- حب الشهوة من البنين كما له جانب صحيح فله جانب منحرف عندما يزيئنه الشيطان ويوجهه في غير وجهته الصحيحة، كما إذا كان مطلوباً بالذات أو استخدام البنين لجهة غير مشروعة، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المنافقون: ٩)
- رابعاً: ﴿وَالْقَاطِرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾.

- ١- حب شهوة كثرة المال لأجل إيجاد الحركة النشطة في الكسب والتعاون والتكافل.

٢- حب شهوة كثرة المال لم تكن غاية في نفسها، بل هي وسيلة وقنطرة للعبور من خلالها إلى الجزاء وثواب الآخرة، ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾ (الكهف: ٤٦)

٣- القناطر المقنطرة، المقنطرة هي تأكيد لكثرة القناطر من الذهب والفضة، مثل آلاف مؤلفة.

٤- ذكر الذهب والفضة بالخصوص لكون تقييم الأشياء يجري عليها، أي هي وحدة قياسية للقيمة السوقية.

٥- حب شهوة المال كما لها جانب صحيح فلها جانب منحرف عندما يزئنه الشيطان ويوجهه في غير وجهته الصحيحة عندما يكون مطلوباً بالذات أو يصرف في غير وجهته المشروعة .



خامساً: ﴿وَالْخَيْلِ الْمَسُومَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾

- ١- الخيل من أجل ركوبها أو الحمل عليها أو النظر إليها وهي تمشي بخيلاء.
- ٢- الأنعام من أجل تكثيرها والركوب عليها والحصول على لحمها وجميع مكوناتها، وهي الغنم والأبقار والجمال.
- ٣- الحرث من أجل الحصول على الثمر والإنتاج الزراعي الذي فيه إدامة الحياة للإنسان.

٤- حب الخيل والأنعام والحرث كما له الجانب الصحيح فله جانب منحرف عندما يزئنه الشيطان ويوجهه في غير وجهته الصحيحة.

سادساً: ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾

- ١- أن ما ذكر من الوحدات هو يمثل أهم متاع الحياة الدنيا أو هو نموذج

من المتاع.

٢- أن ما ذكر ما هو إلا متاع في خدمة الإنسان لقضاء حاجته فلا يحوله الإنسان إلى غاية يخدمها.

٣- أن ما ذكر هو متاع لأنه في زوال واضمحلال لم يكتب له البقاء.

٤- أمّا أشياء الآخرة في الجنة فهي ممدوحة لا شين فيها ولا تزيين وأنها حسنة باقية، فليهتم الإنسان لما هو باقي وليقدّم المذموم الزائل من أجل الحصول على الحسن الباقي.

٥- لا يعني أن ما ذكرناه من المتاع أن يتركه الإنسان، بل أن يستثمره في وجهته الصحيحة المشروعة ليكون طريقاً إلى الحصول على حُسن المآب.

س: ما هو المصدر الفاعل للأُمور الثالوية: (التزيين) و(الحب) و(الشهوة)؟

ج:

١- التزيين: لها فاعلها الخارجي الله أو الشيطان أو الإنسان.

٢- الحب: نفس الإنسان.

٣- الشهوة: الله هو الذي خلق شهوة الأشياء عند الإنسان.

س: لقد جعلت عملية التزيين بصورة عامة فاعلها مشتركاً بين الله والشيطان والإنسان، وضح ذلك.

ج:

الأول: الله سبحانه وتعالى

١- التزيين من الله الذي جعل الزينة في مطلق الأشياء لمطلق الإنسان والتي لولاها

لما انجذب إنسان إلى شيء ولم يتأثر بشيء وبالتالي يختل نظام الحياة، فلو

نظر الإنسان بالدقة العقلية إلى الأشياء ومجردة عن أي ترتيب لما أحب شيئاً حيث حقيقة كل شيء في الدنيا هو غير حسنه وجماله، فمثلاً لو تعامل الزوج أو الزوجة مع حقيقة تكوين كل منهما والذي لو رآه البصر بما يحمل كل منهما وبصورة واضحة فلا يتقرب زوج إلى زوجته وبالعكس.. وهكذا، قس ذلك على الشمس والقمر وكل الأشياء على الأرض أو في السماء، صغيرها وكبيرها، ظاهرها الذي يدركه البصر وباطنها التكويني الذي لا يدركه البصر الذي قد يكون أكثر جمالاً وجاذبية وتريناً من ظاهرها، كما لو نظرت إلى التركيب الذري أو الجزيئي للأشياء لترى عجب الترتيب فيها من حيث ألوانها والترابط بينها وأشكالها الهندسية الرائعة. فالارتباط الحاصل بين الإنسان وحبه ومشتهياته للأشياء قائم بالترتيب الذي هو علة الجذب والذي هو عمل وخلق خاص بالله، حيث وهو يخلق كل شيء يخلق زينته المناسبة له، فالنتيجة أن زينة الأشياء من الجمال والحسن الجذاب للإنسان لا تنفك عن الأشياء فهي كلازم المفارق.

٢- لم تقتصر عملية ترتيب الله للأشياء المادية لما في السماء والأرض فقط، وإنما ترتيب الله يجري في الأمور المعنوية كذلك ﴿حَبِّبْ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزِينَتَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (العنبر: ٧).

٣- ترتيب الله في الجميع لا يحمل النقص والشين من جميع الجهات وفي جميع الموارد، فكل الترتيب الإلهي يدخل فيما هو الممدوح والكامل فقط.

٤- ترتيب الله يتم من داخل الإنسان إلى الداخل كما لو زين له من الفكرة الحسنة التي فكر بها الإنسان وهو نوع من الهداية والعطاء الإلهي، ومن الداخل إلى

الخارج كما لو زين له الأخلاق الحسنة، ومن الخارج إلى الداخل كما هو
تزيين الإيمان وبقية الأشياء.

٥- تزيين الله كما هو حالة ضرورية لإقامة علاقة الإنسان بأمر الدنيا فهو عامل
مساعد للإنسان للحصول على ثواب الآخرة والفوز بها من خلال الانجذاب
لتلك الأمور والعمل بها.

٦- ولم يذكر الله اسمه في هذه الآية في أنه هو الفاعل للتزيين، وذلك:
أولاً: لكونه معلوماً كما توضّحه الآيات مثل قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا
بِمَصَابِيحٍ﴾ (نعلت: ١٢)، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾ (الكهف: ٧)، ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَابِيٍّ وَأَنْبِثْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (ق: ٧)، ﴿فَأَنْبِثْنَا بِهِ حِطَّائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾
(النمل: ٦٠)، ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ (الحجر: ١٦).

ثانياً: أن يكون عدم ذكر اسمه تعالى ترفعاً عنها لكونها زينة لا تحكي عن
حقيقة الشيء.

ثالثاً: أن تكون في الوحدات التي ذكرتها الآية خصوصية، وهي أنها تعبّر عن
مسار منحرف ليس لله دخل فيه، بل هي من تزيين الشيطان كما سنرى ذلك.

الثاني: الشيطان

١- صريح القرآن أن للشيطان عملية تزيين وأنها منحصرة في حدود عمل الإنسان،
وموقع عمل الشيطان في التزيين وغيره في قلب الإنسان فقط، وقد أذن الله له
بذلك لإتمام هدف الحياة من الامتحان، وقد تحدّثنا عن ذلك في بحث
الشيطان في سورة البقرة آية ٣٤، ﴿وَإِذْ زَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ (الأنفال: ٤٨)،
﴿لَا زَيْنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (الحجر: ٣٩)، وبعض الآيات يكون الشيطان هو المعين

في سبب عملية التزيين؛ ولهذا لا يذكر اسمه، ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ (التوبة: ٣٧).

٢- أن كل ما يقوم به الشيطان من عملية التزيين كله في موارد الذم والنقصان وفي الموارد التي تكون خالية من التزيين الإلهي تماماً، فهو لا يحمل إلا جهة واحدة في عملية التزيين وهي جهة الذم والقبیح لا مطلقاً.

٣- تزيين الشيطان لا يكون إلا في داخل الإنسان بما فكر فيه من الفكر النظري السيئ أو بما يلازمه العمل السيئ خارجاً، وسواء كان متعلق الفكر بالأمر الماديّة أو المعنويّة، وسواء كان السيئ شيئاً بنفسه كشرب الخمر أو السرقة أو شيئاً بالنسبة إلى غيره كترتين العامل المهم ليجعله أهم عند التواضع بما هو الأهم واقعاً، وفي جميع الأحوال مستقرّ الشيطان حول القلب فقط ليقتنص ما يستهويه الإنسان فيزيّن له السيئ منه.

مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم إسلامي

الثالث: الإنسان

١- يقوم الإنسان بتزيين بعض الأشياء القادر على تزيينها من الأمور الماديّة أو المعنويّة، فهو يزيّن الملبس والمأكل والمسكن وأمثال ذلك كما يزيّن بعض الأعمال والأفكار.

٢- عمليّة تزيين الإنسان تجري في الاتجاهين المستقيم والمرضي عند الله والمنحرف المؤدي إلى عصيان الله، فقد يزيّن للآخرين بعض الأعمال والأفكار الواجبة أو المستحبة وأماكن العبادة وفي كل ما هو مباح وجعله الله حلالاً طيباً، وقد يزيّن للآخرين بعض الأعمال والأفكار المنحرفة وأماكن اللهو وفي كل ما هو معصية لله، ﴿زُيِّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ

شُرَكَاءُ لَهُمْ ﴿الأنعام: ١٣٧﴾، أَي زَيْنَهُ شُرَكَاءُ هُمْ، ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ (التصريح: ٧٩).

٣- تزيين الإنسان يتم من الخارج إلى الداخل فقط لعدم قدرته على النفوذ إلى داخل الإنسان الآخر.

س: اذكر الوجه في فاعل عملية التزيين لوحدات هذه الآية بالخصوص.

ج:

أنها من تزيين الشيطان وشياطين الإنس، وذلك للأدلة التالية:

١- أن الحديث لم يكن عن مطلق التزيين، بل التزيين في أمور خاصة، ولم يتحدث عن التزيين المنفصل عن العمل، بل عن التزيين الذي يلازمه العمل كما ستري.

٢- أن التزيين يجري بالإضافة إلى الحب بالإضافة إلى الشهوة، فإن هذه الأمور الثلاثة إذا اجتمعت تجعل الإنسان ملازماً من الناحية العملية لهذه الأمور بحيث يكون غرضه وعيشه في طلب هذه الأمور المذكورة في الآية، وهذا النوع من الشد لمثل هذه الأمور المادية البحتة يكون مذموماً عند المؤمنين والحكماء، فلا يزينها الله.

٣- استعمل الله الأمور الستة المذكورة في الكثرة (نساء) (بنين) (قناطير مقنطرة) (خيل) (أنعام) (حرث)، والله يذم الكثرة ويعتبرها نوعاً من أنواع الجشع والطمع في الدنيا وخصوصاً في هذه الأمور المادية فلا يزينها الله للإنسان.

٤- أن الله جعل الشهوة والتزيين لها بالقدر الذي تكون متاعاً واستمتاعاً للإنسان ويحذر من الانشداد لها بأكثر من ذلك بما يصعب الإنفكاك منها، بينما نحن ننظر هنا إلى وقوع الإنسان بما فيه الإفراط والكثرة، وهذا النوع من الوقوع لا

يكون من تزيين الله.

٥- أن الأمور المذكورة في هذه الآية أقرب ما تكون محلاً زلقاً للإنسان إلى الهاوية، بل هي المحل لأكثر الناس وسبب سقوطهم في النار، ولم يخلط القرآن معها بشيء من خالص الخير حتى يوهم أن يكون التزيين من الله، فيكون التزيين حتماً لمثل هذه الموارد من الشيطان وإلا يكون حق الاعتراض على الله له مجال لو كان التزيين منه لإضافة الأمور المذكورة إلى الشهوة الذي يلازمه الحب والعمل لمثل هذه الأمور.

٦- أن الله عندما زين الأشياء بما هو موصل للآخرة، وإذا كان التعامل معها بهذا القدر فالله يدعو إليها ويشجع على تناولها ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ (الأعراف: ٣٢)، ولكن عندما نرى أن الله في الآية التالية يدعو إلى تركها ونبذها ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ﴾، والانتقال إلى ما عنده من حسن الثواب، هذا يعني أن هناك نقصاً وشيئاً غير ممدوح في تناولها بهذا الشكل بالخصوص، وأنه نوع من حب الدنيا لم يكن من صفة المتقين ولا همهم وشغلهم الشاغل، وتزيين الله لا يكون في مثل هذه الموارد المذمومة.

س: ما هي المحتملات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾؟

ج:

أولاً: ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾

١- أن الله يخبر الناس جميعاً وبالخصوص الذين اتقوا ليزيدهم تقوى ويرغب

الآخرين على حصول درجة التقوى.

٢- استعمل كلمة الأنباء ليكون خبراً يسترعي انتباه الناس ويحملوه على جهة الجدية والاهتمام وأنه أمر واقع، وأن استعمال صيغة الاستفهام ووقوعه على نفس الخبر ليزيده أهمية وأقوى لجلب الانتباه.

٣- أن الأمور التي ذكرت وإن كان فيها جانب الخير عندما يتناولها الإنسان بالتناول المناسب والشرعي، وأنها جذابة ومحبوبة للنفوس وتميل إليها، وأنها تمثل أم الشهوات، إلا أن الله يخبر أن ما موجود في الآخرة وما عند الله هناك هو خير منها.

٤- هناك فرق كبير بين فعل الإنسان عندما يعطي للآخرين وبين أن يدعو الآخرين إلى بيته ليقدم ما هو المناسب لمكانته الاجتماعية، فالله كل شيء هو عنده ومتقوّم به ولكن عندما يقول: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ هذا يعني أنه يدعو الناس إلى ما هو عنده، أي له خصوصية تناسب كونه رباً وخالقاً وأنه أكرم الأكرمين، فمن هذه الكلمة يمكن أن نقول: إنه لا يمكن للإنسان أن يرسم صورة مهما كانت جميلة لما يُقدّمه الله في عالم الآخرة، فلو لم تكن إلا هذه الكلمة لترغيب الإنسان إلى عالم الجنة لكفى ذلك في أن ما موجود عنده هو خير من ذلكم.

تَالْيَا: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾

هذه المعاني قد تمّ توضيحها سابقاً في سورة البقرة آية (٢٥) فراجع.

تَالْيَا: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾

١- أن من جملة وأهم نعيم الآخرة هو الحصول على رضوان الله التي تجعل الإنسان يشعر بعظيم اللذة والارتياح بما لم يشعر به في أثناء وجوده في الدنيا مهما كان

تقيّاً؛ لأنه لم يحرز رضوان الله من قبل الإنسان إلا بعد دخول الجنة.

٢- أن كل ما يحصل عليه الإنسان في الآخرة مصحوب برضوان الله فلا يتوقع معه سخط الله أو رفضه أو مبغوضيته، وهذا اللون من التعايش والإحساس ممّا يضيف إلى النعمة وتناولها نعمة إضافية لها أثرها الإيجابي الكبير على النفس وفي رغد العيش هناك.

٣- قد يتناول الإنسان شيئاً في الحياة الدنيا سواء من الأمور المعنوية أو المادية ويعتقد أن هذا الأمر هو من رضا الله، وقد يكون هذا الاعتقاد مطابقاً للواقع وقد لا يكون كذلك؛ لأن الإنسان في هذه الحياة عليه بالظاهر، ولكن ما يقع في الآخرة أنه مطابق للواقع دائماً؛ لأن كل ما موجود في الجنة لم يكن للإنسان دخل في إيجاده وإنما كلّه هو من الله مباشرة ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾؟

ج:

١- أن الذين اتقوا من جملة علاماتهم أن يقولوا: آمنا بكلّ الوحدات التي تدعو إلى الإيمان بها أصولاً للدين وفروعاً له.

٢- أن من جملة ما آمنوا به أن الله هو الغفار كما نقل الله ذلك عن نفسه فلذلك يكون طلب الغفران منه فقط هو فرع إيمانهم بذلك.

٣- أن المتقي لا يعني أنه لا يخطأ، فهو يخطأ ولكن لا يصّر على الخطأ والمعصية ولهذا يكون الندم على الخطأ ملازماً له، ولهذا تجد كلمة الغفران لا تسقط عن ألسنتهم.

٤- أنهم يجعلون إيمانهم وجيهاً عند الله فلذلك يقدمونه بين يدي الله ليكون لهم شفيعاً عند الله، لعلمهم أن الإيمان الذي يحمله عامة المؤمنين هو أقوى من عملهم وأركز وأكثر إخلاصاً، فهم يتوسلون به دون عملهم.

٥- أن المؤمنين عاملون ولا شيء يدفعهم إلى العمل وما يتحملون صعبه إلا الإيمان، فهم يملكون القدر المتيقن بالإيمان الصادر منهم ومن اختيارهم، وأما العمل فهم على وجل منه لعدم اليقين بخلوصه وقبوله من قبل الله، فالمؤمنون يتوسلون بالله بالقدر المتيقن الذي يمتلكونه وهو الإيمان بالله ولا عمل يتحركون له إلا من أجله، وتقديم المتيقن به من الإخلاص يكون أكثر صدقاً وأكثر تأثيراً في استجلاب الرحمة، بل وقبولاً حتى العمل لأجله.

س: أن المتقين لا يطلبون الجنة على ما فيها بقدر طلبهم التخلّص من عذاب النار، فإن طلبهم الثاني يكون أكثر. اذكر المحتملات عن سبب ذلك.

مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ج:

١- طبيعة الإنسان أن يشتغل بدفع الضرر أكثر من جذب النفع إليه عندما يحتمل الطرفين.

٢- أن المؤمن يخطأ، ويؤمن أنه سيحاسب على خطئه فيظن دخول النار على ارتكابه الخطأ فهو في خوف دائم، ويؤمن بنار جهنم أنها لا تتحمل ولو ليوم واحد فهو يطلب دائماً أن ينقذه الله من عذاب النار بأي وجه من الوجوه.

٣- أن المؤمن يؤمن بأن التخلّص من النار هو عين طلبه بالدخول إلى الجنة، ﴿فَمَنْ زُخْرِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (آل عمران: ١٨٥).

٤- أن الإنسان صاحب القيم الواعية قد يتحمل أن يكون مظلوماً أو مجرداً من أي

ملكيتة، ولكن لا يتحمل الاستحقاق والتذلل والتنكيل ومبغوضية الله والآخريين له وغير ذلك من القيم الرذيلة، والنار تحمل كل هذه القيم الرذيلة، والمؤمنون هم ربانيون وأصحاب قيم أخلاقية عالية التي لا ترضى ولا تعيش ولا تتحمل أي قيمة تبعدهم عمّا ربّاهم الله عليه وخصوصاً إذا كانت صادرة من مبغوضيته وسخطه عليهم، فطلبهم الإنقاذ من النار هو إنقاذهم من هذه القيم التي لا تتسجم مع ذاتيتهم والتي تأبأها طباعهم، فيكون مصبّ نظرهم هو هذا أكثر من مسألة الحصول على شيء.

س: ما هو التفسير المحتمل لقوله تعالى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾؟

ج:

- أنها صفات أخرى للمتقين الذين يستحقون الجنة ورضوان الله والتي منها:
- ١- صابرون على البأساء والضراء، ثابتون لا يتزعزع إيمانهم ولا مواقفهم، صابرون على البلاء الاختياري وغير الاختياري النازل من الله، مستمرّون في تحدّياتهم التي تفرضها الحياة عليهم من موقع القوة التي يستمدّونها من الله والتي أمرهم الله بأن يصبروا عليها، صابرون وغالبون على كل تقاط الضعف التي تريد السيطرة عليهم، فهم في بناء دائم لأنفسهم وجهاد ضدّ أعدائهم.
 - ٢- صادقون في أقوالهم وفي أعمالهم بالإخلاص، صادقون وإن كان فيه ضرر عليهم، صادقون فيما يتبنّونه من الأفكار، صادقون بكلّ ما يصدر منهم بأنّه مطابق للشرع والقانون الإلهي، فهم في منتهى الاستقامة والصدق مع كلّ من يرتبطون به.
 - ٣- قانتون لله في حركتهم، مطيعون لله في جميع ما أمرهم ونهاهم عنه، ليس لهم همّ

إلا طاعة الله، خائفون من الله متذللون له، لا يرون لأنفسهم حق الاستعلاء على الآخرين فهم قانتون متواضعون لا يستكبرون.

٤- منفقون على مَنْ يستحقّ الإنفاق عليه في أي مورد رزقهم الله به من المال أو الجاه أو العلم، فهم يستثمرون ويبحثون عن أي موقع يقدّمون من خلاله ما يقدرون أن يقدّموه، فهم في حالة عطاء دائم، نفوسهم منفتحة على الآخرين يريدون الخير للآخرين فلا أنانيّة ولا جشع وطمع ولا حب للذات، عرفوا أنّ كلّ ما منحه الله لهم هو طريق يعبرون من خلاله إلى رضوان الله والفوز بجنته فلا يجعلونه حكراً على أنفسهم يستعلون من خلاله على الناس، بل كلّما رزقوا من رزق كان منذ الأوّل في حسابهم وعلمهم أنّ للآخرين حقّاً فيه.

٥- مستغفرون يدعون الله، فلا يعرفون راحة نوم فلا يفوتهم وقت السحر الذي فيه يستجاب الدعاء، بل إنّ جلّ راحتهم عندما يتكلّمون مع الله في ذلك الوقت ويشعرون من خلاله أنّ الله قد أحطّ من ذنوبهم من خلال ما يدعون به في ذلك الوقت، ولم يكن للرياء نصيب في دعائهم وعبادتهم؛ لأنّهم يختارون السرّ والإخفاء في الدعاء وأفضل ما يكون ذلك في وقت السحر حيث لا مطلع عليه إلا الله، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَنْ قال في آخر صلاة الوتر في السحر: أسْتَغْفِرُ الله وَأَتُوبُ إليه سَبْعِينَ مرّةً، وداوم على ذلك سنة، كتبه الله من المستغفرين بالأسحار»^(١).

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران: ١٨)

س: ما هو التفسير المحتمل للآية؟

ج:

أولاً: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

- ١- أنها الشهادة الحضورية لذاته، فهو الحاضر بذاته لذاته، والظاهر بالوحدانية بذاته لذاته، والشاهد لجميع صفاته بذاته، والمحيط بها بمرتبة ذاته لذاته، حاضر ظاهر شاهد محيط على ذاته بذاته، نحن لا نعلم منها إلا معنى ألفاظها لتحير العقول في ذاته، فسبحان رب العزة عما يصفون.
- ٢- أنها الشهادة التكوينية لذاته ووحدانيته، فكل ما في الوجود صغيراً أو كبيراً يرى أو لا يرى في آفاق الأرض وآفاق السماء هو آية يدل على أنه الواحد، فهو سبحانه يدلي بشهادته التكوينية الفعلية من خلال كل ما خلق.
- ٣- أنها شهادة قوله المنقول بالقطع واليقين، فكل الرسل والكتب قد نقلت قوله في أنه سبحانه وتعالى يقول ويشهد: (أنه لا إله إلا هو).
- ٤- أنها الشهادة العلمية المنحصرة به، فليس هناك شهادة شبيهة بشهادته في جميع ما يتعلق بالشهادة، فإنه وحده المتفرد بالعلم بما هو وبما خلق وبكل ما يحيط به، فهي شهادة مانحة التركيب لجميع الذين يقدمهم كشهود.
- ٥- أنها شهادة حق ثابتة بنفسها ولأنه لا معارض لها ولا مدح في مقابلها.

ثانياً: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾

١- أنها شهادة تكوينية، حيث إنهم مخلوقون بوحدة واحدة من حيث جنس خلقتهم ونوعية فعلهم ومجال وظيفتهم، بلا مدعٍ آخر لخلقهم أو في توجيه عملهم ووظيفتهم.

٢- أنها شهادة من المراتب العالية المطلعة على ما لا يراه الإنسان أو يطلع عليه، أنها شهادة من أقرب الأقربين إليه كما هم الملائكة المقرّبين إلى الله، أنها شهادة من عقل مجرد معصومين بالقول والفعل، فهي الشهادة الأخرى التي لا شك في صدقها.

٣- أنها شهادة تعبدية، حيث معرفة الملائكة لا سبيل لنا للوصول إليها إلا بالنقل، فالأخذ بشهادتهم تكون منشأ للدور، ولهذا لا يؤخذ بشهادتهم إلا بعد الانتهاء من شهادة الله باليقين والقطع فعند ذلك تأتي شهادتهم لتركية الله إليهم وإخباره عنهم بأنهم على الصفات الخيرة التي ذكرها الله عنهم، فيكون الأخذ بشهادتهم تعبداً بشهادة الله بصدقهم.

٤- أنها شهادة من كل الملائكة صغيرهم وكبيرهم تكويناً ومنزلة، ولن يخالف أحد منهم ما سمعه من الله بأنه واحد لا شريك له.

ثالثاً: ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾

مطلق أولو العلم سواء كانوا من أصحاب العلوم الدينية أو الأكاديمية الذين يطلعون على أسرار الكون وما يروونه من العجائب التي يستسلمون للموجد الواحد لها وهو الله سبحانه وتعالى، فكل علم نافع موصلٌ لله وأن كل من استخدم الأمانة العلمية بتجرد علمي خالص فإنه يصل إلى هذه الحقيقة، ولهذا جعل الله الطريق العلمي هو الكفيل لأن يصل الإنسان العاقل من خلاله إلى أمهات الحقائق

والأصول، وأول السالكين في الطريق العلمي والقيمة الذين أدوا الأمانة العلمية والشرعية هم الأنبياء والأئمة عليهم السلام أجمعين، فهم المثل الأعلى لأولو العلم.

رابعاً: ﴿قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾

قائم بالفعل وبالقيومة الفعلية بالقسط والعدل، فإن كل شيء قائم بمقدار ونصيب، وإن كل مقدار قائم على أساس من الحكمة والعدل، وأن كل ما كان لا يقوم إلا على أساس من الحكمة والعدل فقد أعطاه الله ووضعه لذلك الشيء ولم يمنعه عنه، وهذا يعني أنه سبحانه وتعالى عادل حيث لم يمنع ما يستحقه الشيء؛ لأن المنع في هذه الحالة ظلم، وأن إبراز صفة العدل من دون صفاته لها أهميتها في إيمان الإنسان بعدالة الله، وأنها بنفسها شاهدة على وحدانية الله؛ لأن من قمت العدل أن يصدر العدل من واحد وأن يمثله واحد، فكيف إذا كان العدل هو العدل بذاته ويده وهو الذي يمثل العدل ويأمر بالعدل ويفعل العدل ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢)، ومن جملة صور أنه قائم بالقسط أن جعل الملائكة وأولو العلم هم أفضل الشهداء.

خامساً: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

كررها الله تأكيداً، أو هو من قول الملائكة وأولو العلم، أو الباقي على تفرد بالوحدة والعدل فهو العزيز الحكيم، أو هي النتيجة كما شهد لنفسه، فهو المتفرد بالذات والصفات، ولا إله إلا هو هذا ما يجب أن يعتقد به الآخرون، ولا إله إلا هو هذا ما يجب أن يردده الآخرون وتلهج به ألسنة الناس ليكون شعار الجميع، ولا إله إلا هو المحور الذي يجمع الجميع، ولا إله إلا هو الحقيقة التي يجب أن يخضع لها الجميع، ولا إله إلا هو مرجع الجميع إليه ولا ملجأ إلا إليه ولا فرار منه إلا إليه، ولا إله إلا هو القاهر الحكيم، ولا إله إلا هو الوتر الصانع والخالق فهو الأول والآخِر.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في أن ذكر الله شهادته بوحدانيته وعدله وأكدها بشهادة الملائكة وأولو العلم؟

ج:

- ١- أرشاد لعقل الإنسان كما هي وظيفة القرآن ذلك في مثل هذه الأمور العقائدية.
- ٢- لترسيخ صفاته ليتعرف عليها الإنسان وخصوصاً العدل والتوحيد التي هي أمهات الصفات الإلهية بالنسبة إلى الإنسان بحيث لو قطع بها قطع بجميع صفاته الذاتية والفعلية، فباب التعرف على الله مفتاحه الوحدة الإلهية، ورد في الحديث للسلسلة الذهبية الذي قال فيه الإمام الرضا عليه السلام: «كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي»^(١).
- ٣- أن تكون هذه الشهادة لها علاقة بما قبلها من الآيات التي حكمت عن التزيين وأخبرت أن ما عند الله خير منها، وعليه لا يكون أي سبب يدخل الجنة أو منقذ من عذاب الله إلا الله وبما أمر ونهى عنه هو فقط، فلو كان غيره بيده شيء من ذلك لكان شريكاً وتُدأ له، والله يشهد أن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
- ٤- أن تكون هذه الشهادة لها علاقة بما بعدها من الآيات، حيث في هذه الآية يثبت وبكل قوة وحدانيته وتفردته بكل شيء ليمهد إلى ضرورة وحدة الدين عند الناس، وأن الدين عند الله الإسلام.
- ٥- أن تكون هذه الشهادة لها علاقة بما بعدها من الآيات، حيث يثبت الله وحدانيته وعدله، وأن منه الدين الواحد، ومن عدله ألا يجعل في دينه منقصة من تضاد أو خلاف يوجب الاختلاف بين أهل الأديان، فتكون مثل هذه الشهادة تمهيداً

للآيات التالية التي تحكي عن الاختلاف الذي يحصل بين أهل الأديان في أن سببه أنفسهم وأنه نابع من البغي والكفر بآيات الله، وأفعالهم التي منها قتل الأنبياء البعيدة عن دين الله، فلا شيء من دين الله يوجب الاختلاف؛ لأنه هو العدل ودينه العدل ولا شيء يصدر منه إلا العدل ولا يأمر إلا بالعدل فهو القائم بالقسط.

٦- أن الإدلاء بمثل هذه الشهادة العظيمة لترسيخ الحجّة البالغة في ذهن كل الناس وقلوبهم ولتقطع العذر عن كلّ الذين لا يؤمنون بعالم الغيب ولا يحسبون له الحساب في عقيدتهم وأعمالهم.

٧- أن الإدلاء بمثل هذه الشهادة العظيمة تريد انقياد الناس لله والطاعة له واللجوء إليه وأن يكون الله هو المحور الذي تلتفّ حوله جميع حركات الناس ولا يكونوا تابعين إلا لله.

٨- أن هذه الآية قد جمعت ستة من أسمائه تعالى: الشهيد، الله، لا إله إلا هو، القائم بالقسط، العزيز، الحكيم.

س: ماذا قالت الروايات عن هذه الآية؟

ج:

١- ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «يجاء بصاحب هذه الآية يوم القيامة فيقول الله تعالى: إن لعبي هذا عهداً عندي، وأنا أحقّ من وثي بالعهد، أدخلوا عبي هذا الجنة»^(١).

٢- ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «لما أمر الله هذه الآيات أن يسبطن إلى

الأرض تعلقن بالعرش، وفلن: يا رب، أين تهبطنا إلى أهل الخطايا والذنوب؟! فأوحى الله تعالى أهبطن... وهي أم الكتاب، وشهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم، وآية الكرسي، وآية الملك»^(١).

٣- ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ...﴾ أنه قال: «﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، فإن الله تبارك وتعالى يشهد بها لنفسه، وهو كما قال. وأما قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾، فإنه أكرم الملائكة بالتسليم لربهم وصدقوا وشهدوا كما شهد لنفسه. وأما قوله تعالى: ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، فإن أولي العلم الأنبياء والأوصياء، وهو قيام القسط، والقسط هو العدل»^(٢).

٤- للواحدي في (أسباب النزول) أنه قال: لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار أهل الشام، فلما أبصرا المدينة، قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان. فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وآله عرفاه بالصفة والنعمة، فقالا له: أنت محمد؟ قال: «نعم»، قال: وأنت أحمد؟ قال: نعم، قال: إنا نسألك عن شهادة، فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله: «سلاني»، فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله، فأنزل الله تعالى على نبيه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية^(٣).

(١) الكافي ٢: ٢/٦٢٠.

(٢) تفسير العياشي ١: ١٦٥/١٨.

(٣) أسباب النزول: ٦٣.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (آل عمران ١٩١-٢٠)

س: ما هو المعنى اللغوي لمفردات الآيتين؟

ج:

- ١- الدين: أ- الجزاء. ب- الطاعة. ج- الطريق.
- ٢- الإسلام: من السلام، والسلام إما لسلامة الشيء من الأدغال، أو للتسليم لله.
- ٣- البغي: أ- الانتقام. ب- الاعتداء.
- ٤- حاججوك: إلقاء الدليل لأجل المخاصمة.
- ٥- البلاغ: الإخبار الذي يسترعي جلب اهتمام السامع.

● الإسلام دين الحياة

س: ما هو المحتمل من التفسير لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾؟

ج:

أولاً: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾

١- شهد الله أن الدين عنده هو الطاعة والتسليم إليه بالشهادة الحضورية عنده، وأنه لا يجازي إلا على الإسلام الذي يكون عليه الفرد وأنه لا شيء غير ذلك، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إن هذا الإسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه، واصطنعه على عينه»^(١).

٢- أن الدين الذي يريده الله من عبده ويكون مقبولاً عنده ويرتضيه ذلك عندما يكون العبد ملتزماً بالإيمان به وأن يكون محور حركته هو امتثال أوامر الله ونواهيه. وبعبارة أخرى: هو التسليم والانقياد له سبحانه، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «الإسلام هو التسليم»^(٢).

٣- أن هذا الدين الذي يدعو له الله لم يكن شيئاً مستحدثاً في الدين الإسلامي، بل الدين عند الله الطاعة والإسلام، والتسليم له هو ضابطة تقييم الإنسان من قبل الله من ناحية القرب إليه والبعد منه منذ أن وجد الإنسان في الحياة إلى نهاية الإنسان على الأرض، فكلما كان الإنسان مستسلماً لله كلما كان قريباً منه راضياً عنه فائزاً بنعمه والعكس صحيح، وهذا هو الدين الذي أنزله على جميع الأنبياء من دون اختلاف، ومن أجل هذا الدين وتحقيق هذه الحالة عند الإنسان أنزل الله الكتب وبعث من أجله الأنبياء ونصب له الدلائل والآيات، وهذا يعني أن الله لا ينظر إلى أسماء الأديان التي يحملها الإنسان بقدر ما ينظر إلى مقدار الطاعة والاستسلام له؛ لأن محور الجزاء والدين عند الله والذي يريده من جميع العباد هو أن يصب على القلوب والأعمال المستسلمة لله

(١) نهج البلاغة ٢: ١٧٤/١٩٨.

(٢) الكافي ٢: ١/٤٥.

والمجردة عن كل العواطف والاتجاهات التي تكون سبباً في الميل والانحراف عن دين الله وطريقه الموصل إليه ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥).

٤- أن الدين الذي هو مجموع التشريع النازل من الله هو تشريع واحد وأنه يجري بصورة التكامل حسب الاستعدادات الفكرية والعلمية التي تتحملها الأمم، وأن جميع الأديان والشرائع جاءت وهي تدعو إلى هذه الحقيقة وهي حقيقة التسليم لله، فمن حيث التشريع أن الدين عند الله الإسلام وهو واحد، وهو أن الله يريد من الجميع الطاعة والإستسلام، وأن التعددية في بعض وحدات التشريع تجري لمراعاة التكامل الإنساني النابع من دراية علمية وتقييم إلهي لأهل ذلك العصر من دون نقص يوجب الاختلاف في تلك الفترة أو مطلقاً نسبة إلى الدين الإسلامي.

٥- إذا كان الدين عند الله الإسلام، وقد عرفنا معنى الدين ومعنى الإسلام من خلال النقاط التي عددناها والذي يجمعها هو التسليم والانقياد لله، فعلى هذا المعنى تكون نتيجة اختيار الإنسان للتشريع هو التشريع الإسلامي، فإن كل صاحب عقل مستسلم لله مخلص في اختياره سوف لا يختار غير الإسلام ديناً، لوضوح الحق فيه من جميع جهات تشريعه، بالإضافة إلى أن معجزة الدين الإسلامي لا زالت حية في حركتها المتمثلة بشخصية الرسول محمد ﷺ وكتاباه المنزل عليه، فالمستسلم لله واقعاً لا يختار إلا الدين الإسلامي، فخطاب ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ كما هو كاشف عن وحدة التشريع الإلهي للناس وأنه سبحانه يريد الاستسلام المطلق له من جميع الناس ومنذ

أول إنسان خلقه إلى آخر إنسان فهو يكشف عن إرادته للدين الإسلامي بالخصوص الذي يكون اختياره جزءاً من الاستسلام لله، فالإسلام كما هو حالة تشريعية لله قديماً وحاضراً ومستقبلاً فهو رسالة معينة منحصرة الاختيار للإنسان، تلك هي رسالة محمد ﷺ.

ثانياً: ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ إذا كان الله هو الله، وأن دينه واحد، وتشريعه واحد، وأنه قائم على أساس العدل والقسط، وقد أوصل الله تشريعه هذا إلى البشر وقد علموا به، فلا بد أن يكون سبب الاختلاف هم الناس وعلى رأسهم حملة العلم والكتاب الذين تتبعهم الأمم لاختصاصهم بالدين، فلا سبب يرجع في الاختلاف بينهم إلى الله وإلى أنبيائه وكتبه ولا يوجد احتمال ولو ضعيفاً في ذلك، فينحصر سبب الاختلاف فيهم، وأن سببه البغي والعدوان والانتقام والاعتداء والظلم والحسد والفساد، وقد مر تفصيل الكلام في بحث الاختلاف، فراجع كتاب *تحرير علوم راسدي*.

ثالثاً: ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

ومن يجحد بتشريع الله وآياته التشريعية أو يكذب بها أو لا يعمل بها إنكاراً واستهزاء أو يكون على عصيان دائم من دون توبة، فإن الله سريع الحساب بالخزي في الدنيا وعدم الانتصار الدائم لهم، بل يخزيهم بين الآونة والأخرى ويفضح كذبهم فلا تأثير في قلوب الناس لهم، هذا بالإضافة إلى عذاب الآخرة الذي يكون سريعاً نسبة للبقاء والعيش القليل في الدنيا، أو نسبة إلى علم الله، أو نسبة إلى التسجيل السريع من قبل ملائكته.

س: اذكر بعض ما قال الإسلام عن الإسلام؟

ج:

- ١- الإسلام دين الأنبياء جميعاً، ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أكونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٧٢)، ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦)، ﴿إِذْ قَالَ لِيَبْتِئِهَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِيَّاهُ وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٣)، ﴿أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ (يوسف: ١٠١)، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (يونس: ٨٤)، ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (المائدة: ١١١).
- ٢- الإسلام الشرف الأعلى، فليسع الإنسان إلى اختيار هذا الشرف وكسبه، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «لا شرف أعلى من الإسلام»^(١).
- ٣- الإسلام صبغة الله التي لا تزول ولا ينطفئ ابتهاجها، فهو الدين الذي كتب الله له البقاء، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ أنه قال: «الصبغة هي الإسلام»^(٢).
- ٤- الإسلام في علو دائم، فلا تنقصه عداوة الأعداء شيئاً، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه

(١) نهج البلاغة ٤: ٣٧١/٨٧.

(٢) الكافي ٢: ٢/١٤.

قال: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»^(١).

٥- الإسلام أذل الأديان والملل التي لم تصدق به، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«إن هذا الإسلام... أذل الأديان بعزته، ووضع الملل برفعه...»^(٢).

٦- الإسلام إذا كان مظلوماً اليوم فإنه سيأتي اليوم الذي يكون الإسلام فيه ظاهراً

على كل الأرض وحاكماً لها، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ

لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (التوبة: ٣٣)، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «لا يبقى على

ظهر الأرض بيت مدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخل الله كلمة الإسلام بعز عزيز وبذل

ذليل، إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها أو يذلهم فيدينون لها»^(٣).

٧- الإسلام دين السلام، والسلام أحد أسماء الله فهو مشتق من اسمه تعالى، ورد عن

أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إن الله خصكم بالإسلام واستخلصكم له، وذلك

لأنه اسم سلامة...»^(٤)، وعنه أيضاً: «إن الله ابتدأ الأمور فاصطفى لنفسه ما

شاء، واستخلص ما أحب، فكان مما أحب أنه ارتضى الإيمان، واشتقّه من

اسمه...»^(٥).

٨- الإسلام نعمة لمن يعلن إسلامه بعد الكفر به، حيث أنه يجب ويمحو ما قبله من

التبعات، ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا أسلم العبد فحسن إسلامه، يكفر

(١) نهج الحق: ٥١٥.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٧٤/١٩٨.

(٣) كنز العمال ١: ٤٣٧/٩٨.

(٤) نهج البلاغة ٢: ١٥٢/٤١.

(٥) تحف العقول: ١٦٢.

الله عنه كل سيئة كان أزلفها وكان بعد ذلك القصاص»^(١)، وعنه أيضاً:
«الإسلام يجب ما كان قبله»^(٢).

٩- الإسلام إيمان واستقامة، ورد عن سفيان بن عبدالله الثقفي أنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك؟ قال: «قل: آمنت بالله فاستقم»^(٣).

١٠- الإسلام كماله وإكماله بالإمامة والولاية لأهل البيت سلام الله عليهم أجمعين الذين هم أهم دعائم الإسلام، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣)، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «بني الإسلام على خمسة دعائم: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت الحرام، والولاية لنا أهل البيت»^(٤).

١١- الإسلام الأخلاق السامية ومكارمها، وهو الحركة الاجتماعية التي يجسدها الفرد في جميع معاملاته، ويرد عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال: «الإسلام حسن الخلق»^(٥)، وعنه أيضاً عندما سئل: أي الإسلام أفضل؟ أنه قال: «من سلم المسلمون من يده ولسانه»^(٦).

١٢- الإسلام غريباً بدايةً وعوداً، جاء لينتشل الناس من الواقع الفاسد الذي كانوا

(١) كنز العمال ١: ٢٦٥/٦٩.

(٢) المستدرک ١١: ٣٦٥/١٣٢٧٤.

(٣) صحيح مسلم ١: ٤٧.

(٤) الأمالي للمفيد: ٤/٣٥٣.

(٥) كنز العمال ٣: ٥٢٢٥/١٧.

(٦) كنز العمال ١: ٧٦/٣٨.

يعيشونه في أيام الجاهلية، وسيعود مرة أخرى لينتشل الناس من واقعهم الفاسد الذي كانوا يعيشونه على الرغم من أنهم وصلوا إلى أعلى درجات العلم والتكنولوجيا ومع ذلك فقد تركوا الإسلام، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «إِنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً فطوبى للغرباء»، قالوا: يا رسول الله، وما الغرباء؟ قال: الذين يصلحون عند فساد الناس»^(١).

١٣- الإسلام له درجات وغرف واهتمامات وأولويات أعلاها الجهاد في سبيل الله، ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «الإسلام ثلاثة آيات: سفلى وعليا وغرفة، فأما السفلى فالإسلام دخل فيها عامة المسلمين فلا تسأل أحداً منهم قال: أنا مسلم، وأما العليا فتفاضل أعماهم...، وأما الغرفة العليا فالجهاد في سبيل الله لا ينالها إلا أفضلهم»^(٢).

١٤- الإسلام محور التآلف والتآخي، ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إِنَّ الله عزَّ وجلَّ جعل الإسلام صراطاً منير الأعلام، مشرق المنار، فيه تآلف القلوب، وعليه تآخي الأخوان...»^(٣).

١٥- في الإسلام أفضل الشعارات التي تعكس العدل في جميع مجالات الحياة منها ما ورد عن الرسول ﷺ حين قال: «لا ضرر ولا ضرار في الإسلام»^(٤).

(١) كنز العمال ١: ٢٣٩/١١٩٨.

(٢) كنز العمال ٤: ٣١٢/١٠٦٥٨.

(٣) الكافي ٥: ٣٧١/٣.

(٤) نهج الحق: ٤٨٩.

س: ما هو المحتمل من التفسير لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾؟

ج:

١- أن يكون فاعل (حاجوك) هم أهل الكتاب للسياق مع القبلي للآية، حيث يقال: إن وفدًا من النصارى جاؤوا إلى الرسول ﷺ وهم يحتجون عليه بأن بقاءهم نصارى عن علم ودراية واعتقاد لا عن بغي، فأجابهم الله بهذا الخطاب.

٢- أن يكون فاعل (حاجوك) مطلق من يحاجج بالدين، فإن الله يعلم رسوله ﷺ ويرسم له منهجية للمحاجة بين المختلفين في الدين وهو أن يكون الإسلام والتسليم هو شرط المحاجة وهو أهم عنصر مشترك يشترك فيه جميع المؤمنين الصادقين والمخلصين في إرادة المحاجة، فلو استسلم كل طرف لله فإنهم سيتوصلون إلى النتيجة والحجة القاطعة؛ لأن الطرفين يريدان استسلام وجههم لله، أي يريدان اقتناص الحقيقة التي يريدونها الله منهم من دون تأثير خارجي يخرجهم عن ذلك، وأن هذا الشرط لو توفّر عند كل متحاججين لكانت الدنيا كلها تسير بسلام وإسلام.

٣- أن الله أمر بقطع المحاجة عن كل مدّع يخالف الحق الواضح العالم به؛ لأن العالم يعرف الدليل والحجة ولا يعوزه إلا قهر النفس ومنعها من اللجاجة والعناد. وبعبارة أخرى: لا يعوزه إلا الاستسلام للحق والوجهة لله؛ لأن الفارق بين العالمين المختلفين حين يكون أحدهما يمثل الحق والآخر يمثل الباطل هو أن الذي يمثل الحق يمتلك حالة الاستسلام لله الحق وأنها تمثل حالة

صحيّة كاملة لم يعترها نقص، ولهذا تجد في هذه الحالة لا طريق للوصول إلى الحق بين مثل هؤلاء المتخاصمين إلا أن يظهر هذا الشرط المتمسك هو به ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾، فإن ادعى الخصم أنه كذلك فقد وصل الطرفان إلى الحق والحقيقة واهتدوا إلى النتيجة المتخاصم عليها وإلا فلا.

ومن نموذج ذلك ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾، الذين يشتركون بالعلم بالحق والحقيقة، أمّا أهل الكتاب فيعلمون الحجج البالغة من خلال كتبهم التي تنقل عن الرسول محمد ﷺ ومن خلال ما أوصى به موسى وعيسى بمحمد ﷺ وبكتابه، وأمّا الأميين من مشركي العرب فإنهم يعلمون الحق من خلال آيات الآفاق والأنفس ومن خلال حركة النبوات السابقة ومن خلال معجزة الرسول ﷺ وهي القرآن والمعاجز الأخرى التي رأوها من الرسول ﷺ، ويعرفون من خلال تحركهم المعاند والشاذ حين لا يمتلكون الحجّة العلميّة أمام الرسول ﷺ وأمام أتباعه إلا لغة التعذيب والقهر.

فالنتيجة سواء كانوا أهل كتاب أو من المشركين فإنهم يعلمون، فإذا كانوا كذلك فلا يفسر عدم إيمانهم بالرسول ﷺ أو بالقرآن أو بالإسلام إلا عدم الاستسلام لله والخوف منه، وهذا هو الفارق الذي يميّز طرف الرسول ﷺ وأتباعه عن غيرهم. وبهذا لا يكون طريق لقطع الحجّة عليهم إلا أن يبرز هذا المقدار المهم من الاستسلام للوصول إلى الحق، وإلا تصبح مجادلة لا يتوصّل من خلالها إلى نتيجة، وليس من أدب الإسلام هو الوقوع في المخاصمات البحتة؛ ولهذا يطلب الرسول ﷺ من المتحاججين هذا العنصر المهم كما هو عليه ﴿أَأَسْلَمْتُمْ﴾، هل أنتم مستسلمون لله بحيث تريدون اقتناص الحق والحقيقة لله

وبما يريد الله ومجرّدين عن كل عامل مانع عن ذلك؟ ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾، فلو كانوا فعلاً مستسلمين لله بمحاجبتهم وأنهم مخلصون في ذلك، وأنه العنصر الوحيد الذي يجب توفّره في مثل هؤلاء المتخاصمين وهو متوفّر في طرف الرسول ﷺ واتباعه كما قلنا، فإذا توفّر في طرفهم كذلك فإن الوصول إلى نتيجة الحق وحقّ النتيجة سيكون حتمياً ﴿فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾، وتكون المحاجة علميّة، ومثل هذه المحاجة هي التي يبحث عنها الإسلام ويرغب عليها، وإلا ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأعرضوا الذي يكشف إعراضهم هذا عن عدم استعدادهم للاستسلام لله والإخلاص للوصول إلى النتيجة الحقّة، ففي هذه الحالة أعرض عنهم أيها الرسول ولا تناقشهم في شيء حيث لم يصل النقاش معهم إلى نتيجة وهم على هذه الحالة من عدم الاستسلام، وليس عليك متابعتهم من أجل هدايتهم لوجود عنصر العناد واللجاجة فلا ينفع معهم شيء، وأنّ الهداية أمرها بيد الله فهو الذي يهدي من يشاء، ومثل هؤلاء هم الذين يتهرّبون عن طريق الهدى فلا يهديهم الله إليه ﴿فَأِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾، فلا تلزمهم على شيء وإنما عليك البلاغ وإيصال صوت الحق إليهم ليكون حجّة عليهم يوم الحساب ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾، الذي يعلم أهدافهم وسبب عنادهم وعدم استسلامهم ويعلم ما يخفون وما يظهرون ويعلم بكلّ شيء وإليه يرجع حساب جميع الناس.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في تفسير قوله تعالى: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ

لِلَّهِ؟

ج:

- ١- أسلمت عملي وعبادتي لله.
- ٢- أسلمت نفسي لله، بحيث أكون ذائباً في الله لا أجد لنفسي شيئاً تحمله حقيقة إلا العبودية له والطاعة له، فلا تتحدث نفسي بغير ذلك ولا أحدث نفسي بغير ذلك.
- ٣- أسلمت وجهة عملي لله، بحيث ما من عمل أقدمه إلا وكانت وجهته وعنوانه لله، وهو تعبير آخر عن إخلاص النية والقصد، وقد مرّ الحديث عن تفصيل ذلك في سورة البقرة آية ١١٢.

س: ما هي الاحتمالات التي ترد في مجيء كلمة «وَمَنْ اتَّبَعْنِي» مع أنّ الحاجة مع الرسول ﷺ؟

ج:

- ١- لبيان أنّ الإسلام ذو نسبة واحدة بالنسبة إلى جميع المسلمين من حيث التكاليف فلا فرق بين الرسول ﷺ وبين غيره من حيث ما يريد الإسلام منهم جميعاً من الاستسلام لله.
- ٢- لبيان أنّ الذين اتبعوا الرسول ﷺ وصدقوا به ورسالاته لم يكن إلا استسلاماً لله عندما رأوه يتجسّد بالرسول ﷺ ورسالاته، فلم يتبعوه عن جهل أو عصبية أو إمعة أو تقليد أو طمع في دنيا، بل هو استسلام للحق والحقيقة التي رأوها تستريح في محمّد ﷺ ورسالاته فاستسلموا لها لإرادتهم الاستسلام لله.
- ٣- لبيان أنّ الحاجة لو وقعت مع الرسول ﷺ أو مع غيره ممن اتبعه لكان الفوز والنجاح لهم لا متلاكهم الحجّة القويّة التي يزودها الإسلام لمُتّبعيه على طول الخط الزمني للثروة الفكرية التي يحملها الفكر الإسلامي من كتابه المقدّس ومن شخصيّاته التي ألهمها الله العلم والفضيلة.

٤- لبيان ضعف القاعدة التي يمتلكها أهل الكتاب، حيث بالإضافة إلى علمائهم وقادتهم فالقاعدة وهم الآخرون لم يتبعوا اليهودية أو النصرانية على أساس من الاستسلام لله وعالم الغيب، بل هم يعلمون الكذب والزور الذي دخل إلى كتبهم، ويرون أن إعراض وتولي علمائهم عن المحاجبة أو عن التصديق بالرسول وبرسالته لا عن حجة حق لهم فيه، وإنما هو محض فرار من الالتزام بالحق، فعلى الرغم من كل ما يرونه من الباطل فهم يتبعون قاداتهم وعلماءهم على الخطأ والانحراف، فهم عبدة الشخصيات وهم الإئمة وهم الجاهلون وهم أصحاب العصبية العمياء، وهذه الصنمية ما لا تجدها بين صفوف المسلمين وأتباع الرسول ﷺ، فالمسلمون لم يتبعوا محمداً لكونه محمداً، ولم يتبعوه لكونه عربياً، ولم يتبعوه لكونه مواطناً من وطنهم، بل اتبعوه لكونه رسول الله، واتبعوه لما رأوا صدق سيرته وما يدعو إليه، فلو رأوا اختلافاً وفصلاً لانفضوا من حوله، فكان الصدق يملأ الفكر والسلوك وكل ما يحويه محمد ﷺ، فكان استسلامهم له لاستسلامه لله، وكان الكل يمثل استسلاماً لله.

وهذا النوع من الاستسلام ما تفقده قاعدة أهل الكتاب، ولهذا عندما طلب الرسول ﷺ منهم الاستسلام لله لم يكن منهم مجيب لا من قادة ولا من قاعدة على الرغم من أنه طلب يستجيب له كل مؤمن بالله كان من يكن، ولم تجد هناك معارضة من القاعدة لقادتها على أنه طلب طبيعي وطلب حق، بل هو أبسط طلب تفرضه طبيعة الإيمان على المؤمنين بأن يكونوا مستسلمين لله، فالقاعدة والاتباع من أهل الكتاب هم الآخرون الذين تولوا وأعرضوا، وهذا دلالة واضحة بعدم امتلاكهم الاستسلام لله، بل كان اتباعهم للقيادة اتباع هوى ودنياً ليس للدين علاقة به.

س: ماذا تحتل عن الموضوع الذي يثيره أهل الكتاب والذي يريدون أن يتحاجّون عليه مع الرسول ﷺ ثم يتولّون لعدم امتلاكهم الحجّة لهم فيه؟

ج:

١- المبعث الجديد، فلكونه مبعثاً لنبيّ جديد ورسالة جديدة فلا بد من صدور حاجة من أهل الكتاب.

٢- لكون ما نقل القرآن أن الدين عند الله الإسلام، فأراد أهل الكتاب المحااجة في ذلك.

٣- لكون القرآن أتهمهم بالبغي والعدوان على الأنبياء، فأراد أهل الكتاب المحااجة في ذلك.

٤- لكون نفس دعوة الرسول ﷺ تدعو أهل الكتاب إلى أن يقوموا بالمحااجة؛ لأنّ من جملة ما كان الرسول ﷺ يدعو إليه هو الوحدانية الخالصة لله وغيرها من الأمور التي تخالف وتضرب بعض ما يعتقد أهل الكتاب من جعل عزير و عيسى أبناء الله مثلاً، فهي دعوة مضادة لكثير ممّا يحملونه ويجزّهم إلى المحااجة في ذلك.

٥- لكون الإسلام جاء ناسخاً لجميع الأديان، والمعاند الذي لا يمتلك الاستسلام لله وللطريق العلمي يعتبر مجيء مثل هذا الدين هو إعلان حرب ضده فلا يتعامل معه على أنه نور وهداية وإرادة من عالم الغيب، وعليه لا بدّ من إعلان الحرب ضده، والمحااجة هي أحد أساليب الحرب التي يستخدمها العدو والتي من خلالها يتحقّق فرصة الهزيمة لخصمه فيها، فكانت المحااجة لأهل الكتاب تمثّل

الحرب الباردة ضد الرسول ﷺ وضد رسالته، فلما كان الفوز والنجاح حليف الرسول ﷺ والمسلمين دائماً، فلم تبقى حيلة أمامهم الحرب العلنية بحجج واهية كاذبة بعيدة عن المحاجة والحوار، فكانت حركة الكفر والنفاق نتاجاً من نتاجاتهم وهم يعلنون الحرب بين الآونة والأخرى ضد الإسلام والمسلمين إلى يومك هذا.

٦- أن تكون مسؤولية الرسول ﷺ دعوتهم إلى المحاجة باعتباره مبلغاً ونذيراً وداعياً لهم للإسلام وبما هو موجود في التوراة والإنجيل، فمسؤولية أي داعية لله وللإسلام أن ينتهز أي فرصة تسمح له في المحاجة وطرح الحوار مع أي مخالف، وهذا هو مقتضى الدعوة إلى الله، والرسول ﷺ من باب أولى أن تكون مهمته ذلك.

ورد في خبر: أن رسول الله ﷺ دخل مدرسة اليهود وكان فيها جماعة منهم، فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا: على أي دين أنت؟ فقال: «على ملة إبراهيم»، فقالوا: إن إبراهيم كان يهودياً، فقال الرسول ﷺ: «هلموا إلى التوراة»، فأبوا ذلك^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ • أُولَئِكَ الَّذِينَ
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (آل عمران: ٢١-٢٢)

س: قد مرّ الحديث عن مثل هاتين الآيتين في (سورة البقرة آية ٦١)، هل
تحبّون أن تضيفوا شيئاً آخر؟

ج:

١- أنها - كما مرّ الحديث - تخاطب اليهود لاختصاصهم بقتل الأنبياء وأنه ظلم
فقط؛ لأنه قتل وقع منهم على الأنبياء.

٢- أنهم يقتلون الأوصياء والعلماء والدعاة إلى الله لا جرم لهم إلا أنهم يأمر
الناس من خلال تبليغهم رسالة السماء بالقسط والعدل، وهذا فيه دلالات:
الأولى: أن من الناس هم اليهود فبعضهم يأمر بالقسط.

الثانية: أن اليهود يقتلون حتى هذا البعض من اليهود لكونهم يأمر
الناس بالقسط.

الثالثة: أنهم لا يقبلون كلّ ناصح أو نصيحة متعلّقة بالسماء والدين والتدين،
فليس لهم غرض إلا بالدنيا باسم الدين وكلّ من يعارض ذلك فمصيره القتل
سواء صدرت النصيحة من اليهودي منهم أو من غيرهم.

الرابعة: أن هذا الخطاب يحذر الحكّام الظلمة بقتلهم علماء المسلمين والدعاة
إلى الله وتعذيبهم وتشريدهم فإنهم في ذلك يقتفون أثر اليهود والنصارى، ورد
في خبر عن الرسول ﷺ عندما سُئل عن أيّ الناس أشدّ عذاباً يوم القيامة؟ أنه

قال: «رجل قتل نبيّاً أو رجلاً أمر بمعروف أو نهى عن منكر». ثمّ قرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

الخامسة: أنّ الذي يقتل العلماء والدعاة لكونهم يدعون إلى الله ورسالاته وكتبه ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فله عذاب أليم، وحبطت أعماله الصالحة في الدنيا بالخزي والفشل وفي الآخرة بالعذاب، وليس له شفيع في الآخرة.





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس الكتاب



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس آیات السور

سورة البقرة

٨	آية ١٩٦ - ٢٠٣
٤١	آية ٢٠٤ - ٢٠٩
٥٢	آية ٢١٠ - ٢١٢
٥٦	آية ٢١٣
٦٣	آية ٢١٤
٦٨	آية ٢١٥
٧١	آية ٢١٦ - ٢١٨
٩٥	آية ٢١٩ - ٢٢٠
١١٥	آية ٢٢١
١٢١	آية ٢٢٢ - ٢٢٣
١٣٤	آية ٢٢٤ - ٢٢٧
١٤٢	آية ٢٢٨
١٥٤	آية ٢٢٩ - ٢٣٠
١٦٣	آية ٢٣١ - ٢٣٢
١٧٠	آية ٢٣٣



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

١٨٢	آية ٢٣٤ - ٢٣٥
١٨٨	آية ٢٣٦ - ٢٣٧
١٩٤	آية ٢٣٨ - ٢٣٩
٢٠٠	آية ٢٤٠ - ٢٤٢
٢٠٤	آية ٢٤٣ - ٢٤٥
٢١٢	آية ٢٤٦ - ٢٥٢
٢٣٠	آية ٢٥٣
٢٤٣	آية ٢٥٤
٢٤٥	آية ٢٥٥
٢٥٧	آية ٢٥٦ - ٢٥٧
٢٧٠	آية ٢٥٨ - ٢٦٠
٣٠٣	آية ٢٦١
٣٠٥	آية ٢٦٢
٣٠٨	آية ٢٦٣
٣١٠	آية ٢٦٤
٣١٤	آية ٢٦٥
٣١٦	آية ٢٦٦
٣١٨	آية ٢٦٧
٣٢٠	آية ٢٦٨ - ٢٦٩
٣٢٣	آية ٢٧٠
٣٢٤	آية ٢٧١
٣٢٥	آية ٢٧٢
٣٢٧	آية ٢٧٣



مركز بحوث ودراسات إسلامية

فهرس آیات السور..... ٤٦٥

آية ٢٧٤ ٣٣٠

آية ٢٧٥ ٣٤٣

آية ٢٧٦ - ٢٧٧ ٣٥١

آية ٢٧٨ ٣٥٥

آية ٢٧٩ ٣٥٦

آية ٢٨٠ ٣٥٨

آية ٢٨١ ٣٦١

آية ٢٨٢ - ٢٨٣ ٣٦٧

آية ٢٨٤ ٣٨١

آية ٢٨٥ ٣٨٤

آية ٢٨٦ ٣٨٦



آية ١ - ٦ ٣٩٠

آية ٧ ٤٠٢

آية ٨ - ٩ ٤١٩

آية ١٠ - ١٣ ٤٢٤

آية ١٤ - ١٧ ٤٢٩

آية ١٨ ٤٤٤

آية ١٩ - ٢٠ ٤٥١

آية ٢١ - ٢٢ ٤٦٦

مركز تحقیقات کتب قدس و علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

فهرس البحوث

- الحج وحادة العباد والعبادة ٨
- الهجرة والجهاد ٧٢
- الخمر والأثر الاجتماعي ٩٥
- الطلاق في التشريع الإسلامي ١٣٥
- طالوت وتجربة الانتصار بعد الهجرة ٢١٣
- الإنفاق ٣٠٣
- الربا آفة الرفاه الاجتماعي ٣٤٣
- الذئين بين علاج الحاجة وتأمين رأس المال ٣٦٨
- المحكم والمتشابه والتأويل ٤٠٢
- التزيين بين الواقعية والتحذير ٤٣٠
- الإسلام دين الحياة ٤٥١